

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

التَّضَادُّ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِرْهَابِ

مَجْلَدُ الْمَلَكِ الْبَيْدِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الثامن والثمانون بعد المائة

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أسواق الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين وبارك في أيام نبوته لتنزل آيات وسور القرآن كلها على صدره قبل أن يفارق إلى الرفيق الأعلى ، وينزل جبرئيل ليعارضه بالقرآن ويتدارسه معه في كل سنة مرة ، وعارضه في السنة التي توفي فيها مرتين ، لتوثيق آيات القرآن وحفظها من قبل المسلمين وتدوينهم لها .

وليكون تعدد المعارضة والتدارس هذا أمانة على قرب أجل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يغادر الدنيا إلا وأستأصل الإرهاب من الجزيرة ، وسادت الأحكام الشرعية التي تحول دون استثنائه أو تجرده ، وتتجلى في علم التفسير وبيان ذخائر القرآن آيات علمية تكون مرآة قرآنية للآيات الكونية ، وسياحة في رياض علوم القرآن .

ومن فضل الله عز وجل أقوم بكتابة وتصحيح ومراجعة أجزاء التفسير وكتبي الفقهية والأصولية والكلامية بمفردي بمدد ولطف وعون من الله عز وجل ، وموضوع هذا الجزء هو (التضاد بين القرآن والإرهاب) .

وهو موضوع بكر يبين تنزه القرآن وأحكامه عن الإرهاب ، وصدر بخصوصه الجزء (١٨٤) (١٨٥) من هذا السفر في قراءة في آيات القرآن والسنة بمنهجية هذا القانون .

ويدعو عشاقه إلى التبرء من الإرهاب ، ويحث الناس جميعاً على إكرام القرآن لأنه كلام الله في الأرض ومادة البركة فيها ، وطريق النجاة في الآخرة .

الحمد لله الذي ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(١) ليكون هذا التعليم آلة وسبيلاً لعبادته وتدوين آيات التنزيل والتبحر في علم التفسير .

ولإقامة الحجة على الناس إذ جعل الله عز وجل علوم القرآن من اللامتناهي ، فيكون التدوين لها حاجة للناس ، ووسيلة اتصال مباركة بين السابق والحاضر واللاحق من الأجيال ، وهو مناسبة للمغفرة لهم ، وتوالي الرزق الكريم على أهل القرآن وغيرهم ، إذ أن الله عز وجل يعطي بالآتم الأوفى ، وعلى الأعم من الموجود والمعدوم من الناس .

الحمد لله على تفضله بتوالي النعم الخاصة والعامة ، لينتفع الخاص من العام، وتتفع العامة من الخاص .

الحمد لله مالك الملك وهو إله في الأرض إله في السماء تفضل وأنزل القرآن بواسطة ملك من رؤساء الملائكة ، وهو جبرئيل للأمن والأمان في تنزيله ، وهو في سلطان الله ، قال تعالى ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾* عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٢﴾ .

الحمد لله الذي أنعم علينا بصدور الجزء السابع والثمانين بعد المائة من هذا السفر ويتضمن قوانين وستناً وأدلة متعددة في قانون (لم يغز النبي أحداً) في كشف للحقائق ، ودفع للوهم وتفسير للآيات وذكر للوقائع بما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله

(١) سورة القلم ٤.

(٢) سورة الشعراء ١٩٣-١٩٤.

وسلم وأصحابه كانوا في حال دفاع ، ويلجأون إلى خروج الكتائب والسرايا من المدينة لغايات حميدة .

الحمد لله الذي إنقادت لها السموات والأرض والجبال والخلائق كلها ، وهو الرحيم بها ، العالم بما يصلحها ، والذي يتفضل على الناس بالصلاح ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

سبحان الله الذي جعل القرآن كتاب التسييح والحمد والشكر له سبحانه على هداية الناس إلى التسييح واستدامته في الأرض ، وتفضل الله سبحانه وجعل كل مسلم ومسلمة يتلوان آيات القرآن سبع عشرة مرة ، ومن أسرار القراءة في الصلاة وجوب قراءة سورة الفاتحة في كل فريضة ، إذ تبدأ بعد البسملة بقوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ويحتمل حمد المسلم والمسلمة في الصلاة لله وجوهاً :

الأول : إنها قراءة طوعية .

الثاني : إنها قراءة قهرية .

الثالث : إنها قراءة إنطباقية لأنها واجب نوعي .

والمختار هو الأول والثالث أعلاه ، وهو فضل ولطف من عند الله عز وجل .

الحمد لله الذي جعل التسييح له وحده ، وهو حرز في الدنيا ، ورجحان لكفة الحسنات في الآخرة ، وقد يجتهد الإنسان في الإنفاق ، أو أنه يتحسر لأنه ليس عنده ما ينفقه ، ويكون ذخيرة له في

(١) سورة الملك ١٤.

(٢) سورة الفاتحة ٢.

الآخرة بما هو خفيف على اللسان ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الذخيرة العظمى بالتسبيح (عن ابن عباس ، عن جويرية ، زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج من عندنا بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أصبح وهي فيه جالسة فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها.

قالت : نعم . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن ؛ سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته^(١).

وفيه ترغيب بالإنقطاع للذكر والتسبيح والذي يكون برزخاً دون الإضرار بالغير ومائناً من الظلم والإرهاب.

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(٢) في المقام أمور :

الأول : استحضار الإنسان للتسبيح بأن يخطر على الوجود الذهني ويتلوه على اللسان وقد ورد في القرآن الأمر بالتسبيح وأن يقترن به السجود الخاص والعام ، قال تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٣) ، كما ورد الأمر بالتسبيح بعد إلى الصبر على أذى المشركين قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ

(١) الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٤٦٤/٨.

(٢) سورة السجدة ٩.

(٣) سورة الحجر ٩٨.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١﴾.

الثاني : الرغبة والشوق للتسبيح .

الثالث : مناجاة المؤمنين بالتسبيح .

الرابع : رجاء الثواب العظيم على التسبيح .

الحمد لله الذي جعل الإستغفار مقدمة للحمد له وارشاداً إليه ، واستغفره سبحانه عدد ذرات الرمل ، وقطر ماء البحار والأنهار ،

الحمد لله الذي قال ﴿فَاصْبِرْ إِنِّي وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (٢) وكل فرد من مصاديق وقوانين الآية أعلاه مانع من الغزو ، وسبب للإنشغال والإنصراف عنه .
لقد أخبرت الآية أعلاه عن تحقق وعد الله عز وجل على نحو الحتم والقطع .

وهل المراد من الألف واللام في ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ أعلاه الجنس أو العهد ، الجواب هو الأول .

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا دار الحمد له سبحانه إذ قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ (٣) وبين العبادة والحمد له سبحانه عموم وخصوص مطلق ، فكل شكر لله عبادة .
نعم تتضمن كل عبادة في مفهومها ودلالاتها الحمد والشكر لله عز وجل ، وسبب لإستدامة وزيادة النعم .

(١) سورة طه ١٣٠ .

(٢) سورة غافر ٥٥ .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ .

وهل تدخل العبادة في قوله تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١) الجواب نعم ، فكل فرض عبادي هو طاعة وشكر من العبد لله عز وجل .

الحمد لله الذي يهب للغني والفقير ، والكبير والصغير ، والذكر والأنثى ، والقوي والضعيف ، والمؤمن والكافر ، ولكن حينما وقعت معركة بدر التي تصادف ذكرها هذه الليلة^(٢) جاء النصر للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والمؤمنين ، ولحقت الهزيمة الذين كفروا ، قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(٣) .

وهذا النصر رحمة بالمسلمين وأهل الكتاب والناس جميعاً إلى يوم القيامة ، وهل فيه رحمة لمشركي قريش أم أنهم خارجون بالتخصيص ، الجواب هو الأول ، إذ جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار رحمة وعفوه ، وكل ساعة وواقعة شخصية أو نوعية هي مناسبة للتدارك والإنابة والاستغفار .

لقد فرض المشركون معركة بدر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فجاء النصر بلغة وعوناً ، وهل له غايات حميدة ، الجواب نعم ، وسيأتي في هذا الجزء قانون (الغايات من النصر في معركة بدر) لبيان أنه خير محض ، ويتجلى فيه قانون أن المشركين يريدون الشر فيأتي الخير للناس في ذات الموضوع .

(١) سورة ابراهيم ٧ .

(٢) أكتب هذه السطور في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان ١٤٤٠ هـ الموافق

٢٠١٩/٥/٢٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٣ .

الحمد لله الذي تفضل بانزال الكتب السماوية متعاقبة ، وأختص بها الرسل من بين خلقه وقبض لكل واحد منهم أعواناً وأنصاراً واتباعاً وجعل قصصهم موعظة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، ومناسبة لإقتباس المسائل والأحكام ، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ قَصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) .

الحمد لله الذي أظهر الجميل ، وستر القبيح ، وجعل الجميل ضياءً ينير الدرب للناس وجعل النفوس تنفر من القبيح ، فان قلت قد احتجت الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) على أمرين :

الأول : الفساد في الأرض .

الثاني : سفك الدماء ، لقوله تعالى ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (٣) ولم يرد في هذا الإحتجاج ذكر القبيح ، الجواب بين الفساد والقبيح عموم وخصوص مطلق ، فكل فساد هو قبيح ، فتفضل الله عز وجل وأظهر المحاسن والمكارم والأمر الحميدة ، وستر ما يصدر من الإنسان من القبيح والردائل .

وهل يختص هذا الستر بالمؤمنين في كل زمان ، الجواب لا ، إنما للناس جميعاً ، فهو فضل من الله ، ومن مصاديق نصب الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٤) ، تفضله باظهار الإحسان

(١) سورة هود ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

والأمر الحسن ، وستر القبيح والمعاصي ترغيباً منه تعالى بالتوبة والإنبابة .

ويتضمن هذا الجزء (٢٢) قانوناً من ذخائر وعلوم القرآن والسنة النبوية منها :

- الأول : قانون غايات كتائب النبي (ص) وسرايا الصحابة.
- الثاني : قانون التناقض بين الخلافة في الأرض وبين الإرهاب.
- الثالث : قانون آية القصاص واقية من الإرهاب.
- الرابع : قانون تجدد واستحداث معجزات النبي محمد.
- الخامس : قاعدة لا ضرر ولا ضرار واقية من الإرهاب
- السادس : قانون غايات النصر في معركة بدر
- السابع : قانون الإملاء للمشركين في معركة أحد استئصال للإرهاب.
- الثامن : قانون المقارنة بين قافلة أبي سفيان وخسارة قریش في معركة بدر.

التاسع : قانون وعد الله في القرآن حصن من الإرهاب.

العاشر : قانون صبر النبي على أهل مكة معجزة وحجة في نبذ الإرهاب.

- الحادي عشر : قانون تكرار اللفظ القرآني إعجاز.
- الثاني عشر : قانون وصايا لقمان لابنه.
- الثالث عشر : قانون أسماء الأنبياء في القرآن دعوة للصلاح.
- الرابع عشر : قانون صبر النبي على الإستهزاء تأديب وإصلاح.
- الخامس عشر : قانون علم الحديث .
- السادس عشر : قانون أداء الصلاة واقية من الإرهاب.
- السابع عشر : قانون أداء الصلوات الخمس زاجر عن الإرهاب.

الثامن عشر : قانون أوان الفجر الصادق.

التاسع عشر : قانون هلال شوال.

العشرون : قانون هجرة النبي وأصحابه إعراض عن القتال.

الحادي والعشرون : قانون النصر في بدر استئصال للإرهاب.

الثاني والعشرون : قانون زكاة الفطر دعوة للسلم المجتمعي

العام.

إلى جانب علوم مستقراً ودراسات في السنة النبوية منها ما يتعلق بكتيبة حمراء الأسد والتي تسمى غزوة حمراء الأسد ، ولم تكن غزوة ، إنما كانت للمرابطة أقرب منها للكتيبة ، وهي احتراز ودفع للغزو والقتال.

ولم يلتق فيها جيشان ولم يقع قتال ، وكان خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها بالوحي لينزل القرآن في الثناء على الصحابة الذين خرجوا معه إلى حمراء الأسد ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

ويتضمن هذا الجزء سرية أبي سلمة إلى قطن .

وهي من عمومات قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

فقد مكر المشركون ببحث في محاربة النبوة والتنزيل ، ومكر الله عز وجل للمؤمنين وأهل الأرض بالنصر في معركة بدر وأخبر الله تعالى بأن هذا النصر مقدمة ونوع طريق للتقوى والخشية من الله عز وجل إذ قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

(١) سورة آل عمران ١٧٢.

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ ليتنفع الناس جميعاً من تقوى المسلمين ، ومن حكمهم بما يرضى الله والتنزه عن الظلم وسفك الدماء .

وتتعدد ضروب الإرهاب المنهي عنه ، ومنه الإرهاب الفكري كالتكفير والتعصب والتطرف الذي ينتقص من الغير بغير حق ، لقد جاء القرآن برسالة الإحتجاج والجدال لمنع صيغ التهيب والفتنة والتحريض الذي يحول دون إرادة كم الأفواه.

وانفتح الناس والأفكار على بعضها البعض ، وما كان ممنوعاً من الزعامات ويطاله مقص الرقيب أصبح موجوداً في الشبكة المعلوماتية ، والغرف الالكترونية طوعاً وقهراً ، مما يضطر الجميع إلى صيغ الإحتجاج والإستشهاد بالعلم والإجتهد بالبيان ، وإقامة الحجة والبرهان مع تعاهد الثوابت بأصول الدين وعقيدة التوحيد التي يجب أن تكون هي الضابطة الكلية في الإحتجاج والجدال والرأي والرأي الآخر ، وفي التنزيل ﴿أَتَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢) ، وسيأتي في هذا الجزء قانون التناقض بين الخلافة في الأرض وبين الإرهاب.

لقد كانت كيفية خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى معركة بدر شاهداً على أنهم لا ييغون الغزو أو القتال أو الإستيلاء على قافلة أبي سفيان من جهات :

الأولى : قلة عدد المهاجرين والأنصار الذين خرجوا مع النبي وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر .

الثانية : عدم وجود سيف عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخرج من المدينة في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وليس معه

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) سورة النمل ٦٤.

سلاح إلا سلاح النبوة والتنزيل ، فكان النصر المبين ، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١) .

الثالثة : ليس مع المسلمين إلا فرس واحدة بينما كان عند المشركين مائة فرس ، وكان أكثرهم رجالة .

الرابعة : كان مع المسلمين ثمانية سيوف وستة أدرع ، ومع هذا أنعم الله عز وجل على المسلمين برؤية المشركين لهم ، وكأنهم بمثل عددهم ، إذ كانوا نحو ألف زحفوا من مكة لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه قال لهم (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) .

قال تعالى ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ﴾^(٢) .

(كان المشركون يرون المسلمين مثلهم فلما أسروهم سألهم المشركون كم كنتم؟

قالوا : ثلاثمائة وبضعة عشرة ،

قالوا : ما كنا نراكم إلا تضاعفون علينا)^(٣) .

وفيه شاهد على عدم الحاجة للجوء إلى الإرهاب والظلم لأن الله عز وجل يظهر الحق ، ويدفع بأية منه المعتدي الذي يصبر على القتال .

وقال عبد الله بن الزبيري ، وكان كافراً آنذاك يتفاخر بنيلهم من

المسلمين يوم أحد وكأنهم ثأروا من كثرة خسائهم يوم بدر)

يا غرابَ البينِ أسمعْتَ فقل ... إنما تنطقُ شيئاً قد فعل ...

إن للخير وللشر مدى ... وكلا ذلك وجه وقيل ...

إلى أن قال :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بيدرَ شهدوا ... جَزَعَ الخُزْرجَ من وقعِ الأسَلِ

(١) سورة المدثر ٣١ .

(٢) سورة آل عمران ١٣ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٢١/٣ .

حين حَكَّتْ بِقَبَاءِ بَرَكْهَا ... واستحر القتل في عبد الأشبل
ثم خَفُوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقْصَا ... رقص الحفَّان يعلو في الجبل
فقتلنا الضعف من أشرافهم ... وعدلنا مِيلَ بدر فاعتدل^(١).

ويدل هذا الشعر على أن المشركين هم الذين قاموا بالغزو في معركة
أحد ، وأنهم لم يكونوا في حال دفاع في معركة بدر ، لبيان قانون وهو أن
معارك الإسلام الأولى كانت بتعد وظلم وغزو من قبل المشركين .
وباشعار المشركين بخصوص معركة أحد دليل على أن النبي محمداً
صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا في حال دفاع يوم معركة بدر
وكذا في معركة أحد .

ويدل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(٢) على أن المسلمين كانوا
في حال دفاع يومئذ ، ومضطرين لصدد هجوم وغزو المشركين الذين لم
يرضوا يومئذ إلا بقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستئصال
الإسلام ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

وتدل الآية أعلاه على نعمة الله على المسلمين بظهور دين الإسلام ،
وتحقق الأمن والأمان للمشركين ، فيجب الشكر لله عز وجل على هذه
النعمة بتعاهد الأمن للمسلمين والناس جميعاً .

عن (دينار مولى أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم إن ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربعة وعشرون ساعة ،
لله سبحانه في كل ساعة ستمائة ألف عتيق من النار)^(٤).

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٢٧.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

(٣) سورة التوبة ٣٢.

(٤) الكشف والبيان للثعالبي ١٢/٢٥٩.

ليبان الدقة في ضبط الوقت بلحاظ ساعة الليل والنهار وامكان تقسيمها إلى دقائق ، وهو الذي عليه حساب الوقت عند كل الأمم .
ومثلما جاء الإسلام بالضبط في العبادات وأحكام المعاملات ، وفي الوقت فانه يدعو للضبط في الصلوات الإجتماعية التي تتقوم بالإحسان للغير وإجتنب الظلم ، ونبد العنف والقسوة والشدة ، أشد ضروب الشدة ، والفتك الإرهاب .

ومن أهم وسائل محاربة الإرهاب تعاهد الفرائض العبادية خالصة لله عز وجل ، لبيان قانون أن قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ^(١) باعث للنفرة من الإرهاب وسبب للإبتعاد عنه .

ومن خصائص دعاء الأنبياء أنه حرب على الإرهاب وزاجر عنه ، وبيان قانون وهو أن المؤمن إذا كانت عنده حاجة أو شكوى فانه يتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء ، ويتحلى بالصبر ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ^(٢) وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٣).

لقد شاء الله عز وجل أن يحفظ الأنبياء السابقين ورسالاتهم في الأرض ببركة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليتعظ الناس من ذكرهم وقصصهم في القرآن .

وهل يمكن القول أن كل نبي كان ينهى عن الإرهاب ، الجواب من جهات :

الأولى : من الدلائل مجئ كل نبي بقانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإرهاب من المنكر ، وفيه أذى للذات والملة التي ينتمي إليها صاحبه وللناس جميعاً .

(١) سورة النور ٥٦.

(٢) سورة آل عمران ٥٤.

(٣) سورة آل عمران ٦٦.

الثانية : محاربة الأنبياء الظلم والتعدي سواء كان على نحو القضية الشخصية أو النوعية العامة .

وعندما يطغى ملك جبار في الأرض يبعث الله عز وجل نبياً ليجتج عليه ويدعوه إلى عبادة الله ، وغالباً ما يلقى النبي بسبب جداله واحتجاجه ودعوته الأذى الشديد ، من الملك والذين من حوله ، وقد يقومون بقتله .

ولما ادعى ثمرود الربوبية بعث الله عز وجل له إبراهيم عليه السلام رسولاً منذراً وهادياً ، ويحتمل موضوع إحتجاج إبراهيم عليه السلام على ثمرود وجوهاً :

الأول : إرادة إقامة الحجة على ثمرود ودعوته للإسلام .

الثاني : تنبيه وإنذار الملأ والوزراء ممن حوله .

الثالث : إطلاع أهل مكة على مضامين الإحتجاج وبعث النفرة في نفوسهم من إدعاء ثمرود الربوبية .

الرابع : تناقل الركبان أنباء الإحتجاج .

الخامس : تجلي قانون لعامة الناس وهو هناك من يدعو إلى التوحيد ، وإختصاص الربوبية بالله عز وجل .

وقد أنعم الله عز وجل على المسلمين والمسلمات بتلاوة كل واحد منهم قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) لقانون من فيوضات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو تجديد إعلان التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها عدة مرات في اليوم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) لبيان فضل الله عز وجل على الناس برسالة وجهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في استئصال الكفر والضلالة .

(١) سورة الفاتحة ١.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

وكذا حينما أدعى فرعون الربوبية أرسل الله عز وجل موسى عليه السلام ، وجعل معه هارون نبياً ، وفي التنزيل حكاية عن موسى عليه السلام ﴿وَجَعَلْ لِي زَئِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^(١) .

ليبان أن الأنبياء يحاربون الشرك وإدعاء الربوبية لمنع الطغيان والغرور ، ويؤسسون لإستئصال الإرهاب والمنع من صيرورته قانوناً ومنهاجاً .

الثالثة : تحلي الأنبياء بالصبر والخلق الحميد ، وبيان القرآن لقانون ، وهو أن الصبر طريق للفرج ، وقضاء الحوائج ، وحجة على الذي يختار الإرهاب لتحقيق غاياته ، إنما يقوم الدين بالدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة والزهد ، وعدم إيذاء الناس .

لقد أحب الله عز وجل الأنبياء وجعلهم أئمة وقادة للأمم ، وهل منهاجهم من الصراط المستقيم في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) ، الجواب نعم ، وهو من الشواهد والأسباب على كثرة ذكر كل واحد منهم في القرآن ، فمن الإعجاز في المقام أنه ليس من نبي إلا وقد ذكر فيه أكثر من مرة ، مع تفرع آيات ومضامين قدسية عن هذا الذكر . وفيه دعوة للتحلي باخلاق الأنبياء والتتزه من الإرهاب ، والتبرأ من فعله وسنخيته .

لقد احتج الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) فجاء الجواب من عند الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

(١) سورة ط ٢٩-٣٢ .

(٢) سورة الفاتحة ٦ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

ومن علمه تعالى ذكر اسماء طائفة من الأنبياء في القرآن لتكون قصصهم وجهادهم مرآة لقصص وجهاد جميع الأنبياء ومدرسة تنير مسالك الهدى للمؤمنين والمؤمنات ، بالتعاون لنشر الصلاح والإصلاح ، ونبذ الفساد والقتل .

لقد ذكر الملائكة في الآية أعلاه أمرين :

الأول : الفساد في الأرض .

الثاني : سفك الدماء .

والإرهاب جامع لهما ، لذا لا بد من التحذير والإنذار منه ، وهجرانه . والله عز وجل خالق وإله كل شئ له الاسماء الحسنى ، وهو بائن عن خلقه ، الذي يبعث الناس جميعاً من القبور ليتعضوا بين يديه للحساب ليفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات باللبث الدائم في النعيم ، ويساق الذين كفروا إلى النار لأنهم إختاروا الجحود بربوبيته وارتكبوا المعاصي ، ونزل القرآن للتحذير والإنذار والوعيد لمن يحمد بالله تعالى ومن يرتكب المعصية .

ومن أظهر المعاصي الفساد في ذاته وأثره ، وهو الذي حذر منه الملائكة يوم خلق الله عز وجل آدم ، إذ ورد حكاية عنهم في القرآن ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سُبِّحُ بِحَمْدِكَ وَقَدْ سُلِّمَ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) ومن وجوه الفساد :

الأولى : الكفر بالله .

الثانية : إنكار النبوات .

الثالثة : الظلم .

الرابعة : الفسوق والفجور .

الخامسة : الإضرار بالناس كأفراد وجماعات .

السادسة : التعدي على المصالح العامة .

ولم يختص احتجاج الملائكة بشطر من الناس بل هو عام ويتعلق بعالم الأفعال والسلوك ، فحتى الذي يقف بين يدي الله للصلاة وفق ملته ودينه يجب أن يتنزه عن الفساد الذي احتج عليه الملائكة وخشوا على الناس أن يكون سبباً لدخول النار ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَتَقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ يَقُطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(١) ويبين احتجاج الملائكة أعلاه حبهم لجنس الإنسان وغبطتهم بتوليهِ الخلافة في الأرض وهم يعلمون أن في الخلافة النبوة والرسالة.

وقد نزل القرآن من عند الحكيم العليم بالنهي عن الفساد وبخس الحقوق والسرقة وقطع الطريق ، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٢) وفيه نهى عن الإرهاب والتفجيرات العشوائية واتلاف المزروعات والتعدي على الأمنين والعقوبة بأكثر من الحد ، وتخويل الإنسان نفسه القيام بالعقاب .

وعن ابن عباس (في قوله { ولا تعتوا في الأرض }^(٣)) قال : لا تسعوا . وأخرج ابن جرير عن أبي العالية في قوله { ولا تعتوا في الأرض مفسدين } قال : لا تسعوا في الأرض فساداً .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله { ولا تعتوا } قال : يعني ولا تمشوا بالمعاصي .

(١) سورة الرعد ٢٥.

(٢) سورة الأعراف ٧٤.

(٣) سورة الأعراف ٧٤.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله { ولا تعثوا في الأرض مفسدين } ^(١) قال : لا تسيروا في الأرض مفسدين .

وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد قال : استسقى موسى لقومه فقال : اشربوا يا حمير : فقال الله تعالى له : لا تسمّ عبادي حميراً ^(٢) .

(وأخرج أحمد عن سهل بن الخنظلية قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة ، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش) ^(٣) .

ومن الشواهد على عظيم مرتبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء أن وصية لقمان لابنه خاصة ، ولكن القرآن وثّقها لتكون وصية وموعظة للناس ، وفيه مسائل :

الأولى : إنتفاع المسلمين من وصايا لقمان .

الثانية : حث الآباء على نصح ووعظ الأبناء .

الثالثة : دعوة الأبناء إلى البر بآبائهم .

الرابعة : تغشي الأخلاق الحميدة للمسلمين وأيامهم .

الخامسة : السياحة العلمية في وجوه الصلة بين آيات وصية لقمان لابنه .

السادسة : استنباط الدروس من مواعظ لقمان لابنه .

السابعة : الصلة بين آيات وصية لقمان لابنه والآيات المجاورة لها .

وهل في تسمية سورة باسم سورة لقمان دعوة عامة للعناية بقصة لقمان ووصاياها لابنه ، الجواب نعم ، ومع أن لقمان ليس بنبي فقد أكرمه

(١) سورة الأعراف ٧٤ .

(٢) الدر المنثور ١/١٢٦ .

(٣) الدر المنثور ٤/٢١٨ .

الله عز وجل ببيان صبره وحرصه على تأديب ابنه ليتعاهد المؤمنون معالم الإيمان من بعده .

الثامنة : لقد أخبر الله عز وجل عن كون قصص القرآن أحسن وأعظم القصص ، قال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قُلُوبِنَا الْغَافِلِينَ ﴾ ^(١) .

فجاءت قصة لقمان موعظة خالصة ، ومسألة ذاتية تتعلق بذات شخص لقمان وابنه ، فهي ليست موجهة بين الأنبياء ورؤساء الشرك ، وموضوعها ليس قتالاً بين المؤمنين والمشركين .

فمن خصائص الحياة الدنيا أن أكثر أيامها وأيام الإنسان خالية من الحروب والقتال ، وأكثر الناس تمر أيام حياتهم ولم يدخلوا معارك وحروباً ، ليكون كل يوم مناسبة للموعظة ومناسبة للذكر والدعاء ، وتعلم المعارف الربانية ، وكل قصة من القرآن مدرسة للإرتقاء في العلوم ، وذخيرة للملاقاة المسائل الإبتلائية ، وحرز في الشدائد .

لقد أحب الله عز وجل المسلمين وأكرمهم ، وجعل قصص الأنبياء والأولياء من جهات :

الأولى : حضور قصص الأنبياء والأولياء عند المسلمين كل يوم .

الثاني : دخول قصص الأنبياء إلى بيوت المسلمين ، وليس من بيت خال منها ، وكل فرد من أفراد الأسرة المسلمة يعلم بقصص عدد من الأنبياء ، وتتجلى موضوعية تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات في اليوم ، وهذه الخمسة ليست متحدة ، إنما هي متفرقة ، وهل من صلة بين نزول القرآن متفرقاً ومنجماً وبين تفريق الصلاة اليومية على آفات النهار والليل ، الجواب نعم ، فكل منهما قانون من الإرادة التكوينية تتجلى منافعه وبركاته على الناس كل يوم وإلى قيام الساعة ، وفي التنزيل

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) ، ومجموعها سبع عشرة مرة لأن في كل ركعة من الصلاة تلاوة للقرآن ، وهل يمكن القول تقرا وصايا لقمان من قبل المسلمين عدة مرات في اليوم ، الجواب نعم ، وهو من وجوه إحتجاج الله عز وجل على الملائكة بقوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) حينما تساءلوا يوم خلق الله آدم عن جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) وهو الذي يفسد فيها ويسفك الدماء ، لبيان قانون وهو أن ورود وصايا لقمان لابنه في القرآن مانع من الفساد وبرزخ دون سفك الدماء ، وهل هذا المانع يومي متجدد أم أنه قليل الحدوث .

الجواب هو الأول ، وهو من أسرار تلاوة المسلمين القرآن في الصلاة ، وحق الاختيار في قراءة أي آيات أو سورة من القرآن في كل ركعة وبعد سورة الفاتحة ، لذا ورد في وصايا لقمان التأكيد على ولده باقامة الصلاة .

وعن أبي ذر (قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أدلك عن كنز من كنوز الجنة قلت : بلى يا رسول الله . قال : لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة . قلت : فالصلاة يا رسول الله؟

قال : خير موضوع ، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر . قلت : فالصوم يا رسول الله؟

قال : قرض مجزئ . قلت : فالصدقة يا رسول الله؟ قال : أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد . قلت : فأيتها أفضل؟

قال : جهد من مقل وسر إلى فقير^(٤) .

(١) سورة التوبة ١٠٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) الدر المنثور ٢/٢١٥.

ومن الإعجاز في قوله تعالى ﴿نَحْنُ نُقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(١) عدم إنحصار الحسن بذات القصص إنما يشمل أموراً :

الأول : ورود هذه القصص في القرآن ، إذ تضيف عليها القرآنية صبغة العلم اللدني ، وفيه الأجر والثواب .

الثاني : إستقراء العلماء المسائل والمواعظ والعبر من قصة لقمان ، ووصيته لابنه .

الثالث : إقتداء المسلمين بلقمان في وصيته .

الرابع : إجتهد أبناء المسلمين في التحلي بالنهج القويم الذي دعا إليه لقمان .

الخامس : بيان قانون وهو حب الله عز وجل للمسلمين والمسلمات بتأديهم بسنن الأنبياء والصالحين ، إذ غادروا الدنيا ، والله عز وجل راض عنهم ، ففضل سبحانه وجعل سيرتهم ونهجهم ثروة وتركته للمسلمين في أجيالهم المتعاقبة إلى يوم القيامة .

ومن إعجاز القرآن ذكر تفاصيل وصية لقمان لابنه ، وهو أمر لا يحيط به علماً إلى الله عز وجل ، وليس هو من قصص بني إسرائيل وأنبيائهم ، وإن ذكر بأن لقمان كان في أيام النبي داود عليه السلام .

لقد أراد الله عز وجل إكرام الأولياء والصالحين في العراق بغض النظر عن لون البشرة وهيئة البدن .

لقد ذكر الله لقمان في القرآن ، وهو من باب المثال والبيان بخصوص الصالحين الذين اجتهدوا في جعل الصلاة وسنن التقوى تركة لأبنائهم ، وهو من مقدمات بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ دعا له إبراهيم وبشر به الأنبياء .

(عن أبي أمامة قال : قلت : يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام) ^(١).

وقد مهد الصالحون في سيرتهم الطريق لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليجد آذاناً صاغية للتنزيل وطائفة من الناس تتدبر في معجزاته ، وبين الذين تدبروا في معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين الذين دخلوا الإسلام عموم وخصوص مطلق ، فالذين تدبروا فيها هم أكثر وكانوا ينقلون إلى أهلهم الآيات ، ويذكرونها في مجالسهم وأحاديثهم ، ورب ناقل للإيمان ليس بمؤمن ، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ^(٢).

لقد كان الأنبياء ييشرون بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم آدم من أبي البشر عليه السلام .

(عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين) ^(٣).

لقد أنزل الله عز وجل القرآن ، وهو كتاب الإحسان للذات والغير في الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿وَأَنْتَ فِيمَا أَنْتَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ^(٤) لبيان قانون وهو إحسان العبد

(١) الدر المنثور ١/٢٦٨.

(٢) سورة محمد ٢٤.

(٣) الدر المنثور ١/٢٦٨.

(٤) سورة القصص ٧٧.

للناس من الشكر لله عز وجل على الإحسان إليه ، وأنى يدرك الإنسان عظيم إحسان الله عز وجل .

ولم تقيد الآية أعلاه ماهية الإحسان ، ولا الجهات التي يتوجه إليها الإحسان ، إنما هو عام يتغشى الناس جميعاً والمصالح العامة ، والعنف والإرهاب ضدان للإحسان .

فتدل الآية أعلاه في منطوقها ومفهومها على لزوم نبذ الإرهاب ومنع الناس منه ، ومن وجوه الإحسان :

الأول : طاعة الله عز وجل والرسول فهو إحسان للذات والغير ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ^(١).

الثاني : بر الوالدين والرفق بهما .

الثالث : إعانة الفقراء والمساكين .

الرابع : حسن الجوار ، (وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن نوف الشامي في قوله { والجار ذي القربى } ^(٢) قال : المسلم { والجار الجنب } قال : اليهودي والنصراني .

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري ومسلم عن عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .

(١) سورة الأحزاب ٧١.

(٢) سورة النساء ٣٦.

وأخرج البخاري في الأدب عن ابن عمر : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة ، يقول : يا رب هذا أغلق بابي دوني فمنع معروفه (١) .

وأختلف في حد الجوار (وروي عن أبي شريح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل : يا رسول الله ومن ؟

قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه (٢) .

وهل من الإحسان التقيد بالقوانين ومنها قوانين الدول التي آوت العرب والمسلمين ، الجواب نعم .

الخامس : العطف على اليتيم والرفق به وإعانتة ، وفي خطاب الله عز وجل لعامة المسلمين والمسلمات سمى الأيتام إخوانهم ، قال تعالى ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (٣) لبيان لزوم إكرام اليتامى وإعطائهم شأنًا في المجتمع فهو ورثة شأن آبائهم ، ثم أنهم يكبرون وهم يتعاهدون سنن التقوى . تتضمن الآية أعلاه دعوة المسلمين رجالا ونساء للتعاون في إصلاح اليتامى .

لقد جعل الله عز وجل القرآن دستوراً يهدي إلى الصلاح ، وتبعث آياته النفرة من الإرهاب بالحجة والبرهان ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

(١) الدر المنثور ٢/١١٥ .

(٢) تفسير القرطبي ٥/١٧١ .

(٣) سورة البقرة ٢٢٠ .

يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾.

حرر في ٣ شوال سنة ١٤٤٠ هـ
٧ / حزيران / ٢٠١٩

قانون غايات كتاب النبي (ص) وسرايا الصحابة

لكل فعل عن قصد وإختيار غاية وغرض للفاعل رجلاً كان أو امرأة متحداً أو متعدداً وتسمى العلة الغائية.

ومن الإعجاز في السنة الفعلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنها شعبة من الوحي ، وترجمة لآيات القرآن ، وقد اكرم الله إبراهيم وإسماعيل ببناء البيت الحرام ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١) ، ليكون هذا الرفع والنداء للحج مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإقامة دولة التوحيد ، واستئصال عبادة الأوثان .

وبعد أن هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة مكرهاً ومضطراً صارت قريش وبعض رجال القبائل من الكفار يجمعون الجيوش

(١) سورة الاسراء ٩.

(٢) سورة البقرة ١٢٧.

للإجهاز على الإسلام ، وقد قاموا بالهجوم والقتال كما في معركة بدر وأحد والخندق ، وقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج في كتائب من أصحابه حول المدينة ، وتسيير سرايا حولها وتوجيهها لبعض المقاصد والغايات الحميدة وهي :

الأولى : تفريق جمع المشركين الذين ينوون قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف أن المشركين كانوا يجمعون الجموع للإغارة على المدينة ، كما في جمع طليحة وسلمة ابني خويلد الأسدي للأحلاف للهجوم على المدينة^(١).

الثانية : حفظ سروح المدينة من الإبل والأنعام إذ يؤدي تعرضها للنهب وقتل الرعاة إلى الأسر والحزن في المدينة ، ويكون مادة لبث الذين نافقوا الأراجيف ، وتوجيه اللوم للمهاجرين والأنصار مجتمعين ومتفرقين ، أما المهاجرون فلأنهم قدموا إلى المدينة بدينهم وإيمانهم ، وأما الأنصار فلأنهم أواوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين .
وأما اللوم العام والجماعي الذي يوجهه لهم المنافقون فلأنهم السبب في قدوم جيوش قريش للقتال .

الثالثة : المراقبة حول المدينة خشية مداهمة العدو ، وامثالاً لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) والآية أعلاه خاتمة سورة آل عمران ، وهي سورة مدنية ، لذا ورد النداء فيها بصفة الإيمان .

وقد صدر الجزء السادس والثمانون بعد المائة من هذا السفر في تفسير الآية (١٧٩) من ذات السورة في نظم التفسير حسب ترتيب السور والآيات

(١) انظر الجزء الثاني والثمانين بعد المائة من هذا السفر ص ٢٥٣.

(٢) سورة آل عمران ٢٠٠.

والمرابطة مطلوبة بذاتها ، وهي بلغة ووسيلة لمنع العدو من التعدي والظلم ، وهي من عمومات قوله تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(١).

الرابعة : لقد خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة طريداً ، تلاحقه خيول قريش والذين جعلوا جعلاً وجوائز بمقدار ديته ودية صاحبه إذا جاءوا بهما فلم تمر بضعة شهور على هجرته إلى المدينة حتى صار النبي صلى الله عليه وآله يخرج في الكتائب ذات الألوية والرايات ويحيط به أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وفيه دعوة للإيمان . فمن فضل الله عز وجل أن الإنسان يرى المؤمنين فتميل نفسه إليهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٢).

الخامسة : بعث الخوف والفرع في قلوب الذين كفروا وإماتة روح التعدي والمناجاة بغزو المدينة ، لتكون هذه السرايا والكتائب من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

السادسة : حفظ سروح المدينة التي ترعى حوايلها ، وقد قام المشركون بالإغارة عليها ، ونهب عدد منها كما في قيام كرز بن جابر وأصحابه قبل أن يتوب ويدخل الإسلام ، وفي حفظ هذه السروح تعاهد للحالة المعاشية ونظام الأسعار في المدينة ، ومنع من الفتنة ، وكبت للمنافقين الذين في

(١) سورة الأحزاب ٢٥.

(٢) سورة مريم ٩٦.

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

وحول المدينة ، قال تعالى ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ﴾^(١).

السابعة : المحافظة على أموال يهود المدينة من بني قريظة وقينقاع والنضير بما فيها محلات الصياغة والحدادة التي لهم في المدينة ، وهو من مصاديق إجراء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معهم عهداً وميثاقاً .
الثامنة : التمرين والإستعداد للدفاع إن قام المشركون بالهجوم خاصة وأن تهديدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه متصل ويأتي على وجوه :

الأول : الرسائل التحريرية وهي على شعب :

الأولى : ما تكتبه وترسله قريش للمهاجرين .

الثانية : ما ترسله قريش للأنصار لأنهم قاموا بايواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأظهروا الإستعداد للدفاع عنه .

الثالثة : مكاتبة قريش لبعض الرجال من يهود المدينة ممن تربطهم معهم صلات تجارية لإرادة تحريضهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الرابعة : المكاتبات والرسائل بين كفار قريش وبعض المنافقين في المدينة.

الثاني : الرسائل الشفوية بواسطة الركبان والمسافرين .

الثالث : إخبار قريش لوفد الحاج والمعتمرين استعدادهم للهجوم والإغارة لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أما أصحابه فان قريش عازمة على صيورتهم على طوائف :

الأولى : طائفة تقتل .

الثانية : طائفة تؤسر .

الثالثة : طائفة تترك وشأنها .

الرابعة : إرادة قريش سبي النساء خاصة الأنصاريات لذا حينما رجع المشركون من معركة أحد ووصلوا إلى حمراء الأسد ثم إلى الروحاء ، ندموا وتناجوا بالباطل .

التاسعة : خروج السرايا والكتائب من المدينة نوع شكر عملي لله عز وجل على نعمة صيرورة المسلمين أمة تجتمع على الصلاح وأداء الصلاة ، وتستطيع الدفاع ودفع كيد الأعداء ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَثَمَةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

العاشرة : تنمية ملكة إعداد السرايا عند الحاجة ، وليس من حاجة في الغزو ، إنما تكون الحاجة والضرورة للتفكير عند مدهمة العدو المدينة ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَثَمَةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

الحادية عشرة : ملاقة الذين كفروا بالإصطفاف من غير وقوع قتال ، كما في أول سرية في الإسلام ، وهي سرية حمزة بن عبد المطلب إذ خرج معه ثلاثون صحابياً كلهم من المهاجرين ، فالتقوا مع قافلة يرأسها أبو جهل ومعه ثلاثمائة رجل ، فأصطفوا ، ولكن لم يقع بينهم قتال ، وقد تقدم الكلام فيه مفصلاً ، وكيف أنه أماره على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمر حمزة وسريته بالقتال .

(١) سورة القصص ٥.

(٢) سورة القصص ٥.

لقد كانت كُتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

وهل في الآية بشارة سيادة عقيدة التوحيد ، الجواب نعم ، وهو الذي تدل عليه الآية أعلاه ، وتبين الآية عطف الوراثة على المن ، ويحتمل وجوهاً :

الأول : إنه من عطف المغاير .

الثاني : إنه من عطف الخاص على العام .

الثالث : إنه من عطف العام على الخاص .

الرابع : عطف الدائم على المؤقت .

الخامس : لأن الوراثة دائمة ، فهو من عطف المؤقت على الدائم .

السادس : عطف المتحد على المتعدد بلحاظ أن المن من عند الله متعدد

سواء الذي على الفرد او على الجماعة.

السابع : إنه من عطف الظاهر على الخفي .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق الآية الكريمة ، والتي لا تنقضي تجلياتها في الرفعة والشأن للمؤمنين وإقامة الفرائض ، وتدل الآية على أن الحكم والسيادة لا تأتي بالإرهاب والتفجير العشوائي إنما تأتي بالعدل والإستقامة والصلاح.

لقد أثنى الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين الغايات السامية التي جاهد من أجلها ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٣) لبيان أن الرحمة

(١) سورة القصص ٥.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

الإلهية في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتغشى الناس جميعاً ،
فليس من انتقام أو بطش في منهاج السنة النبوية .

لقد أنعم الله عز وجل على الناس ببيان الغايات الحميدة للأنبياء ، وفيه
منع لأتباعهم من الغلو والتطرف والإضرار بالناس والمصالح العامة
والخاصة ، وهل إدخال الخوف في قلوبهم بغير حق من الإضرار ، الجواب
نعم ، إذ يجب أن يتوجهوا بالشكر إلى الله عز وجل على نعمة الهداية
واقتران السلامة والسلامة بها ، قال تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ
الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾^(٢).

ترى لماذا يخرج النبي أحياناً في كتائب وأحياناً أخرى يبعث أصحابه في
سرايا ، الجواب إنه من الوحي ، ولا يعلم السبب والغاية منه إلا الله عز
وجل لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ
يُوحَىٰ﴾^(٣).

ولا بأس بتتبع الكتائب والسرايا من جهات :

الأولى : زمان خروج الكتيبة والسرية .

الثانية : أسباب الخروج .

الثالثة : الوقائع والأحداث المصاحبة للكتيبة أو السرية .

الرابعة : المقصد والجهة التي تقصدها الكتيبة أو السرية .

الخامسة : الغايات السامية من الكتيبة أو السرية .

السادسة : النتائج والثمار لكل كتيبة وسرية ، قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ

(١) سورة سبأ ٢٨ .

(٢) سورة القصص ٨٦ .

(٣) سورة النجم ٣-٤ .

مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١﴾

سرية عبد الله بن أنيس إلى شخص واحد

لقد اتصفت الأشهر التي أعقبت معركة بدر التي وقعت في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بالهدوء وعدم وقوع قتال ومعارك فيها لأن المشركين تعرضوا إلى هزيمة شديدة فيها فأصابهم وحلفاءهم الذهول المقترن بالإحباط ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١) عموم الخيبة للذين خسروا المعركة والذين من خلفهم ، وتقدير الآية أعلاه على وجوه :

الأول : فينقلب المشركون من المعركة خائبين .

الثاني : فينقلب المشركون إلى قوم خائبين .

الثالث : فينقلب المشركون خائبين هم وحلفاؤهم .

الرابع : فانقلبوا خائبين في قولهم وفعلهم .

الخامس : فانقلبوا خائبين ليقعدوا عن القتال ، ويكفوا عن محاربة

الرسول.

فتلك الخيبة رحمة بهم ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) والتفت رجال قريش إلى حال الإحباط والخيبة هذه وكيف أنها تغشتهم وأعوانهم وعوائلهم وحلفاءهم ، وصارت مناسبة لانتشار الإسلام ، فهو لم ينتشر بالسيف .

(١) سورة الأنفال ٦٠.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

فمن وجوه انتشاره رجوع جيش الذين كفروا من المعركة خائبين لأنهم هم الذين اختاروا المعركة وأوانها ومكانها واستعدوا لها ، وحرصوا القبائل ، وجعلوا أهدافاً معلنة لها ، منها قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وليكون هذا الهدوء مناسبة ومقدمة ليتحلى المسلمون بالتقوى ، ويتوجهوا الى الله تعالى بالشكر والثناء على نعمة النصر وما ترشح عنه من الأمن ، إذ كان المشركون يهمون بغزو المدينة ولو لم تقع معركة بدر لهجموا مع تدبير واستعداد ومكر أكثر ، فاستدرجهم الله وأظهروا الضغائن ، قال تعالى ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ^(١).

لقد أذن الله بوقوع معركة بدر ليزداد المسلمون إيماناً وهو من التقوى الذي تذكره الآية ، ويتدبر المشركون باصرارهم على التعدي وسوء إختيارهم ، ويذموا أنفسهم على البقاء على الكفر والجحود . لقد نصر الله المسلمين في معركة بدر ، ليمتنعوا عن الإرهاب ، ولا يلجوا أبوابه ، إذ يدل هذا النصر على عدم الحاجة إليه والى يوم القيامة فالواجب هو الشكر لله عز وجل ، ويبعث هذا الشكر الطمأنينة في نفوسهم ونفوس الناس جميعاً.

وفي كل الأزمنة ترى الحكومات والقيادات تجعل نائباً ووكيلاً للقائد ، وولي عهد له فإذا قتل أو مات يقوم مقامه ويأخذ ذات صفته ومرتبته ، إلا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فليس من نبي غيره أو بعده ، ولا ينزل القرآن إلا عليه .

وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ ينزل عليه القرآن مفزقاً ومنجماً ، وهو وسط الميدان ، والكفار يريدون قتله ولم ينزل

بعد نصف آيات القرآن ، قال تعالى ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾^(١) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ، قالوا : للذي قال : الحق وهو العلي الكبير^(٢).

وقضاء الأمر في السماء أعم من نزول الآيات ، ومنه أمر الله عز وجل للملائكة بالنزول مدداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة بدر ، ومنه الأمر بنصر المسلمين فيها إذ أخبرت آية (بدر) عن تحقق النصر وهل هو أمر متحد أم متعدد في نزوله من السماء الجواب هو الثاني . فلم يرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيره أميراً إلى معركة أحد مع أنها من احلك الأحوال ، ولم يبق في المدينة ، ولم يفر عندما صار أكثر أصحابه بين قتيل ومنسحب من المعركة ، بل بقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موضعه وطالته حجارة الذين كفروا وتعددت جروحه ، وهو وسط الميدان ليكتب الله له السلامة والنجاة ، فتشرق على الدنيا آيات من القرآن تكون نبزاً وسبيل هداية ، قال تعالى ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

لقد التفت كفار قريش إلى حال الإحباط التي سادت في مجتمعاتهم فلجأوا إلى أمور :

(١) سورة الإسراء ١٠٦.

(٢) الكشف والبيان ٢١٥/١١.

(٣) سورة آل عمران ١٥٣.

الأول : السعي في الإعداد لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : قيام مشركي قريش بالإعلان العام عن قرب هجومهم على المدينة وقتلهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولأن مكة (أم القرى) ويفدها الحجاج والمعتمرون من كل أنحاء الجزيرة ومن اليمن وغيرها فقد شاع أمر هذا الإعلان العام وصار الناس يناقشون الأمر ومدى ظلم قريش فيه ، وكانوا يحسبون عدد وعدة ومؤن كل طرف ، كما يجري في هذا الزمان بدراسات وإحصائيات حول عدد جيوش وأسلحة كل طرف من الأطراف التي يحتمل أن تدخل معركة .

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(١) ، استتاج الكفار من الإحصائيات قوة ومنعة المسلمين ، فلا يجرأون على الهجوم والإغارة عليهم ، نعم كانت حسابات وإحصائيات المشركين وبالأعلى عليهم فمثلاً كان عندهم يوم بدر مائة فرس ، وليس عند المسلمين إلا فرسان مما أغراهم بالمسلمين ، لبيان أن الإرهاب وإصرار المشركين على القتل والقتال يؤدي الى الخسارة .

وعن الزهري قال : سمعت ابن المسيب يقول : غزا النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة غزوة قال : وسمعت مرة أخرى يقول أربعاً وعشرين غزوة ، فلا أدري أكان وهماً منه أو شيئاً سمعه بعد ذلك^(٢) ، ويدل الاختلاف في عدد غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى عند

(١) سورة الانفال ٦٠.

(٢) الدر المنثور ٤٢١/٢.

العالم والمؤرخ الواحد عدم ثبوت عدد منها ، والمختار أنه ليس من غزوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وكانت كفة قريش في تلك الحسابات والإحصائيات هي الراجحة ، ولكن الناس صاروا يلتفتون إلى القوى الغيبية والمدد الملكوتي الذي يحضر مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المعركة ، والذي ظهر للناس جميعاً بنصره في معركة بدر مع قلة أصحابه والنقص في أسلحتهم ، وهو من مصاديق وصف المسلمين بالذلة بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾^(١) .

ومن معاني الذلة في المقام أمور :

الأول : قلة التمرين .

الثاني : عدم التأهل لقتال العدو .

الثالث : ضعف الأبدان .

الرابع : قلة العدد ، قال ابن عباس : كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً ، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان المشركون ما بين تسعمائة وألف^(٢) .

الخامس : النقص في العدة والأسلحة .

السادس : عدم وجود خيل عند المسلمين إلا فرسين .

وفيه حجة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يهاجم الكفار في عقر دارهم ، ولم يغزهم ، وأنه كان يرضى منهم الكف عن غزوه وأصحابه ، ولكنهم أصروا على أمور :

الأول : الإقامة في مستقع الكفر .

الثاني : الهجوم المتكرر على المسلمين .

(١) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٢) النكت والعيون ٢٥٥/١ .

الثالث : الإغارة على أطراف المدينة .

الرابع : الاستهزاء بالتنزيل .

ورمت قريش النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالسحر لدخول الناس جماعات في الإسلام ولم يعلموا أن الذين سيدخلون الإسلام بعد فتح مكة أفواج ليس جماعات ، قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (١) .

ومن شدة عداة الكفار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والتنزيل أنهم توجهوا إلى المسلمين بالذم والتوبيخ لحثهم على الإرتداد ، قال تعالى ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (٢) .

وذكرت الآية أعلاه النعت (الظالمون) لبيان أن الكفار ظالمون لأنفسهم والناس جميعاً وأن العزم على دخول الإسلام والثبات في مقام الهدى جهاد.

ولم يكن تحقق هذا الإيمان بالغزو ، إنما بالمعجزات في دعوة إلى نبذ القتال والإرهاب والإرهاب الموازي ، فذات الإرهاب قبيح ولا يترشح عنه إلا الأذى والضرر للناس ، وليس في القرآن لفظ الإرهاب أو ما يدعو إليه أو يثني إليه.

إنما جاءت آيات القرآن بالدعوة إلى الرحمة والصبر والاجتهاد في العبادة والتقوى ، ليدل بالدلالة الإلزامية على لزوم إجتنب الإرهاب والإبتعاد عن مقدماته وأسبابه ، بالإضافة إلى مسألة وهي ثبوت الإستغناء

(١) سورة النصر ١-٣ .

(٢) سورة الفرقان ٨ .

عنه عقلاً وشرعاً ، مع إدراك الحاجة إلى التعاون لإستتصاله ﴿بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١).

وهل إجتماع المشركين للإغارة على المدينة من الإرهاب ، الجواب
نعم لذا وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم السرايا لتفريقهم ، والإكتفاء
بهذا التفريق .

ومنه سرية عبد الله بن أنيس إذ بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
إلى خالد بن سفيان الهذلي بمفرده في الخامس من محرم من السنة الرابعة
للهجرة أي في ذات الأسبوع الذي خرجت فيه سرية أبي سلمة بن عبد الله
الأسد المخزومي إلى قطن عندما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن
طليحة وأخاه سلمة ابني خويلد يحرضان على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم ويجمعان الجيوش للإغارة على المدينة .

وقيل أن أبا سلمة المخزومي هو أول من هاجر إلى المدينة ، والصحيح
أن أول من هاجر هو مصعب بن عمير (وحبس بنو المغيرة عنه امرأته بمكة
نحو سنة)^(٢).

ثم أذنوا لها بعد أن يأسوا منها إذ أظهرت الثبات على الإيمان ،
وصاروا يخشون على أهلهم لأن هذا الثبات دعوة لهم للإيمان .

فانطلقت وحدها مهاجرة ، وفي التنزيل ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي
سَيَهْدِينِي﴾^(٣) حتى إذا كانت بالتنعيم ، لقيت عثمان بن طلحة من بني
عبد الدار وهو على الكفريومئذ ، ويعد التنعيم عن البيت الحرام نحو ستة
كيلو متر ، وهو أقرب اماكن الحل للحرم المكي لذا يعتمر منه أهل مكة

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) عيون الأثر ١/ ٢٢٧.

(٣) سورة الشعراء ٦٢.

والحجاج والمعتمرين ، وسمي التنعيم لأن الجبل الذي يشرف عليه من الجنوب الغربي اسمه نعيم ، والجبل الذي يطل عليه من جهة الشمال الشرقي اسمه ناعم ، واسم الوادي نعمان .

وعلم عثمان أنها تريد اللحاق بزوجها في المدينة فشيّعها حتى أوفى على قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، فقال لها : زوجك في هذه القرية فادخليها ثم أنصرف راجعاً إلى مكة .

وكانت أم سلمة تقول (وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ) ^(١).

وهل استمرت أم سلمة على هذا القول حتى بعد زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أنها تقصد المسلمين من غير بيت النبوة . الجواب هو الثاني ، وستأتي ترجمة أم سلمة في ترجمة أمهات المؤمنين.

وقيل بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أنيس إلى سفیان الهذلي ، وهو غير سليمان الهذلي الذي أدرك أول الإسلام والذي يروي عنه ولده النضر قال : فلما كنا بين الزرقاء ومعان قد عرسنا من الليل إذا بفارس يقول أيها النيام هبوا فليس هذا بحين رقاد قد خرج أحمد وطردت الجن كل مطرد .

ففزعنا ونحن رفقة جراحة كلهم قد سمع هذا فرجعنا إلى أهلينا فإذا هم يذكرون اختلافا بمكة بين قريش نبي خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد ^(٢).

ثم سمع ابنه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لو يعلم الناس ما في شهود العشاء الآخرة والصبح ، لأتوهما ولو على الركب ^(٣).

(١) الروض الأنف ٢/٢٩٠.

(٢) السيرة لابن هشام ١/٤٦٨.

ومن الآيات أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث عبد الله بن أنيس وحده فهو بشخصه سرية ، وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم له آية ، وهي رعدة تأخذ عبد الله بن أنيس عند لقائه بخالد بن سفيان وعندما التقى به أصابته الرعدة.

ولم ينتظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتشاد الجموع عند خالد بن سفيان الهذلي لإقامة الحجة عليهم والإجهاز عليهم ، إنما بعث لخصوص خالد بن سفيان لدرء الفتنة واستئصال الرأس وحده الذي يحرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ويسعى في تحشيد الجموع خاصة بعد معركة أحد ، ونزول الخسارة الفادحة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وقال عبد الله بن أنيس (وَأَسْتَأذَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقُولَ فَقَالَ: "قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ")^(١).

أي عندما يصل الى خالد بن سفيان يقول كلاماً فيه تورية ، وكأنه مؤيد لما يقول به خالد بن سفيان من الضلالة وسوء النية ليجعله يطمأن له .

وغاب عبد الله بن أنيس ثماني عشرة ليلة عن المدينة ليعود يوم السبت لسبع بقين من المحرم^(٢) ، ويخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قتل خالد بن سفيان ، فاعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عصا ، وقال هذه علامة بيني وبينك يوم القيامة فأمر عبد الله أهله أن يدرجوها في أكفانه عند دفنه.

وهل يدل وصول أخبار هذه التجمعات والتحشيد ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين على وجود شبكة من العيون

(١) اسد الغابة ٦٢/٢ .

(٢) مغازي الواقدي ٥٣٢/٢ .

(٣) مغازي الواقدي ٢/١ .

والجواسيس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يمدونه بالأخبار والمعلومات عن تحركات المشركين كما قيل .

الجواب لا ، فليس عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم عين أو جاسوس ، إنما يأتي الناس بالأخبار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه :

الأول : وجود مسلمين في المدن والقرى المتفرقة ، وهو من أسرار بقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث عشرة سنة يدعو الناس في موسم الحج وفي مكة للإيمان ، وكان يطوف على القبائل في منازلها في أسواق مكة وفي منى في شهر ذي القعدة وذو الحجة ، ويتلو عليهم آيات القرآن ، ويسألهم الإيمان أو الإكتفاء بكتمان أمره .

فيرجع الحجاج إلى مدنها وقراها وقد حملوا لأهلهم تحفة آيات القرآن ونبا البعثة النبوية ، ويتلو على الناس ما سمعوه من الآيات ويتدبرون في معانيها ، وقد ينقلها بعضهم بصيغة الإستهزاء فيتلقاها الناس بالتصديق ، ليقوموا بنقل أخبار الذين كفروا ومكرهم ، وهذا النقل من فضل الله ، قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤُودًا﴾^(١).

ويقوم المسلمون في تلك القرى والمدن بنقل أخبار وسعي الذين كفروا في حشد الجموع لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرصاً على سلامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ولدفع الأذى عن أنفسهم ، إذ يخشى المسلمون الذين بين الكفار أن تصل النوبة إلى قتلهم أو إيذائهم

حملهم على الإرتداد ، قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾^(١).

الثاني : وجود خلاف بين القبائل يجعل أهلها ينقلون الأخبار كما في حلف خزاعة مع بني هاشم ، وكما في الاختلاف بين الأوس والخزرج مع غيرهم .

الثالث : يتناقل الركبان آنذاك أخبار الوقائع والأحداث ، والعزائم ومقدمات القتال ، ليكون من بركات البيت الحرام وصول أخبار المشركين الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يفيد احترازه وأصحابه ، وهو من أسرار قوله تعالى في إبراهيم ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢) .

فيأتي الناس للحج ليتبادلوا أطراف الحديث ، ويذكر كل واحد منهم ما يحدث في ناحيته ، وكيف أن طبول الحرب والتعدي تدق للإغارة على المدينة .

فان قلت هل ينقل الناس أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، الجواب نعم ، خاصة مع وجود المنافقين في المدينة والمصلات التجارية لأهلها من الأوس والخزرج واليهود مع القبائل العربية ، فيقوم الذين يقدون إلى المدينة بنقل انقطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى الذكر والتسبيح والصلاة فيكون سبباً لميلهم إلى الإسلام ، ويعودون دعاة له حتى وإن لم يدخلوا فيه .

وأخرج ابن مردويه والديلمي عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : قل : اللهم اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) سورة الحج ٢٧.

عندك ودّاً ، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً} ^(١) قال : فنزلت في علي ^(٢) . وأخرج (عن عبدالله بن عوف : إنه لما هاجر إلى المدينة؛ وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة منهم : شيبه بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأميه بن خلف ، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ^(٣) ^(٤) .

ولكن عبد الله بن عوف وجد في نفسه وأصابه نوع حزن على فراق أصحابه على قول ، أما موضوع الآية أعلاه فهو أمر مختلف إذ يتضمن الإخبار عن حصول الود والرافقة في قلوب الآخرين للمؤمن الذي يعمل الصالحات ، وهذا الود عام يقع في قلب المؤمن والكافر . وحتى مسألة صبر الصحابي على الكفار لم تثبت .

الرابع : من خصائص العقل العام النفرة من القتال والإعداد له ، فترى أكثر الناس لا يميلون الى القتال ، وبينما ترى طائفة من الناس تشحذ السيوف ، وتلقي الأشعار وتتناجى بينها للقتال تجد أكثر الناس يكتفون بالنظر إليهم مع استهجان مسألة القتال ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٥) ، في احتجاج الله عز وجل على الملائكة عندما قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

(١) سورة مريم ٩٦ .

(٢) الدر المنثور ٦/٤٩٠ .

(٣) سورة مريم ٩٦ .

(٤) الدر المنثور ٦/٤٩٠ .

(٥) سورة البقرة ٣٠ .

لَكَ^(١)، لبيان قانون وهو أن الذين تنفر نفوسهم من القتال ، ولا يقربونه أكثر ، ويتحدث الناس أحياناً عن الوقائع والأحداث ليس بقصد النقل والتجسس ، فيصل الى أسماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بفضل ولطف من الله .

الخامس : فضل الله عز وجل بتسخير بعض الأشخاص لفضح الذين كفروا في تأمرهم وكيدهم ، ونقل أخبارهم ، وسعيهم للهجوم على المدينة وإرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢).

وعبد الله بن أنيس الجهني ثم الأنصاري ، عقبى حضر بيعة العقبة .
وشهد معركة أحد وما بعدها .

وروى عنه جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبو أمانة وعدد من التابعين ، وله من الأولاد : عطية وعمرو وضمرة وعبد الله .

وعبد الله بن أنيس هو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ليلة يأتي بها ، إذ قال : يا رسول الله إني رجل شاسع الدار^(٣) ، فمرني بليلة أنزل لها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انزل ليلة ثلاث وعشرين من رمضان^(٤) وتسمى ليلة الجهني .

ليستقرأ من الحديث أنها ليلة القدر ، وقال عبد الله بن أنيس ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي جمع الناس ليغزوني ، وهو بعرة وفي رواية (وهو بنخلة أو عرة) فاته فاقتله .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة المدثر ٣١ .

(٣) شاسع الدار أي مسكنه بعيد .

(٤) معرفة السنن والآثار ٣١١/٧ .

وفي الحديث شاهد على أن الكفار يريدون غزو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأت هذا الغزو من جهة أو طرف واحد .

ووادي عرنة واد طويل يمر من جنوب مكة على حدود الحرم من جهة الغرب عند مسجد ثمرة ، ويمتد حتى يفيض في البحر جنوب مدينة جدة على مسافة ثلاثين كيلو متر منها ، وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ارتفعوا عن وادي عرنة بعرفات^(١).

وعن حبيب بن خماسة الخطمي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بعرفة : عرفة كلها موقف إلا بطن عرنة ، والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر^(٢).

ووادي عرنة ليس من أرض عرفات عند الفقهاء ، إلا عند الإمام مالك ، والوقوف بعرفة هو الركن الأعظم للحج ، وهو المنسك الوحيد فيه الذي يقع خارج الحرم.

وعرنة التي خرج إليها عبد الله بن أنيس من جهة الوادي الذي هو أقرب إلى المدينة منه إلى مكة خاصة وأن مدة غيابه عن المدينة ثمانية أيام . إنما تتعدد الجهات والجماعات الذين يريدون غزو النبي في المدينة لبيان شدة الأذى الذي يلاقيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصار ومع هذا يتم بيان الأحكام وتثبيت السنن ، وهو معجزة حسية أخرى للنبي وفي حين ورد بخصوص سرية أبي سلمة المخزومي إلى طليحة بن خويلد أن رجلاً من طي جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عن قيام طليحة بجمع الحشود للإغارة على المدينة وإرادة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الوسائل ٥٣٣/١٣.

(٢) معرفة الصحابة ٢٩٠/٦.

استدعى عبد الله بن أنيس وقال له (بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني - وهو بنخلة أو بعرة - فأتته فاقتله) ^(١).
 فاخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما بلغه من مكر وسعي خالد بن سفيان الهذلي من غير أن يذكر جهة صدور الخبر ، ويحتمل وجوهاً :
الأول : جاء الإخبار بالوحي .

الثاني : إخبار جماعة .

الثالث : قيام شخص بالإخبار ، وخشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه .

الرابع : تعدد الإخبار من الوجوه أعلاه .

الخامس : مجئ شخص بالخبر ، ونزل الوحي بتصديقه .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن الآيات أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر اسم خالد واسم أبيه واسم جده ولقبه لمنع الجهالة والغرر ، وللإحتراز في الدماء ، إنما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضطراً للأمر بقتله لإستئصال الفتنة ، ومنع سفك الدماء من المسلمين وعامة أهل المدينة والكفار وأبناء القبائل ليكون من عمومات قوله تعالى ﴿وَأَقْوَاتِنَا لِأَنْصِيْنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ^(٢) .

وفيه استئصال للإرهاب ، وحجبه عن الناس ، ومنع إفتنائهم برجل فتنة وضلالة .

(١) تاريخ الرسل والملوك ٩٦/٢.

(٢) سورة الأنفال ٢٥.

فأراد عبد الله بن أنيس التعرف أكثر على شخصه فقال : يا رسول الله ، انعت لي حتى أعرفه قال : إذا رأيته وجدت له قشعريرة^(١) .
وعن عروة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : إذا رأيته هبته وفرقت منه قال وما فرقت من شيء قط فلما رأيته هبته وفرقت منه فقلت صدق الله ورسوله ... الحديث^(٢) .

وكان عبد الله بن أنيس لا يهاب الرجال ، فقال (يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَارَقْتُ مِنْ شَيْءٍ قَطَّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلَى ، آيَةُ بَيْنِكَ وَبَيْنَهُ أَنْ تُجِدَ لَهُ قُشْعِرِيرَةً إِذَا رَأَيْتَهُ)^(٣) .

ليبان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبره عن علامة وآية لم تحدث عنده من قبل لتكون عوناً له على إمضاء ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وإن كان معه جماعة.

قال عبد الله بن أنيس (فَأَخَذْتُ سَيْفِي لَمْ أَرِدْ عَلَيْهِ)^(٤) ، أي أنه لم يلبس درعاً ولم يحمل رمحاً وقوساً وسهاماً مع احتمال أن يتعرض له أصحاب خالد وأن تشتد المنازلة بينه وبينهم ، وفيه شاهد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لا يريدون توسعة القتال وتعدد أطرافه وتهيج الناس ، إنما ينحصر الأمر باستئصال الذي يريد الفتنة العامة ، ويسعى لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن سعيه إرهاباً على نحو القضية الشخصية ، إذ كان خالد بن سفيان يحرص الناس للقتال والغزو ، وقتل المؤمنين ، لقد مرَّ عبد الله بن أنيس في القديد على خزاعة قال : فعرضوا علي الحُمَلاَن والصحابَة فلم أَرِدْ ذَلِكَ)^(٥) إذ عرضوا عليه تعيين رجال يصحبونه

(١) البداية والنهاية ١٤٠/٤ .

(٢) الخصائص الكبرى ٣٩٦/١ .

(٣) مغازي الواقدي ٥٣٢/٢ .

(٤) مغازي الواقدي ٥٣٢/٢ .

(٥) مغازي الواقدي ٢١٢/١ .

يصحبونه في الطريق ، والدواب تحمله وإياهم ، ولكنه شكرهم ، وخرج بنفسه في حسن توكل على الله وتقيد بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولدفع الظنة عنه فلا يشك به ، إذ أنه يبدو حينما يقدم بمفرده أنه يريد المساعدة وليس البطش والقتال .

لقد غير طريقه كيلا يقال أنه جاء من المدينة ، فسار إلى بطن سرف ، ثم عدل في مشيه حتى خرج وادي عرنة ، وكان يخبر من يلقاه ويسأله أنه يريد سفيان بن خالد ليكون معه ، كيلا يرتاب منه فلا ينكر الناس الأمر بما تأكد معه أنه يجمع الجموع لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : **حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِبَطْنِ عُرْنَةٍ لَقِيْتَهُ يَمْشِي ، وَوَرَاءَهُ الْأَحَابِيْشُ وَمَنْ اسْتَجْلَبَ وَضُوْىَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَيْتَهُ هَبْتُهُ ، وَعَرَفْتُهُ بِالنَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَيْتَنِي أَقْطُرُ .**

فَقُلْتُ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَدْ دَخَلْتُ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ حِينَ رَأَيْتُهُ^(١) . مما يدل على أنه لم يجده بمفرده إنما معه عياله وجماعة ، إذ أن الذي يقوم بتحشيد الجموع لا يكون في البراري وحده ، وكأنه في نفي .

وليشهد عبد الله بن أنيس معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين اللقاء بخالد بن سفيان وتكون مدداً وشداً لعضده في دفع شر خالد بن سفيان .

و(عن أبي ليلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصديقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل ياسين ، الذي قال { يا قوم اتبعوا المرسلين }^(٢) وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال { أقتلوا رجلاً أن يقول ربي الله }^(٣) وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم)^(٤) .

(١) مغازي الواقدي ٥٣٢/٢ .

(٢) سورة يس ٢٠ .

(٣) سورة غافر ٢٨ .

(٤) الدر المنثور ٢٩٦/٨ .

فحينما جاء عمير بن وهب الى المدينة لإغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما جاء به وأسلم ، ولم يقتله أو يعاقبه ، أما خالد بن سفيان فأمره مختلف إذ أنه يريد أن يشيع القتل والدماء ، وكان يقوم بتحشيد الجيوش للهجوم على المدينة في طلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقتله هو وأصحابه ، فكان قتله رحمة بالمسلمين والناس جميعاً وصداً للذين كفروا من الهجوم على المدينة.

لقد بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم له شخصاً واحداً من أصحابه في رسالة إلى الكفار جميعاً بأن الذي يقوم بالتحشيد لقتال النبي قد يطلب بمفرده فينجو الناس من شره ، وفيه زجر عن تولي الرئاسة في قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل .

وتجلى هذا الزجر في معركة بدر ، إذ قتل رؤساء جيش المشركين مثل أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف الذين كانت لهم سطوة في مكة ، وشاركوا في إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتعاونوا على بني هاشم في شعب أبي طالب ، وأظهروا شدة قبضتهم فيه وهل اردوا منه رسالة إلى العرب بلزوم عدم نصره النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن قريشا تعلم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يروم الهجوم ومغادرة مكة .

الجواب نعم ، إذ كان يطوف على القبائل في أماكنها في موسم الحج يدعوهم إلى الإسلام ، ويسألهم إيواءه والذب عنه في أمصارهم وقراهم لأن رجالات قريش يريدون قتله ، ويتضمن هذا السؤال إيواء أهل بيته وأصحابه كما أن النبي أمر عدداً منهم بالهجرة إلى الحبشة تلك الهجرة التي لا تحتاج رخصة وأذنًا من أهل تلك القرى ، وفي التنزيل ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ أَرْضِيكُمْ وَأَسِعَ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

وفي سرية عبد الله بن أنيس إخبار للناس بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إطلاع ومعرفة بما يحاك ضده وأنه لا يسكت عما يقوم به الكفار إنما يتخذ الفعل المناسب الذي يؤدي إلى حقن الدماء ، ومنع المعارك والحروب.

ويمكن أن نسمي قسماً من السرايا باسم السرية الشخصية ، وهي على أقسام :

الأول : السرية الشخصية من جهة الطالب ، أي الذي يبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جماعة كما في سرية الإمام علي عليه السلام خلف جيش المشركين الذين حضروا معركة أحد.

الثاني : السرية الشخصية من جهة المطلوب كما لو بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من أصحابها في طلب شخص بعينه ، كما في سرية محمد بن سلمة ومعه أربعة وكلهم من الأنصار.

الثالث : السرية الشخصية من الطرفين ، كما في سرية عبد الله بن أنيس هذا الى خالد بن سفيان .

ويمكن تقسيم السرايا تقسيماً استقرائياً آخر بحسب الموضوع والتاريخ والأسباب والوقائع ونحوها.

لقد خرج عبد الله بن أنيس من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوشح سيفه وانطلق من المدينة يطلب خالد بن سفيان ويسأل عنه حتى وصل إليه ومعه طعائن^(١) ، له يرتاد لهن منزلاً ، وكان الوقت أوان صلاة العصر ، فخشي عبد الله أن يطول الإنشغال معه وتفوته صلاة العصر ، ولا يستطيع أداءها أمامه لأنه يكشف معها أنه مسلم ، فصلاها عبد الله بن أنيس بالإيماء برأسه إيماء للركوع والسجود وهو يمشي .

(١) الطعائن : جمع ظعينة وهي المرأة ، وأصل الظعينة اليهودج ، سميت به المرأة لأنها تجلس فيه على البعير.

وفيه جواز صلاة الراكب والماشي إيماءً إن انحصر الأداء به سواء كان طالباً لغيره ، أو مطلوباً من الغير ، ومن الفقهاء من فرق بين الطالب فينزل ويصلي راکعاً وساجداً ، لأنه يتحكم بالفعل وأوانه ، وبين المطلوب فيصلي إيماءً .

ومنهم من قيده بأنه إذا خاف الطالب فوت المطلوب أوماً وإلا فلا . والمختار هو أصالة الإطلاق بالنسبة للطالب والمطلوب لعمومات شدة الأمر ، ولقاعدة كل ما غلب الله عليه فالله أولى بالعدر ، ولقاعدة نفي الخرج في الدين .

ويدل الخبر على جواز الإجهاد حتى في أيام النبوة ولكنه موقوف على إمضاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من السنة التقريرية ، إذ لم ينكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عبد الله بن أنيس كيفية صلاته هذه للخوف ولعدم انكشاف أمره .

وكانت صلاة الإمام علي عليه السلام وأصحابه في صلاة الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء يوم الهرير في صفين بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والدعاء ، ولم يأمرهم الإمام علي باعادة الصلاة^(١) . نسأل الله عز وجل أن يجنب المسلمين والناس جميعاً الحاجة الى صلاة المطاردة والمناوشة ونحوها ، وأن يجعل الناس في أمن وأمان ، وأن يصرف البلاء والآفات عنهم .

وما أنزل الله عز وجل القرآن إلى الأرض إلا ليكون كلامه يفيض على الناس بالبركة وأسباب الرحمة والألفة ، قال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) .

ثم انتهى عبد الله بن أنيس إليه ، ويحتمل سلامه عليه وجوهاً :

(١) البحار ٦٠٥/٢٢ .

(٢) سورة الأنعام ١٥٥ .

الأول : سلّم عليه بتحية الإسلام : السلام عليكم .

الثاني : لم يؤد عبد الله بن أنيس أي تحية .

الثالث : حيّاه بتحية الجاهلية .

والمختار هو الثالث ، خاصة وأن هذه التحية متعددة في صيغتها

وكيفيتها منها :

الأولى : عمّ صباحاً .

الثانية : عمّ مساءً .

الثالثة : وعمّ فعل أمر أي أنعم وأسلم .

الرابعة : أنعم صباحاً .

والمختار أنه سلم عليه بما كان يسلم العرب في أيام الجاهلية .

وعندما جاء عمير بن وهب الى المدينة بعد معركة بدر وهو يريد اغتيال

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دنا منه ، وقال (أنعم صباحاً! قال

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قد أكرمنا الله عن تحيتك وجعل تحيتنا

السلام ، وهي تحية أهل الجنة. قال عمير: إن عهدي بها لحديث .

قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد أبدلنا الله بها خيراً

منها ، فما أقدمك يا عمير .

قال : قدمت في أسيري عندكم تقاربوننا فيه ، فإنكم العشيرة والأهل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: فما بال السيف^(١) .

قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت من شيء ، وإنما نسيته حين

نزلت وهو في رقبتى ، ولعمري إن لي لهماً غيره^(٢) .

وقد تقدم الخبر وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبره باتفاقه

مع صفوان بن أمية على قتل النبي وشرط عليه أن يقضي عنه دينه ،

(١) أي السيف الذي يحمله عمير ، فالذي يأتي يسأل عن أسيره لا يحمل السيف في

المجلس لأنه أمانة على طلب القتال .

(٢) مغازي الواقدي ١/٤٦ .

ويتكفل عياله ، وأن الله يحول بينه وبين ما يريد من المكر والكيد ، إذ أن هذا الكيد والمكر من الإرهاب والضلالة ومن فضل الله عز وجل على الناس أنه يصرف الإرهاب ، ولا يحقق صاحبه بغيته ، إنما يكون ضرره أكثر ، ونزل قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١) ، في طائفة من كفار قريش الذي كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مكة ولما رأوا أنه مستمر في إجهاده بالدعوة إلى الله ، وقيم الصلاة في المسجد الحرام ، ويتلو القرآن وإذا نزلت عليه سورة أو آيات تلاها على الناس بما يجذب الأسماع والقلوب عزموا على قتله (منهم أبو جهل ، والوليد بن المغيرة . فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يسمعون قراءته ، فأرسلوا إليه الوليد ليقتله ، فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه ، فجعل يسمع قراءته ولا يراه ، فانصرف إليهم ، فأعلمهم ذلك ، فأتوه فلما انتهوا إلى المكان الذي يصلي فيه ، سمعوا قراءته فيذهبون إليه فيسمعون أيضاً من خلفهم ، فانصرفوا ولم يجدوا إليه سبيلاً . فذلك قوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾^(٢) (٣).

لقد أدرك عمير أن هذا الإخبار من علم الغيب إذ لم يطلع على ما دار بينه وبين صفوان الا الله عز وجل ثم أن عميراً هذا عجل بالخروج من مكة بعد الاتفاق ، وبعدهما غادر بأيام تكفي لوصوله للمدينة ومجئ المسافرين منها ، صار صفوان يسأل عن أخبار المدينة ، وكان يقول لبعض رجالات مكة :

(١) سورة يس ٩.

(٢) سورة يس ٩.

(٣) الدر المنثور ٢٨٩/٨.

(ابشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن اسلامه فحلف ان لا يكلمه ابدا وان لا ينفعه بنفع ابدا)^(١).

لقد خرج عبد الله بن أنيس في هذه السرية التي تتألف منه وحده ليس معه أحد غيره من الصحابة وكان يحدث فيما بعد قائلاً : خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِخَمْسِ خَلَوْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ وَخَمْسِينَ شَهْرًا ، فَغَبْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَقَدِمْتُ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ . قَالَ الْوَاقِدِي : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ مُوسَى بْنِ جَبْرِ قَالَ : بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ سَفْيَانَ بْنَ خَالِدِ بْنِ نُبَيْحٍ الْهَذَلِيَّ ثُمَّ اللَّحْيَانِيَّ وَكَانَ نَزَلَ عُرْنَةً وَمَا حَوْلَهَا فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ فَجَمَعَ الْجُمُوعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَوَى إِلَيْهِ بَشَرًا كَثِيرًا مِنْ أَقْنَاءِ النَّاسِ^(٢).

أي أن الأمر خطير ، والشر يتفاقم خاصة وأنه حصل بعد معركة أحد ، ولعل قريشاً كانوا وراء هذا الجمع وأنهم يمدونه بالمال ، كما فعلوا فيما بعد بنقضهم صلح الحديبية ، فعندما هجم بنو بكر وهم حلفاء قريش على خزاعة وهم حلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ماء لهم يسمى (الوتير) ساعدت قريش بني بكر بالسلاح والمال والرجال.

وبعد أن سلم عبد الله بن أنيس على خالد بن سفيان سأله الأخير : من الرجل .

فقال أنيس (رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك)^(٣) ، إذ أظهر أنيس أنه جاء لينضم الى جمعه في محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) عيون الأثر ١/٣٥٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٥٣١.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٢٦٧.

ولم يذكر عبد الله بن أنيس اسمه خشية معرفته له أو بقاء رفق فيه إن لم يجهز عليه ، أو يسمع بعض من معه الاسم ، أو يخبر ذويه عن اسمه ويطلبون دمه والتبادر من علامات الحقيقة ، وفي رواية أنه قال أنا رجل من خزاعة ، فقد تبادر الى ذهن خالد أن الرجل صادق في كلامه مما يدل على شيوع مسألة هذا الجمع ووجود أنصار له.

فقال خالد (أجل أنا في ذلك) ^(١) ، فتأكد عبد الله من سوء نيته ، وعزمه على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه تثبت قبل الاقدام على الفعل وهو من أسباب إختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له. قال : فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه ^(٢).

لقد جاء الطلب وراء عبد الله بن أنيس ، فاضطر الى دخول غار فتفضل الله عز وجل وجعل العنكبوت تنسج على بابه بيتاً ، فلما وصلوا الى منطقة الغار لم يجدوا أثراً فرجعوا.

ورجع عبد الله بن أنيس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بدرء الفتنة ، ثم قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخل بيته وأعطاه عصا ، وقال : أمسك هذه العصا عند يا عبد الله بن أنيس .

فخرج عبد الله فرآه الصحابة فقالوا ، ما هذه العصا ، قال : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرني أن أمسكها عندي أي لا يعطيها ولا يبيعها ولا يهبها .

قالوا : أفلا ترجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتسأله لم تمسكها عندك .

(١) تاريخ الرسل والملوك ٩٦/٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤٠٧/٢.

فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسأله عن علة وغاية أعطائه العصا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (آية ما بيني وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخصرون^(١)) يومئذ .
فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه ثم دفنا جميعا^(٢) .

قال ابن هشام : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ فِي ذَلِكَ
تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحَوَارِ وَحَوْلَهُ ... نَوَاحٍ تَفْرِي كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدٍ
تَنَاولَتْهُ وَالظُّغْنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ ... بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مِهْنَدٍ
عَجُومٌ لِهَامِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهُ ... شَهَابٌ غَضِيٍّ مِنْ مَلْهَبٍ مَتَوَقَّدٍ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجَمُ رَأْسَهُ ... أَنَا ابْنُ أَنَسٍ فَارِسًا غَيْرَ قَعْدَدٍ
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزَلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ ... رَحِيبُ فَنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مَزْنَدٍ
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَا جَدٍ ... حَنِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَكُنْتُ إِذَا هُمْ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ ... سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ^(٣) .

(وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل خالد بن سفيان قبل قدوم عبد الله بن أنيس)^(٤) .

لييان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من علم الغيب ،
وللدلالة على أن دفع فتنة خالد بن سفيان نعمة عظيمة على النبي صلى
الله عليه وآله وسلم والصحابة .

(١) المتخصرون : أي الذين يتكثرون على المخاصر ، جمع مخصرة وهو ما يمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها لأن الناس يومئذ في فزع وخوف وذهول ، قال تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَلْطٍ حَلْطَهَا وَتَنُكِى النَّاسُ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ سورة الحج ٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٠٧/٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٦٤٠/٢ .

(٤) الخصائص الكبرى ٣٩٦/١ .

ويكره النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القتل وسفك الدماء ، وكان يسارع إلى العفو إلا أن خالد بن سفيان أراد تهيج الجيوش وجمع القبائل لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وربما اتصل بقريش فأمدوه بالمال والرجال ، وتجدد القتال ، وتحركت أكثر من جهة للإغارة على المدينة ومحاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والفتنة عمياء ، قال تعالى ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(١) .٪٪

فاختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد أصحابه ممن يتصف بالحنكة وتنفيذ العمل المأمور به من غير زيادة أو تعد ، ومن أهل تلك الديار ، وعلى معرفة بالقبائل وهو عبد الله بن أنيس ، والذي لم يخبر باسمه إنما قال رجل من العرب .

لقد رأى عبد الله بن أنيس جماعة يمشون خلف خالد بن سفيان من الأحابيش وغيرهم ممن انضوى تحت دعوته لغزو المدينة وفيه دلالة على أن دعوته بلغت مدى لا يستهان به ، وصارت له هيبة وشأن ، مما قد يثير الفزع في قلب المسلم ، ويخشى من كشف أمره وفضحه ، وصار عبد الله بن أنيس ينظر إليه ، ويقول في نفسه : صدق الله ورسوله .

قال عبد الله بن أنيس فمشيت معه وأخذت أحدثه بما يبعث الطمأنينة في نفسه (فَاسْتَحَلَى حَدِيثِي، وَأَنْشَدْتَهُ شِعْرًا، وَقُلْتُ: عَجَبًا لِمَا أَحْدَثَ مُحَمَّدٌ مِنْ هَذَا الدِّينِ الْمَحْدَثِ فَارَقَ الْأَبَاءَ وَسَفَّهُ أَحْلَامَهُمْ)^(٢) .

عندئذ قال خالد بن سفيان : لم يلق محمد أحد يشبهني وكان يتحدث ويده عصا وهو يهد الأرض أي يطأها وطأ شديداً فمشى معه عبد الله بن أنيس إلى أن وصل إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازلهم وهي قرية

(١) سورة الأحزاب ٣٢ .

(٢) مغازي الواقدي ٥٣٢/٢ .

من خبائه إذ كانوا يحيطون به وليس لعبد الله بن أنيس منزل أو خباء معهم إنما حلّ ضيفاً عليهم.

فالتفت خالد بن سفيان للأمر خاصة وأنه جاء لنصرته ، فقال : هلم يا أخا خزاعة ، وهو أنصاري ليس من خزاعة ، ولكنه ذكر هذا النسب للتورية ، فاقترب منه عبد الله فاطمأن له أصحاب خالد بن سفيان اذ كانوا يعلمون بأن أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرجون فرادى إنما يكونون في سرايا ويحملون الرايات .

فقال خالد لجاريته ، أحلي فحلبت له حلباً من إحدى النوق ، ثم ناولته لعبد الله ، فشرب منه قليلاً على نحو المصة والمصتين ، ثم دفعه إلى خالد بن سفيان الذي بادر إلى شربه كما يشرب ويعب الجمل حتى غاب أنفه في رغوة الحليب وبعد أن شربا الحليب .

قال خالد : اجلس فجلس عبد الله ، وصار يحدثه إلى أن خفت الحركة ، وهدأت الأصوات وناموا وانتهز عبد الله فرصة حتى إذا رآه في غفلة فضربه بالسيف وقتله ، ثم فر من المكان ، وأحاطت بخالد نسوته يبكين عليه .

قال عبد الله (وَكَانَ النِّجَاءُ مِنِّي حَتَّى صَعَدْتُ فِي جَبَلٍ فَدَخَلْتُ غَارًا . وَأَقْبَلَ الطَّلَبُ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ تَوَزَّعَ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَأَنَا مُخْتَفٍ فِي غَارِ الْجَبَلِ وَضَرَبَتِ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى الْغَارِ وَأَقْبَلَ رَجُلٌ وَمَعَهُ إِدَاوَةٌ ضَخْمَةٌ وَنَعْلَاهُ فِي يَدِهِ وَكُنْتُ حَافِيًا ، وَكَانَ أَهَمُّ أَمْرِي عِنْدِي الْعَطَشُ كُنْتُ أَذْكُرُ تَهَامَةً وَحَرَّهَا ، فَوَضَعَ إِدَاوَتَهُ وَنَعْلَهُ وَجَلَسَ يَبُولُ عَلَى بَابِ الْغَارِ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ لَيْسَ فِي الْغَارِ أَحَدٌ . فَأَنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ وَخَرَجْتُ إِلَى الْإِدَاوَةِ فَشَرِبْتُ مِنْهَا وَأَخَذْتُ التَّعْلِينَ فَلَبِسْتُهُمَا .

فَكُنْتُ أَسِيرُ اللَّيْلِ وَأَتَوَارَى النَّهَارَ حَتَّى جِئْتُ الْمَدِينَةَ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ : أَفْلَحَ الْوَجْهُ ، قُلْتُ : أَفْلَحَ وَجْهَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(١).

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، ومنه استئصال الكفر بالربوبية ، وعبادة الأصنام ، فأبى الكفار إلا التصدي لدعوته للتوحيد بالإرهاب ، ولم يصدر هذا الإرهاب من جهة واحدة كقریش إنما كان يصدر من جهات وأطراف متعددة من الكفار ، وهل كان بينهم تنسيق وتعاون وتخطيط ، المختار نعم ، وإن اختلفت مراتب هذا التنسيق والتعاون ، فقد كان رجال من قریش يطوفون على القبائل يحرضونهم على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الإرهاب.

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٣) ، أنه لم يحارب أحد ولم يرض بالقتال ، ولكن الذين كفروا تصدوا للرسالة السماوية والتنزيل بأفراد وصيغ من أشد ضروب الإرهاب ، من جهات :

الأولى : الإرهاب على نحو القضية الشخصية بقيام بعض الكفار بإيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من غير تخطيط وتحريض من الغير .

الثانية : التهديد والوعيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الثالثة : الحاق الضرر بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت ، وهذا الضرر اقتصادي وبدني واجتماعي ، وهل هو ضرر نفسي ،

(١) مغازي الواقدي ٥٣٢/٢ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٩ .

الجواب لا ، إذ كان المسلمون متسلحين بالإيمان ، ويحملون سلاح الصبر الذي هو زاجر عن الإرهاب ودعوة للناس جميعاً للتزهد عنه ، وقد يكون بعض الكفار قد زال الخطر من ناحيته رأساً في الإرهاب ، وزعيماً يحرص الناس عليه ، كما في خالد بن سفيان إذ ساد الأمن بعد رحيله من الدنيا ، وتفرق أصحابه.

ومن الآيات أنه لم يتول غيره وظيفته في ذات المنطقة أو غيرها بجمع الجموع والتشديد لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وهو من فضل الله عز وجل بسلاح الوحي ليكون من وظائفه درء الفتن ، وتفريق الجموع التي تريد غزو المدينة ومنع شماتة المنافقين وقبيح ما يثنون من السموم ، قال تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

وهل من موضوعية للوحي والتنزيل في عدم وجود بديل له ، الجواب نعم ، إذ أن يدرك الناس سنخية الإعجاز في المصائب التي تحل بأعداء النبوة.

ومن الإعجاز في بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمور :

الأول : استئصال البعثة النبوية للإرهاب.

الثاني : حرب البعثة النبوية والتنزيل على الكفر وعبادة الأصنام ، قال تعالى ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٢).

الثالث : فضح التنزيل للمنافقين ، إذ تنزل آيات القرآن بدمهم ، وبيان سوء فعلهم ، وكان ما يقوم به خالد بن سفيان إرهاباً عاماً ، وتمادياً في الكفر ، فكفى الله عز وجل المسلمين والناس شره وأذاه.

(١) سورة الأنفال ٤٩.

(٢) سورة الصافات ١٢٥.

الصرفة في الأحكام

في مدة عشر سنين في المدينة تم بناء أعظم دستور وتشريع الأنظمة الباقية إلى يوم القيامة ، ومناسبتها لكل العصور والأزمنة معجزة أخرى متجددة في كل يوم وشاهد على حضور المدد من عند الله عز وجل في كل زمان ، ليكون هذا المدد عوناً للعمل بأحكام الشريعة ، وبرزخاً دون التهاون أو التفريط بها .

وإذا كنا لم نقل بالصرفة في آيات القرآن إذ أن القرآن معجز بذاته ويتخلف الناس عن الإتيان بمثله ولو اجتمعوا ، قال تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١) .

فمع هذا التحدي لا تصل النوبة الى الصرفة ، إنما تعجز العقول وإن اجتمعت عن الإتيان بمثل القرآن ، ومن إعجاز القرآن أنه يؤكد كل يوم تخلف الناس عن الإتيان بمثل بعض آيات القرآن ، فهل يمكن أن نقول بالصرفة في العمل بأحكام آيات القرآن ، الجواب إن أحكام الشريعة معجزة بذاتها ، ولا يستطيع الناس ولو اجتمعوا أن يأتوا بمثلها وهي مرآة وشعبة من التنزيل من وجوه :

الأول : عجز الناس عن تحريف القرآن .

الثاني : تخلف الناس عن المنع عن العمل بأحكام القرآن ، ففي كل زمان هناك أمة تعمل بأحكام التنزيل ، قال تعالى ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٢) .

(١) سورة الإسراء ٨٨ .

(٢) سورة الأعراف ١٨١ .

الثالث : منع الناس من صدّ المسلمين والمسلمات عن العمل بأحكام القرآن في العبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج والخمس ، وفي سنن المعاملات ، وفي نظام الأسرة والإرث ، إن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ الْحَافِظُونَ﴾^(١) ، وقال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢).

وتتعدد سبل فضل الله عز وجل في الحفاظ على الذكر ومواظبة المسلمين عليه إلى يوم القيامة.

وإذا كانت الصرفة بمعنى العجز والتخلف عن تحريف القرآن وتعطيل الأحكام ، فالجواب نعم ، أما إذا كانت بمعنى لو أراد الناس والسلطين أن يقوموا بتحريف القرآن والمنع من العمل بأحكامه لاستطاعوا ولكن الله صرفهم عنه فهذا لا يصح فكما أن الناس غير قادرين على الإتيان بمثل القرآن ولو اجتمعوا فكذا إنهم عاجزون عن الزيادة أو النقيصة في القرآن ، أو تبديل بعض آياته.

وكذا فانهم غير قادرين عن المنع من نفاذ أحكام الشريعة وعمل المسلمين بها إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَن تَتَنَبَّهَهُ وَكَوْكَرَهُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

قانون التناقض بين الخلافة في الأرض وبين الإرهاب

لقد أخبر الله عز وجل الملائكة والخلائق عن ماهية ووظيفة الإنسان بأنه ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ﴾^(٤) ، لتكون هذه المرتبة السامية

(١) سورة الحجر ٩.

(٢) سورة المدثر ٣١.

(٣) سورة التوبة ٣٢.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

مصاحبة له إلى يوم القيامة وتتجلى بسنخية العبادة والتقوى والأمانة في السيادة في الكون ، لقد أراد الله عز وجل للإنسان أن يزين الأرض بالصلاة والذكر والتسبيح والتهليل والحمد له سبحانه ومن مصاديق الربوبية المطلقة لله عز وجل أنه لم يترك الإنسان وشأنه وإختياره في حريته ، بل يجذبه إلى منازل الخلافة ، ويمنعه من الإبتعاد عنها.

وليس من حصر لسبل ووسائل جذب الناس إلى مسالك الهداية التي تتقوم بها الخلافة وليس من سبب أو عذر للإنسان في التخلف عنها أو الإعراض والصدود عنها.

وتتغشى سبل الهداية حياة أجيال الناس ، وهي حاضرة عند كل انسان تأتيه طوعاً وقهراً وهي حصن من الإرهاب وباعث للنفرة منه ، ومن هذه السبل :

الأول : بعثة الأنبياء ، وعدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف

نبي.

الثاني : إنزال الكتب السماوية على الأنبياء على نحو الحصر والتعيين ، فنزلت التوراة على موسى ولم تنزل على غيره ، ونزل الإنجيل على عيسى ونزل القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو خاتم وآخر الكتب السماوية نزولاً لتبقى معجزاته تتجدد في كل زمان.

مع تجلي وجوه الصلة واتحاد سنخية التنزيل بين الكتب السماوية ، قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(١).

الثالث : لغة الوعد والوعيد في الكتب السماوية ، وتجلت هذه اللغة في آيات القرآن بوضوح ، لتكون مناسبة لمدارك كل الناس على اختلاف مداركهم ، وهل تناسب ترجمتها الناطقين بلغات أخرى غير العربية ، الجواب نعم .

الرابع : توالي النعم على الفرد والجماعة وأهل البلد ، بما يجعلهم يشكرون الله عز وجل على النعم ، ويتدبرون في مسألة الخلافة في الأرض وكيف أنها خير محض .

ومن خصائص النعم أنها تستمر وتتوالى وتزداد بالشكر لله عز وجل لذا يتضمن القرآن الوعد الكريم بقوله تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١) ، وتحتل هذه الزيادة وجوهاً :

الأول : الزيادة في الكم ومقدار النعم .

الثاني : الإفاضة في الكيف ونوع النعم .

الثالث : الهبات بنعم إضافية أخرى غير النعم الموجودة .

الرابع : الزيادة باضافة نعمة باطنية للنعم الظاهرية ، وكذا العكس .

وكل هذه الوجوه من مصاديق الزيادة التي أخبرت عنها الآية القرآنية لأصالة الإطلاق ولغة التنكير وعدم الحصر في قوله تعالى ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢) .

قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣) ، وصحيح أن الآية أعلاه جاءت في نظم آيات بني إسرائيل لذا قيل أن الآية

(١) سورة ابراهيم ٧ .

(٢) سورة ابراهيم ٧ .

(٣) سورة ابراهيم ٧ .

خطاب من موسى عليه السلام لبني إسرائيل ، والمختار أنه قانون عام في الحياة الدنيا ، وهناك مسألتان :

الأولى : ما هي النسبة بين الشكر لله عز وجل وبين الإرهاب .
الثانية : هل من زيادة مع نهج الإرهاب ، والإضرار بالمصالح العامة والخاصة .

أما المسألة الأولى : فإن النسبة هي التنافي والتضاد ، فالإرهاب من الجحود بالنعم ، وإعراض عن الشكر لله عز وجل الذي يتضمن التنزه عن الإرهاب .

ويمكن إنشاء قانون من شعبتين :

الأولى : الشكر لله برزخ دون الإرهاب .

الثانية : الإرهاب حاجب دون الشكر لله .

وتدل خلافة الإنسان في الأرض على حب الله عز وجل للناس والجنس البشري ، وانفراده بلطف منه تعالى ، قال سبحانه ﴿وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١) ، مما يلزم إعمار الأرض بالعبادة والتقوى .

وأما المسألة الثانية : فإن نهج الإرهاب مانع من زيادة النعم لذا فانه مع الشكر لله عز وجل تتوالى ، وقد ذكر القرآن خلافة الإنسان في الأرض ، ويحتمل وجوهاً :

الأول : إرادة خلافة الناس لله عز وجل في الأرض .

الثاني : المقصود خلافة الأنبياء لله عز وجل .

الثالث : خلافة الناس في الأرض للنسناس والجن إذ كانوا
يعمرون الأرض قبلهم ، ويدل على هذا السبق قوله تعالى ﴿وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

الرابع : خلافة الناس بعضهم بعضاً .

الخامس : الخلافة على ذات الأرض من غير تقييد ، قال تعالى
﴿جَعَلَكُمْ خُلَافَةً عَلَى الْأَرْضِ﴾^(٢) ، ولا يكون الملائكة خلفاء في السماء لأن
فيها عرش الله عز وجل ، ولأن الخلافة نوع امتحان وابتلاء ويأتي
بعدها الحساب ، وقد نزل الملكان هاروت وماروت فابتليا بسنن
أهل الأرض ، قال تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ
سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ
مِنْهُمَا مَا يَفِرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

السادس : خلافة الأنبياء والأئمة والعباد الصالحين لله عز وجل
في الأرض .

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة الأنعام ١٦٥.

(٣) سورة البقرة ١٠٢.

والمختار هو الأخير إلا أنه لا يمنع من الوجه الثاني في معناه الأخص ، والوجه الرابع أعلاه لإرادة جنس البشر ، وكأن الخلافة من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة أسماها خلافة الأنبياء والرسل ، كما ورد في داود عليه السلام في التنزيل ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

ومن وراثه الأنبياء نزول الوحي عليهم ، واتيانهم المعجزات قال تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٢) ، وقد نال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الخلافة العظمى في الأرض بفضل من الله عز وجل.

ومن خصائص الخلافة في الأرض انبساط منافعها على الناس جميعاً ، ليدركوا أن أحكام الشرائع السماوية جامعة مانعة لأسباب الوثام والوفاق ، ومانعة من الظلم والتعدي .

ترى ما هي النسبة بين الظلم والإرهاب ، الجواب هي العموم والخصوص المطلق ، فالإرهاب شعبة وفرع من الظلم ، الأمر الذي يلزم التعاون لكشف الحقائق بالتضاد بين أحكام الشريعة وبين الإرهاب ، قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

(١) سورة ص ٢٦ .

(٢) سورة النمل ١٦ .

(٣) سورة الأنفال ٢٥ .

ويعجز الناس وفي كل زمان عن تغيير أحكام الشريعة فان قلت وأن حكموا بأحكام وضعية كالذي يقول بأن حصة البنت من الميراث تساوي حصة الولد .

الجواب هذا ليس تغييراً أو تبديلاً ، إذ يتسالم الناس على أن هذا الحكم مخالف لنص القرآن ، فهو إلى زوال وان استمرت لسنوات ، قال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ (١) .

لقد ورد التحدي وعدم وصول النوبة إلى الصرفة بقوله تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٢) بخصوص القرآن .

ولم يرد لفظ ﴿اجْتَمَعَتِ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه وموضوع الآية أعم إذ يشمل أحكام الحلال والحرام والفرائض والمناسك ، ويعجز الناس ولو اجتمعوا عن الصرف عن العمل بهذه الأحكام ، وقد تفضل الله عز وجل وجعل أمة من المؤمنين والمؤمنات في كل زمان يعملون بأحكام الشريعة لا يحدون عنها .

وجعل فقهاء يحرسون الأحكام ويجذبون الناس للعمل بها ، ويمنعون من اللبس والتحريف فيها ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٣) .

(١) سورة النساء ١١.

(٢) سورة الإسراء ٨٨.

(٣) سورة التوبة ١٢٢.

قانون آية القصاص واقية من الإرهاب

الحمد لله الذي تفضل بانزال آية قرآنية تكون حكماً ودستوراً إلى يوم القيامة ، وضياءً ينير دروب الهداية للناس بما يمنع من الضلالة والغواية وأسباب الفساد .

لقد احتج الملائكة على جعل آدم ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) لأن طائفة من الناس يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء بغير حق ، فقال الله سبحانه ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) ومن علم الله عز وجل نزول حكم القصاص من السماء وتعاهده وبقائه في الأرض ، ولو على نحو الموجبة الجزئية .

ومن الآيات في خلافة الإنسان في الأرض أن أغلب الحكام والملوك وعلى اختلاف مللهم يميلون إلى الإقتصاص من القاتل ، وجعل الله النفوس تنفر من القتل ، وتستهجن سفك الدماء ، ونزل حكم القصاص في آيتين متتاليتين من سورة البقرة بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِغَدٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ١٧٨-١٧٩.

ولم يرد لفظ القصاص في القرآن إلا في هاتين الآيتين ، وهو من إعجاز القرآن بأن يأتي حكم في آية قرآنية فيفقهه المسلمون ، ويعملون بأحكامه ، وتأتي السنة النبوية القولية والفعلية للبيان والتفسير وإيضاح سنخية العمل بمضمونه .

ويحتمل عدم ورود حكم القصاص في آيات وسور أخرى من القرآن وجوهاً :

الأول : ندرة القتل بين الناس .

الثاني : تنزه المسلمين والناس عن القتل إلا ما ندر .

الثالث : كفاية ذكر الحكم في موضع واحد من القرآن ليعمل به المسلمون إلى يوم القيامة ، لذا أختتمت الآية أعلاه بالمدح والثناء على المسلمين بقوله تعالى ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) وبالحث على التقيد بسنن التقوى والصلاح .

الرابع : بيان صفحة من إعجاز القرآن بورود الحكم العام مرة في القرآن فيعمل به المسلمون إلى يوم القيامة ، وتطلع عليه الشعوب وأهل الأرض .

الخامس : حكم القصاص منع للبطش وسفك الدماء العشوائي وقتل غير القاتل ، قال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢) فقد كان العرب يطلبون أبناء عمومة القاتل وأفراد عشيرته إذ يصبح أفراد العشيرة في خوف وفزع إذا قام أحدهم بقتل شخص آخر سواء كان قتله عمداً أو خطأ عن عبث أو دفاعاً عن نفسه ونحوه إلى أن يمشي بعض الوجهاء والرؤساء في الصلح .

(١) سورة البقرة ١٧٩.

(٢) سورة الأنعام ١٦٤.

السادس : نزلت آية القصاص ليسود الأمن في الجزيرة وتملاً الطمأنينة النفوس ، ويكون الناس في وئام حتى إذا وقعت حادثة قتل فلا يطلب إلا الجاني وحده ويتنظره العقاب من الحاكم ، وليس من العشيرة .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق آية القصاص ، ليكون من معاني وحكم القصاص أنه حرب على الإرهاب والقتل العشوائي من جهات :

الأولى : القصاص حكم سماوي نازل من عند الله لا يقبل التحريف أو التبديل لعمومات قوله تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١) والنسبة بين حكم القصاص وتنفيذه عموم وخصوص مطلق إذ أنه على وجوه تربية :

الأول : نزول آية القصاص .

الثاني : تلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين آية القصاص .

الثالث : تشريع آية القصاص .

الرابع : إرجاء حكم القصاص بانتظار الصلح أو قبول الدية أو العفو .

فصحيح أن الدية تتعلق بالقتل الخطأ إلا أنها قد تشمل القتل العمد إذا رضي ولي الدم ، ويصح العفو ، قال تعالى ﴿وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢).

(١) سورة فصلت ٤٢.

(٢) سورة البقرة ٢٣٧.

لقد نزل حكم القصاص ليكون زاجراً عن القتل ، ولا يعلم بركة ونفع هذا الحكم في نجاة الناس من مصيبة القتل إلا الله عز وجل ، ولا تختص منافعه بقلّة وتضاؤل القتل العمد ، بل يشمل أيضاً الإمتناع عن القتل الخطأ ، وكذا فيوضات الآية والحكم القرآني إذ ينزل في موضوع تتغشى منافعه مواضع أخرى متعددة .

ويشمل نشر مفاهيم المودة والرافة بين الناس ، وترى من يهم بالقتل ويعدل عنه خشية القتل يشكر الله عز وجل لعدم شروعه بالقتل ، وما يترتب عليه من الضرر في الدنيا والآخرة ، وغالباً ما يرى نفعاً وصلاًحاً من الذي أراد قتله ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١) لبيان أن حكم القصاص خير محض .

ولما قتل الإمام علي عليه السلام^(٢) وأدخل عليه الذي ضربه تلك الضربة المسمومة وهو ابن ملجم ، قال الإمام عليه السلام (النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي).

يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن إلا قاتلي، انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور).

هذا كله وابن ملجم مكتوف .

(١) سورة الأنعام ١٤٩.

(٢) أكتب هذه السطور من مكتبي بجوار مرقد الأمام علي عليه السلام في ذكرى استشهاده ليلة ٢١ رمضان من السنة ١٤٤٠ هجرية .

فقالت له أم كلثوم ابنة علي: أي عدو الله! لا بأس على أبي، والله مخزيك! قال: فعلى من تبكين؟ والله إن سيفي اشتريته بألف، وسمته بألف، ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد^(١).

ليان أن الإمام عليه السلام ينهى عن سفك الدماء، ويمنع من مؤاخذه غير الجاني، والمنع من قتل غيره ممن أيده أو حثه على جريمته، فمرتبة القتل والقصاص تختص بالجاني وحده، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

وتشريع حكم القصاص رحمة بالناس جميعاً، وزاجر عن القتل على نحو القضية الشخصية أو القتل العشوائي. وحينما يتلو الإنسان آية القصاص يتبادر إلى ذهنه أن الآية حكم بالقتل، إنما هي واقية وحصن تشريعي ضد القتل، وإزاحة للظلم، ومنع من التعدي والإرهاب، فمن ضرور ووجوه القتل الإرهاب من جهات:

الأولى: الإرهاب مقدمة للقتل.

الثانية: ذات القتل بغير حق إرهاب.

الثالثة: ينتج عن الإرهاب القتل.

لذا فإن آية القصاص إستئصال للإرهاب ومنع منه ونهي عنه. ومن الإعجاز في الحكم القرآني أنه تهذيب للنفوس، وطريق للصالح، وسبيل للهداية.

(١) الكامل في التاريخ ١٠٢/٢.

(٢) سورة البقرة ١٧٨.

والقصاص لغة هو التابع ، ومنه قصّ الأثر أي اتباعه ، ومنه اسم القاص الذي يتبع الأخبار ، ويقص الآثار ، قال تعالى ﴿فَارْتَدًّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾^(١) .

والقصاص : القود (وأقذتُ القاتلَ بالقتيل ، أي قتلته به . يقال : أقادهُ السلطانُ من أخيه . واستقذتُ الحاكمُ ، أي سألته أن يقيدَ القاتلَ بالقتيل)^(٢) .

والقصاص منتهى منبت الشعر في الرأس مما يلي الوجه ، وفي قوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٣) . قبل أراد العفو والقصاص والذين احسنوا العفو^(٤) .

ومن آيات القصاص في الأمم السابقة ، قوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٥) .

وجاء زمان العولمة ليبين للناس أن القتل ظلماً والتعدي والإرهاب على شخص واحد أو على جماعة في موضع ما يطلع عليه أهل الأرض ، ويحزنون ويستكرون ، وهو من إعجاز القرآن فان قلت وردت الآية أعلاه بخصوص بني اسرائيل .

الجواب نعم ، ولكن موضعها عام ، وليس من مانع من التشبيه العام فيها لوحدة الموضوع في تنقيح المناط .

(١) سورة الكهف ٦٤ .

(٢) الصحاح في اللغة ١٠٠/٢ .

(٣) سورة الزمر ٥٥ .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٤٨٠/١ .

(٥) سورة المائدة ٣٢ .

ولا دليل على نسخ هذا التشبيه .

ولا يختص الحكم بالقصاص بالقتل والقود من القاتل إنما يشمل الجروح وقطع الأعضاء في حال العمد دون الخطأ ، ولا بد في القصاص من ثبوت الجناية ، وقرار الجاني بارتكاب الجناية أو شهادة شاهدين عدلين .

وفي القصاص رضا لأولياء المقتول ، ومواساة لهم وبرزخ دون الثأر أو الإنتقام ، فمن منافع القصاص إيقاف جريان الدم ، وإن عفى أولياء المقتول فهل يكون فيه إيقاف للدم .

الجواب نعم ، لأن هذا العفو عن رضا ، وبقصد القربة إلى الله تعالى ، وفي القصاص زجر عن إرتكاب الجريمة ، وجعل الإنسان يفكر بالقصاص قبل أن يهّم بالفعل ، وعندما يتم العفو عن الجاني فهل يكون العفو سبباً لتكرار الجناية منه ، الجواب لا .

ليان قانون وهو أن الدنيا (دار العفو) ومن اسماء الله عز وجل العفو ، ولا يحصى من يعفو عنه الله عز وجل عن العباد في ساعة واحدة من ساعات الدنيا إلا هو سبحانه ، لبيان مسألة في احتجاج الله على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) .

أن الله عز وجل جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ليرى الملائكة والجن والإنس كيف أن الله عز وجل يعفو عن الناس ، ويمحو سيئاتهم ويتجاوز عن معاصيهم ، وقيل (الغفران ينبئ عن الستر ، والعفو ينبئ عن المحو ، والمحو أبلغ من الستر) .

والمختار أن النسبة بين المغفرة ومحو الذنب عموم وخصوص مطلق إذ تدل المغفرة على المحو .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

ومن مصاديق كون الدنيا دار العفو بفضل الله عز وجل أمور :
الأول : حب الله العفو .

الثاني : ترغيب الله الناس بالعفو ، قال تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١).

(عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله : إن وافقت ليلة القدر فما أقول؟ قال : قلوا اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني)
(٢)(٣).

الثالث : الأجر والثواب على العفو ، وهل يختص الأجر في المقام بعالم الآخرة ، الجواب لا ، إنما يشمل الحياة الدنيا والآخرة .
ترى ما هي النسبة بين العفو والإرهاب ، الجواب إنه التضاد فالإرهاب ليس له سبب وجيه ، ولا يقع قصاصاً من الجاني إنما يتصف بكونه انتقاماً عشوائياً يضر القائم به مثلما يضر الذي يقع عليه فعل الإرهاب ، لذا يجب استحضار عفو الله عز وجل على الناس وامهاله لهم ، قال تعالى ﴿وَكَيْفَ يُعْفُوا وَيُصْفَحُوا إِلَّا تُحِبُّوا أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٤).

قانون تجدد واستحداث معجزات النبي محمد (ص)

لقد تم وانقطع نزول القرآن بانتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، ولكن أحكام القرآن ثابتة إلى يوم القيامة ، وتذكر المسلمين بشخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما لاقاه

(١) سورة البقرة ٢٣٧.

(٢) الدر المنثور ٢١٥/١٠.

(٣) أكتب السطور في ليلة القدر من سنة ١٤٤٠ للهجرة النبوية الشريفة ، وأسأله تعالى العفو والعافية ، ومن معاني ليلة القدر أنها ليلة تقدير وقضاء الأمور من عند الله سبحانه .

(٤) سورة النور ٢٢.

من الإرهاب الشديد من الذين كفروا ، وفيه دعوة للمسلمين للإمتناع عن الإرهاب ، والصبر على الأذى ، والدعوة العامة للألفة والصلاح بين أهل الأرض ، ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجدد واستحداث معجزات له مع تقادم الأيام وسنن التشريع ، ووضع الدول للقوانين والإرتقاء العلمي والصناعي .

وتتصف المعجزة بأمور :

الأول : لا يقدر على المعجزة إلا الله عز وجل .

الثاني : تجري المعجزة على يد النبي والرسول .

الثالث : اقتران المعجزة بالتحدي فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها ، وهل يقدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإتيان بمثلها في غير الموضع والحال التي أذن الله عز وجل به .

الجواب لا ، لذا ورد عن عيسى عليه السلام في التنزيل ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ

الْمُوتَى بِإِذْنِي﴾^(١) أي يخرجهم عيسى من قبورهم بمشيئة وقدره وإذن الله عز وجل (وروي عن وهب بن منبه أنه قال : التقى عيسى ابن مريم عليه السلام وإبليس على عقبة من عقبات بيت المقدس . فقال له إبليس : أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك ، أنك تكلم الناس في المهد صبياً ، وأنت أحييت الموتى ، وتبرئ الأكمه والأبرص .

فقال عيسى عليه السلام : بل العظيم الذي بإذنه أحييت الموتى ، وهو الذي أنطقني . فقال إبليس : أنت إله الأرض .

فقال عيسى عليه السلام : بل إله الأرض والسماء واحد . فكان في ذلك حتى جاءه جبريل وضربه بجناحه وألقاه في لجج البحار)^(٢).

(١) سورة المائدة ١١٠.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ١٥/٢.

فلا يقدر عيسى عليه السلام على إحياء الميت من غير أن يأذن الله عز وجل ، وكما لو خاطب الميت وهو في قبره : أخرج باذن الله من قبرك .
لقد كان عيسى عليه السلام يداوي المرضى ويبرئهم من أمراضهم ، كما ورد في التنزيل ﴿وَأُبْرِئُ الْكَلْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾^(١).

ويحتمل ذكر الآية للأكمة والأبرص وجوهاً :

الأول : إنه من باب الحصر والتعيين ، ولا يبرئ عيسى أمراضاً أخرى .
الثاني : أنه من باب المثال والفرد الغالب ، كما لو كانت أكثر الأمراض آنذاك العمى والأمراض الجلدية .

الثالث : إرادة التحدي في خصوص الأمراض المستعصية على الأطباء ، ومن إعجاز القرآن عدم إيجاد أدوية وإلى الآن تعيد البصر خاصة للأكمة الذي ولد أعمى وللأمراض الجلدية المستعصية .

الرابع : سؤال بني إسرائيل لعيسى ليثبت نبوته بشفاء مرضاهم من هذين الدائنين على نحو الخصوص .

الخامس : ورود ذكر الأكمة والأبرص شاهد على قدرة عيسى بالإبراء من الأمراض الأخرى المشابهة لهما في الإستعصاء ، وغيرهما مما هو دونهما .

والمختار هو الثالث والرابع والخامس أعلاه .

وذكر أن عيسى عليه السلام أبرأ في يوم واحد خمسين ألفاً من المرضى وكانوا على قسمين :

الأول : الذي استطاعوا الوصول إلى عيسى والقدوم عليه .

الثاني : الذين لم يستطيعوا الوصول إلى عيسى عليه السلام فذهب إليهم بنفسه وعالجهم وشفاهم من الأمراض باذن الله .

فسأل الناس جالينوس عن عيسى ، وهل يدل إبراؤه لهذه الأمراض المستعصية على نبوته أم لا ، فقال العلاج والدواء لا يحيي الميت ، فإذا كان عيسى نبي فليحيي الموتى ، فطلبوا من عيسى حينئذ إحياء الموتى .
(ووقع في التواريخ المترجمة عن الأطباء أن جالينوس ، كان في زمن عيسى عليه السلام وأنه رحل إليه من رومية إلى الشام ليلقاه فمات في طريقه ذلك) ^(١).

وقال بعضهم أن عيسى ساحر ، فطلب الناس من عيسى عليه السلام إحياء الموتى ، فسأل الله عز وجل فاذن له لأن يحيي أربعة أنفس وهم :
الأول : العازر صديق لعيسى ، إذ أرسل إلى عيسى يقول له : إن أخاك العازر يموت فأتته ، وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام ، فأتاه عيسى هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام ، فقال عيسى لأخته انطلقيني بنا إلى قبره ، فذهبت معهم ودلتهم على قبره ، وهو في صخرة مطبقة.
فتوجه عيسى عليه السلام بالدعاء والمسألة إلى الله عز وجل وقال (اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع انك أرسلتني إلى بنى إسرائيل ادعوه إلى دينك واخبرهم أني أحيي الموتى فأحيي العازر فقام العازر ووكده يقطر فخرج من قبره وبقي وولده) ^(٢).

الثاني : ابن عجوز مات ومروا بنعشه على عيسى عليه السلام ، فدعا له عيسى الله عز وجل فجلس على سريره ونزل عن إعناق الرجال ولبس ثيابه ، وحمل بنفسه السرير على رأسه ، ورجع إلى أهله فبقي ، وولد له .
الثالث : ماتت ابنة لعاشر أي الذي يأخذ ضريبة العشر للسلطان ، فدعى لها عيسى فعاشت وبقيت وولد لها ، في آية من رحمة الله بأن المعجزة والخير يهيم الناس ، وأن الله عز وجل يبعث الرسول رحمة بالناس

(١) المحرر الوجيز ٤٢٥/١.

(٢) تفسير حقي ١٨٦/٢ ، تفسير البيان في تفسير القرآن - اسماعيل حقي البروسي توفي سنة ١١٢٧.

جميعاً ، فالذي يأخذ العشر والضريبة للسلطان لا تحجب عنه وعن عياله هذه الرحمة لتمر الأيام ويقوم رجال السلطان بصلبه ، قال تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾^(١).

الرابع : إحياء سام بن نوح ، إذ قال بعضهم أن عيسى يحيي من كان قريب العهد بالموت ، ولعلهم لم يموتوا ، وأصابتهم السكتة ، كما في إحياء الشاب الذي كان على النعش ، وقالوا لعيسى أحيي لنا سام بن نوح فقال عيسى : دلوني على قبره .

فخرج ومعه عدد من أصحابه وأنصاره وخليط من الناس حتى انتهوا إلى قبره ، فوقف عيسى على قبره ودعا الله تعالى بالاسم الأعظم (وقد شاب رأسه فقال عليه الصلاة والسلام : " كيف شُبِّتَ ولم يكن في زمانكم شيب؟ " .

قال : يا روحَ الله لما دعوتني سمعتُ صوتاً يقول : أجبَ روحَ الله فظننتُ أن الساعةَ قد قامتُ فمن هول ذلك شُبِّتُ فسأله عن النزاع قال : يا روحَ الله إن مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنةٍ وقال للقوم : صدقوه فإنه نبيُّ الله فأمن به بعضهم وكذبه آخرون .

وهل فيه أمانة وبشارة على إيجاد علاج للشيب ، وبقاء شعر الإنسان أسود حتى مع التقدم في العمر ، الجواب المدار على صحة الخبر وسنده ، كما أنه ليس من بشارات التنزيل والوحي .

فقالوا : هذا سحرٌ فأرنا آيةً فقال : " يا فلان أكلتَ كذا ويا فلان خُبِيَ لك كذا " وذلك قوله تعالى : { وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها)^(٢).

(١) سورة النساء ١٥٧.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٣٩٣.

ليان أن الدين والإيمان لم ينتشر بالسيف والإرهاب إنما بالحجة التي هي مدد وعون من عند الله .

لقد أنطق الله عز وجل عيسى في المهد لتتوالى معجزاته من غير انقطاع ، وهي واقية وحرز له ، وكانت تتجلى في الكتاب الذي هو كالمدرسة الابتدائية ، قال السدي عن سعيد بن جبير (قال ابن إسحاق ، وكان معلم عيسى يريد أن يعلمه الشيء فيسبقه إليه عيسى فيتعجب معلمه من ذلك ويذكره للناس .

وقال قتادة معنى الآية إنما هو في نزول المائدة عليهم . وذلك أنها لما أنزلت أخذ عليهم عهداً أن يأكلوا ولا يخبئ أحد شيئاً ولا يدخره ويحمله إلى بيته فخانوا وجعلوا يخبئون من ثمار الجنة وطعامها الذي كان ينزل على المائدة . فكان عيسى عليه السلام يخبر كل أحد عما أكل وعما ادخر في بيته^(١) .

(قال الكلبي : كان عيسى عليه السلام يحيي الأموات بيا حي يا قيوم)^(٢) .

وتفصح المعجزة الذي يقف في طريقها ، والذي يمتنع عن الإقرار بالتوحيد ، وهي واقية للنبي وأنصاره وأتباعه وسلاح ضد الإرهاب والخصومة والإقتال ، إذ يدعو الله الناس للتصديق بالمعجزة . لقد صاحبت المعجزة النبوة ، فكل نبي يأتي بمعجزة ، والمعجزات على وجهين :

الأول : المعجزة المفردة التي تأتي لمرة واحدة ، كما في انشقاق القمر للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : المعجزة المتعددة التي تكون لها مصاديق متشابهة ومتجددة كما في إبراء عيسى عليه السلام والمرضى باذن الله .

(١) المحرر الوجيز ١/٤٢٥ .

(٢) تفسير الرازي ٤/٢١٥ .

وقد يقال أن معجزة إبراء المرضى من قبل عيسى عليه السلام ليست متحدة ، إنما هي متعددة بلحاظ تعدد الأمراض التي يقوم بعلاجها وإبراء أهلها .

وهو من فضل الله على الناس وبركات النبوة بأن يصرف الله عز وجل عنهم العلل بوجود النبي بين ظهرانيهم ، وقيامه بالدعاء لهم ، وعلاجهم ، ومعجزة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عقلية مستمرة ومتجددة في كل زمان ، وفيه شاهد بأن بركات آيات القرآن تطل على الناس في كل يوم بشأبيب الرحمة وأسباب التخلص من الحقد والكراهية والشقاق والنفاق ، لقد أراد الله عز وجل للمسلمين والمسلمات بتلاوة آيات القرآن العصمة من الإرهاب .

لقد بعث الله عز وجل الأنبياء لمنع واستئصال الإرهاب من الأرض ، فيجب على أتباعهم التنزه عنه والإمتناع عن الإضرار بالناس .
ومن مفاهيم المعجزة أنها حجة ودليل كاف يدعو الناس إلى التوحيد ، وفي التنزيل ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(١).

ففي المعجزة والتنزيل ومصاحبة الآيات الكونية للناس كفاية في هدايتهم وصلاحتهم ، وغنى عن الإضرار بالناس بالإرهاب والتفجيرات العشوائية التي تبعث النفرة في النفوس من القائمين بها ، وتكون سبباً لنماء الكراهية والعداوة ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

قاعدة لا ضرر ولا ضرار واقية من الإرهاب

ورد عن أبي أمامة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة)^(٣).

(١) سورة الزمر ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) الدر المنثور ١/٢٧٣.

ومن الخنيفة الإستقامة والصلاح والشفقة والرأفة والرفق بالناس جميعاً ، والتخفيف في أحكام الشريعة ، وعدم جواز قيام المؤمنين بالتشديد على غيرهم ، ليكون من باب الأولوية النهي والزجر عن الإرهاب ومقدماته .

ولا بد من التعاون للحيلولة دون الإرهاب ومفاهيمه التي لا أصل لها ، إذ أنها تتنافى مع الخنيفة وما فيها من السماحة .

ومن القواعد الفقهية قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) ويقول بها كل علماء الإسلام ، إذ أنها مقتبسة من السنة القولية والفعلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وورد فيها نص مخصوص .

(عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ضرر ولا ضرار من ضرر الله ومن شاق شق الله عليه) (١).

والضرر هو حصول الأذى وأسباب الضرر وهو خلاف المنفعة ، والمراد من الإضرار هو التعدي والظلم للآخرين ، والإخلال بمصالحهم وحجب المنفعة المستحقة عنهم عمداً أو إهمالاً .

ومن معاني الحديث وجوه :

الأول : المنع من الضرر بالنفس ، والإضرار بالغير .

الثاني : إتحاد معنى الكلمتين ، وتدل كل واحدة منهما على الإفساد .

الثالث : بين الكلمتين فرق ، إذ لو دار الأمر بين التأكيد والتأسيس ،

فالثاني هو الأولى ، خاصة مع وجود حرف العطف الواو الذي يفيد المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه .

الرابع : يقع الضرر بلا قصد ، أما الإضرار فيحصل بنية وقصد .

الخامس : الضرر الاسم والضرار الفعل .

السادس : الضرر إلحاق الأذى والضرر بالغير من أجل منفعة نفسه ،

أما الإضرار فهو جلب الضرر للغير من غير إنتفاع الذات .

وقد تقدم في الأجزاء السابقة أن النسبة بين الضرر والأذى هي العموم والخصوص المطلق ، فكل ضرر هو أذى وليس العكس ، لذا قال سبحانه ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾^(١) .

وفي الآية أعلاه وعد من عند الله عز وجل بأن الكفار لا يستطيعون الإضرار بالمسلمين ، وأن الله عز وجل جعلهم غير قادرين على الإضرار بالمسلمين ، فجاء الحديث النبوي لبيان قانون وهو أن على المسلمين الإمتناع عن إضرار بعضهم ببعض ، وأن لا يضرؤا غيرهم ، وفيه شكر لله عز وجل بأن حجب الله عز وجل عنهم إضرار غيرهم لهم وهم كانوا في حال ضعف واستضعاف .

ليكون من معاني حديث لا ضرر : ارحموا الناس كما رحمكم الله ، واجتئوا الإضرار بالناس .

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (مما أتخوف على أمتي أن يفتح لهم القرآن حتى يقرأه المؤمن والكافر والمنافق فيحل حلاله المؤمن)^(٢) .

وقد نزل القرآن بالنهي عن الإضرار بالغير في آيات كثيرة منها ما جاء بالنص وذات لفظ الضرر ، ومنها بالمفهوم والمعنى ، وصيغة الفعل والعاقبة.

منها في المعاملات كما في قوله تعالى ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١١١ .

(٢) الدر المنثور ٢/٢٨١ .

(٣) سورة البقرة ٢٨٢ .

ومنها في أحكام الأسرة ، قال تعالى ﴿لَا تَضَارَّ وَالِدُكَ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُكَ بِوَلَدِهِ﴾^(١) وليس من شريعة مثل الإسلام توصي بالرفق بالأم في ولدها ، وترعى مشاعر المرأة في لزوم العناية بولدها وحضانتها له ، مع العدالة في المقام ورعاية حق الوالد في ولده .

وقال تعالى بخصوص الطلاق ﴿وَلَا تُمْسِكُونِ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٢) فإذا كان الذي يمسك الزوجة للإضرار بها هو ظالم لنفسه فكيف بالذي ينشر الدمار في الأرض ، ويبعث الخوف والفرع في نفوس الأمنين .

وفي مسألة الإرث قال تعالى ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾^(٣) فلا يحق للإنسان أن يوصي في ماله إذا مات بأكثر من الثلث كي لا يضر الورثة ، ولا يحق له أن يدعي بأن عليه ديناً لا أصل له ، ولو قام الوالد مثلاً بتسجيل ملكه باسم أحد أولاده فهل هو من المضارة التي تذكرها الآية .

الجواب نعم ، إذا كان بقصد الإضرار بالأولاد والورثة الآخرين وحرمانهم ، كما أنه مكروه مطلقاً .

لقد نفذت أحكام الشريعة إلى المعاملات مثلما بينت على نحو التفصيل العبادات لمنع الجهالة والغرر وللحيلولة دون الضرر والإضرار بالآخرين سواء كانوا من ذوي القربى أو بعيدين عن الإنسان في النسب أو السبب أو الإلتواء أو السكن .

(١) سورة البقرة ٢٣٣.

(٢) سورة البقرة ٢٣١.

(٣) سورة النساء ١٢.

إذ أن قاعدة لا ضرر ولا ضرار مطلقة ، وكما وردت مصاديق لها في القرآن فقد جاءت مصاديق متعددة لها في السنة النبوية .
وهناك مسألتان :

الأولى : هل تتجدد واستحدثت معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من تقسيمها إلى معجزات عقلية وحسية .

الثانية : لماذا تتجدد معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
أما المسألة الأولى : فإن هذا التجدد قسيم للمعجزة العقلية والحسية ،
وكون أكثره فرع المعجزة العقلية لا يمنع من استقلاله في باب الإعجاز
والدلالة ، وفيه دعوة للعلماء والمحققين بدراسة تجليات النبوة فيما
يستحدث من الإعجاز في توالي الأيام .

أي يمكن تقسيم معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى
أقسام :

الأول : المعجزة الحسية كانشقاق القمر ، وارواء الجمع الكثير بالماء
القليل .

الثاني : المعجزة العقلية وهي نزول القرآن .

الثالث : تتجدد وتكرر المعجزة الحسية (وعن أبي سعيد ان رسول الله
خرج ذات ليلة لصلاة العشاء
(١))

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٢) مصاحبة
إعجاز النبوة للناس فمع تعاقب الأيام يتوالى استحداث المعجزات.

(١) سورة .

(٢) سورة آل عمران ١٤٠.

وتبين هذه القاعدة مصاديق لرحمة الله للناس كافة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدلائلها على مجئ القرآن والسنة على دفع الضرر والإضرار عن الناس .

وتتفرع عن هذه القاعدة عدة قواعد منها :

الأولى : لزوم السعي لإزالة الضرر .

الثانية : دفع الضرر قدر الإمكان .

الثالثة : درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .

الرابعة : إزالة الضرر بالضرر الأخف .

الخامسة : التعاون من أجل دفع الضرر ورفعها إذا وقع ، وهو من

مصاديق قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ ^(١).

ولا تصل النوبة للإزالة بالأخف إلا عند العجز والعسر بإزالة الضرر من غير أذى .

السادسة : قاعدة الدعاء يمحو الضرر ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ

لَكُمْ﴾ ^(٢).

السابعة : لزوم العصمة من الإضرار بالغير ، وبسنن وقاعدة لا ضرر

ولا ضرار للأسرة والمجتمع والبيئة .

ومن الإحكام في أحكام الشريعة أن قاعدة لا ضرر ولا ضرار مستقراة

في موضوعها وسنتها من القرآن والسنة ، وفيه آيات متعددة منها قوله تعالى

﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ^(٣).

(١) سورة المائدة ٢.

(٢) سورة غافر ٦٠.

(٣) سورة البقرة ١٩٠.

وأما لفظها فهو نص عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون من معاني النص في المقام المنع من الإجتهد خلاف النص ، ومن التحريف والتبديل .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ) ^(١).

والإرهاب ليس من السنة النبوية ، ولم يقل به فقهاء الإسلام ، وكان بمقدور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد على محاولات إغتياله من قبل أبي سفيان وصفوان بن أمية بالمثل بأن يبعث إليهم من يسعى في اغتيالهم ، وبث الرعب في صفوف المشركين ، إنما أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إطلاق سراح المسلمين الذين سجنوا في مكة من قبل ذويهم لمنعهم من الهجرة ، بعد أن إجتهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإطلاق سراحهم ، ليكون الدعاء مقدمة للسنة النبوية وسلاحاً للنجاح والتوفيق .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر بعضهم (في قنوت الصلاة اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة) ^(٢).
لقد تمادى المشركون بصيغ الإرهاب المكشوف والمتكرر ، فالأصل ترك المشركين للنبي والمسلمين ، والناس أحرار في اختيار ديانة التوحيد ، ويلزم عدم محاربتهم والتضييق عليهم لأن هذا التضييق من الإرهاب ، ولكن المشركين آذوا المهاجرين في أبدانهم واستولوا على أموالهم ، وطاردوهم في طريق الهجرة ، بل قدموا إلى المدينة لإستدراج بعض الصحابة والعودة بهم إلى مكة ليقوموا بتعذيبهم وحبسهم .

(١) صحيح البخاري ١٠/١٧.

(٢) عيون الأثر ١/٢٢٩ .

فحينما أسلم عياش بن أبي ربيعة جاء أبو جهل وأخوه الحارث بن هشام خلفه إلى المدينة ، وهما أخواه من أمه وقيل كان معهما أخوهما العاصي بن هشام^(١).

وأخبراه بأن أمه نذرت أن لا تغسل رأسها ولا تستظل حتى تراه . وقد لا يكون لهذه الدعوة أصل ، أو أنهما بالغاً فيها ، وكان عياش يعلم أن أمه تحبه حباً جماً من بين أخوته ، فرقت نفسه ، وحزن على أمه ، وظن أنها ستموت إن ظل بعيداً عنها ، وقال تعالى ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٢) .

وأعطياه الأمان ولا زالا به حتى خرج معهما مع تحذير بعض الصحابة له ، وفي الطريق وعندما ابتعدوا عن مكة واطمئنا بأن الطلب لا يصلهما إن بلغ إيذاؤهما له للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فقاما بتكليفه بالحبال .

حتى أدخلاه مكة نهاراً وأهلها ينظرون إليه موثقاً ، وهما يقولان لأهل مكة (يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا بسفيهننا هذا)^(٣) وأصل هذه القاعدة ما ورد (عن جابر بن عبد الله ، أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لفلان في حائطي عذقا وقد آذاني وشق علي مكان عذقه ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : بعني عذقك الذي في حائط فلان قال : لا . قال : هبه قال : لا . قال : فبعنيه بعذق في الجنة قال : لا .

(١) عيون الأثر ١/ ٢٢٩ .

(٢) سورة لقمان ١٥ .

(٣) الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله ١/ ٢٥٦ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما رأيت أبخل منك إلا الذي يبخل بالسلام) (١).

(حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَادٌ حَدَّثَنَا وَاصِلٌ مَوْلَى أَبِي عِيْنَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يُحَدِّثُ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ عَصَدٌ مِنْ نَخْلٍ فِي حَائِطِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ وَمَعَ الرَّجُلِ أَهْلُهُ قَالَ فَكَانَ سَمُرَةٌ يَدْخُلُ إِلَى نَخْلِهِ فَيَتَأَذَى بِهِ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَبِيعَهُ فَأَبَى فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَنَاقِلَهُ فَأَبَى .

فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَطَلَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَبِيعَهُ فَأَبَى فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَنَاقِلَهُ فَأَبَى قَالَ : فَهَبْ لَهُ وَلَكَ كَذَا وَكَذَا . أَمْرًا رَغَبَ فِيهِ فَأَبَى .
فَقَالَ : أَنْتَ مُضَارٌّ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِيِّ أَذْهَبَ فَأَقْلَعُ نَخْلَهُ) (٢).

(عن أبي ذر ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، عن الله تبارك وتعالى قال : يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا ، يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبا لي) (٣).

(عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- « مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكَرَ بِهِ ») (٤).

(١) المستدرک علی الصحیحین ٢/٢٤٠.

(٢) سنن أبي داود ٢/٣٥٢.

(٣) صحیح ابن حبان ٣/٢٣٦.

(٤) سنن الترمذی ٧/٤٢١.

وتدل القاعدة على عدم الضرر في أداء الفرائض والعبادات ،
 واجتناب ما فيه الأذى مثل الصيام الضروري لذا قال تعالى ﴿فَنَزَّلْنَا مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١) لبيان حب الله للعباد في فرض
 فرض العبادات وفي التخفيف عنهم في حال الضرر.

فيتلقى المسلم في شبابه قدوم شهر رمضان فيصومه شاكرًا لله عز وجل
 ، وإمثالاً لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) .

وعندما يكبر ويدب إلى جسمه الوهن ويغزوه المرض والداء ، يرفق به
 ، قال تعالى ﴿فَنَزَّلْنَا مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى
 سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٣) .

والصيام والصوم مصدر صام ، والصيام صيغة مبالغة ، على وزن
 فعال ويفيد المفاعلة ويتضمن أطرافاً :

الأول : الصائم .

الثاني : ذات الصوم .

الثالث : الذي يصام ويمسك عنه ، وقد لا تتجزأ المفاعلة في المصدر
 الصوم وهو على وزن فعل لفعل أجوف فعل الواو.

وكل منهما يفيد الإمساك والإمتناع ، وقد ورد لفظ (صيام) تسع
 مرات في القرآن ، خمسة في سورة البقرة ، منها أربع مرات ، في آيتين في
 كل واحدة منها ورد مرتين ، قال تعالى ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ

(١) سورة البقرة ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة ١٨٣ .

(٣) سورة البقرة ١٨٤ .

هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَتِنُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبِغَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴿١﴾، وقال تعالى ﴿فَذِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿٢﴾.

ولم يرد لفظ (صوم) في القرآن إلا مرة واحدة بخصوص مريم عليها السلام في قوله تعالى ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ ﴿٣﴾، فهل يدل على أن الصيام غير الصوم .

الجواب لا دليل عليه ، نعم فيه بيان على أن المراد من الصيام ما فيه مشقة دفعا على ، والصيام عن الطعام والشراب والجماع تكليف أشد على الإنسان من الصمت عن الكلام ، كما أن فريضة الصيام واجبة على كل مسلم ومسلمة باستثناء حال المرض والسفر.

أما صيام الصمت بالنسبة لمريم فهو قضية عين ، وعلى نحو النذر ليكون مناسبة لتجلي معجزة عيسى عليه السلام بالكلام .

وقاعدة لا ضرر من سنن الإمتنان والإرفاق التي تفضل الله عز وجل بها على المسلمين وأهل الكتاب والناس جميعاً من غير أن تتعارض مع القواعد العامة كوجوب أداء الفرائض العبادية ، وكسلطنة الناس على أموالهم .

(١) سورة البقرة ١٨٧.

(٢) سورة النساء ٩٢.

(٣) سورة مريم ٢٦.

وجاء حديث (لا ضرر ولا ضرار) بصيغة الجملة الخبرية إلا أنه يشمل الأمر والنهي ، الأمر بما فيه الإمتناع عن الضرر ، والنهي عما يضر الذات والغير ، ومنه الإرهاب ، فهو ضرر خاص وعام .

وفي هذا الزمان يقوم بالعمل الإرهابي شخص من في موضع من الأرض فيتأذى ويتضرر منه القريب والبعيد ، ممن هو في ملته والذي وقع عليه الفعل الإرهابي ، ويدل الحديث على أن السنة النبوية خالية من الضرر والإضرار ، وفيه دعوة للمسلمين والمسلمات بالتزهر عن الإضرار بالغير .

ولو جاء المسلم بوضوء ضرري على بدنه فهل هذا الوضوء صحيح أم أنه فاسد من جهة قاعدة لا ضرر ولا ضرار ، أم هناك تفصيل بين حال العلم بترتب الضرر ، وحال الجهل به ، والمختار صحة الوضوء .

ومن خصائص التنزيل إصلاح النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، فيكون العمل بقاعدة لا ضرر ولا ضرار للإصلاح ، ورشحة من رشحات الإصلاح من غير أن يلزم الدور أو أن يظهر تعارض في المقام .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَوَاقِعَهُ ، ثُمَّ إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) ^(١).

ليبان أن الإيمان يصلح القلوب ، وهذا الصلاح رادع عن الإرهاب ومانع من الهم به والإعانة عليه .

وليس من الحلال التفجير والقتل العشوائي ، والتعدي على الحرمات ، وافزاع الأمنين ، والاضرار بالمرافق العامة ، ووسائل النقل .

(عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : دع ما يريك إلى ما لا يريك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة) ^(١).

وفي العزم على الإرهاب فساد وتتعدى الريبة بسببه إلى غير فاعله ممن يتسبب له ، ويكون قريباً منه وله صلة معه ، لتكون قاعدة لا ضرر ولا ضرار حاکمة في المقام .

إذ أن العمل الإرهابي ضرر من جهات :

الأولى : الضرر للذي قوم بالعمل الإرهابي ، وهل هذا الضرر في الدنيا وحدها .

الجواب لا ، إنما هو ضرر في النشأتين ، ومن مصاديق قاعدة لا ضرر ولا ضرار في وجوب إجتنب المسلم ما يؤدي إلى الإضرار به أو بغيره في الدنيا والآخرة .

الثانية : حصول التلف في المرافق العامة ، والأُملاك الخاصة ، وهو خلاف قاعدة الناس مسلطون على أموالهم ، والتي تدل في مفهومها على لزوم عدم الإضرار بالمال الخاص .

الثالثة : حال الفزع عند الناس ، والخشية من الإرهاب في السوق والمسجد ودور العبادة وغيرها ، مما يؤدي إلى النفرة العامة من أهله .

الرابعة : من خصائص الإرهاب إلحاق الضرر بالأبرياء وعامة الناس ، ولا يحق للشخص أن ينصب نفسه حاكماً شرعياً ، ويفتي أو يقوم بالعمل الإرهابي ، ويرى صحته ، إذ أن قاعدة لا ضرر ولا ضرار مانعة من مثل هذه الفتوى ، وما يترشح عنها من الفعل .

وقد نهى الله عز وجل عن إنقاص حقوق الناس أو التعدي عليها وإلحاق الغبن بهم .

قال تعالى ﴿وَلَا تُبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ومن الإعجاز في الآية أعلاه أنها وردت بصيغة العموم في كل من :
الأول : عموم الخطاب وتوجه النهي في الآية للجميع ، فليس من استثناء في حرمة الإضرار بالناس .

الثاني : النهي عن البخس مطلقاً في الكثير وقليل ، والجليل والحقير .
الثالث : ذكر الأشياء كبيرها ودقيقها ، لبيان حفظ وصيانة الإسلام للملكية الخاصة وإن قلت قيمتها أو شأنها .

لقد تجلت قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) في كتائب وسرايا النبي صلى وآله وسلم إذا كانوا يملكون على الأنعام والمواشي والإبل في المراعي والمضارب ويعلمون أن أهلها مشركون وليس فيها إلا الرعاة ولم يأخذوا منها ولم يستولوا عليها إنما كانوا يقيمون صلاة الجماعة عند باب القرية لتكون هذه الإقامة دعوة إلى الهدى والإيمان ، وزاجراً لأهل القرية وغيرهم من الإعانة في الهجوم والتعدي على المدينة المنورة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنْ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٢) بلحاظ نهيهما الغير عن الإقامة على الكفر والضلالة .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في العمل بمضامين قاعدة لا ضرر ولا ضرار ، وكان يعفو عن الذي يستحق العقاب وحتى الذي يحتمل صدور الضرر منه لأن الحكم على الظاهر ولقانون وهو أن النبي

(١) سورة الأعراف ٨٥.

(٢) سورة العنكبوت ٤٥.

صلى الله عليه وآله وسلم إذا عفى عن ظالم وعاد في ظلمه فان الله عز وجل يخزيه ، ويجعله عبرة وموعظة.

وقانون لا ضرر ولا ضرار مستقراً من حديث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مشهور عند علماء الإسلام ، وتلقاه أجيالهم بالتسليم والإقرار والرضا ، وهو شاهد على عدم التعارض بين حكم الشرع وإدراك العقل ومفهوم الحكمة .

فيمنع الإسلام من الضرر من وجهين :

الأول : عدم الإضرار بالنفس وهو على شعب :

الأولى : لزوم عدم الإضرار بالنفس بالعبادات ، فلا يجب ولا يستحب للمريض الصيام ، قال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١) .

والآية أعلاه من الف والنشر ، فقد يقضي المريض الصيام إذا تعافى من المرض خلال أيام وأشهر السنة بين شهر شوال إلى شهر شعبان فيقضي الصيام لنص الآية أعلاه ، أما إذا استمر معه المرض طيلة أيام السنة حتى حلول رمضان التالي يسقط عند صيام ذلك الشهر ، وتترتب عليه الفدية وهي مدّ أي كيلو إلا ربعا عن كل يوم لقاعدة لا ضرر ولا ضرار .

ولأن كل ما غلب الله عليه فالله أولى بالعدر ، وهكذا كل شهر رمضان حكمه الخاص في سنته حصراً بالنسبة للمريض ، أما المسافر فانه يقضي متى ما انقطع سفره .

أما إذا كان كثير السفر فانه يصوم في السفر ، حتى على الخلاف هل الإفطار في السفر رخصة أم عزيمة .

ان حضور قاعدة نفى الحرج في العبادات تنمية للملكة عدم الضرر فيها ، وفي المعاملات والأحكام والصلوات العامة وصيرورتها ميزاناً يختار فيه المسلم فيه العمل الصالح والنافع ، والخالي من الضرر والأذى .

الثانية : لزوم إجتنب الإضرار بالنفس في المعاملات ، قال تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١) وقد منع القرآن والسنة من هذا الضرر بالضوابط الشرعية والأخلاقية التي تضمنتها آيات القرآن ، منها أحكام البيع والشراء والأسرة والأبناء ، وحرمة الربا ونحوه ، وفي القرض والدين قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾^(٢).

وكل جملة وكلمة في هذه الآية تمنع من الإضرار بالنفس ويحول دون الفتنة .

إن إشغال المسلم بالتقيد بالأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات واحضار النص القرآني والسنة النبوية القولية والعملية برزخ دون الميل إلى الإرهاب ، وهو سبب لزم ذات الإرهاب واستهجان فعله .

الثالثة : عدم الإضرار بالنفس بالعناد وترك الدعاء والشكر لله ، قال تعالى ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٣).

الثاني : عدم الإضرار بالغير ، إذ يلزم المسلم عدم إلحاق الأذى بغيره بغير حق ، وهل يمكن القول بلحاظ صيغة الجمع في الآية ، بلزوم إجتنب المسلمين مجتمعين ومتفرقين عدم الإضرار بغيرهم من أهل الأرض .

(١) سورة البقرة ١٩٥.

(٢) سورة البقرة ٢٨٢.

(٣) سورة سبأ ١٣.

الجواب نعم من جهات :

الأولى : أصالة الإطلاق في قاعدة لا ضرر ولا ضرار ، ولا يتوقف قانون عدم الإضرار بالغير بقاعدة لا ضرر ولا ضرار ، على ان القرآن يمنع من هذا الإضرار بالنص والمفهوم ، كما تقدم ذكر بعض الآيات في المقام . ومنها قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(١) .

الثانية : من خصائص هذا القانون أنه عون في بناء صرح الإيمان ، وتثبيت السنن العبادية ، وفيه حرب على النفاق ، ومنع من بث الأراجيف والشبهات على القرآن والسنة .

الثالثة : عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) ، فمقتضى الآية لزوم نشر المسلمين الرحمة حواليتهم ، وتجلي معانيها في القول والعمل .

الثالث : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه الإمام في الصبر وتحمل الأذى ، لبيان لزوم ضبط المسلم لسانه وجوارحه ، وعدم التعدي فيها مجتمعين ومتفرقين .

لقد ابتدأ نظم القرآن بالبسملة ، ومع أنها تتألف من أربع كلمات فإن منها ثلاثة من أسماء الله الحسنى ، والآخر هو لفظ الاسم ومعناه في المقام غير أسماء الخلائق ، بقوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٣) .

ومن رحمة الله عز وجل بالمسلمين والناس المنع من الضرر ودفع الناس عنه ، وصرفهم عن مقدماته ، قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضٍ

(١) سورة الأحزاب ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة الفاتحة ١ .

لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾.

وقد أنعم الله عز وجل على المسلمين والناس فجعل قراءة المسلمين للقرآن في أكثر أوقات الصلاة جهرية ليتدبروا وغيرهم بمعاني الآيات ، وهل ينحصر التدبر في صلاة الإخفات وهي صلاة الظهر والعصر بالمسلمين وصبرهم ، الجواب لا ، لبيان قانون وهو أن أداء الصلاة مانع من الضرر ، وبرزخ دون الإضرار بالغير لعصمة المصلي من الإضرار بغيره ، وامتناع الناس من الإضرار بالمصلين وطرأت مسألة الإرهاب لتدب الفتنة ومآسي الإرهاب إلى المساجد ، إلا أنها أمر طارئ يزول بزوال أسبابه وبالتفقه العام باضراره وانعدام النفع منه ، لتبقى قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) حاکمة وحاضرة في العبادات والمعاملات والجامع بينهما ، وهو من أسرار إجماع المسلمين على هذه القاعدة ، وفي هذا الإجماع في المقام مسائل :

الأولى : تعاون عموم المسلمين والمسلمات في الإمتناع عن الإضرار بالذات والغير ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (٢) ، بلحاظ كبرى كلية وهي أن هذا الإمتناع أمر وجودي ، وفيه الصلاح والأجر والثواب.

الثانية : منع استيلاء اليأس على نفس المسلم ، قال تعالى ﴿الْأَبْذُكِرَ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٣).

(١) سورة الحج ٤٠.

(٢) سورة المائدة ٢.

(٣) سورة الرعد ٢٨.

الثالثة : قيام المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن المعروف الإستقامة والتزّه عن الإرهاب ، ومن النهي عن المنكر بيان قبح العمل الإرهابي والزجر عنه ، قال تعالى ﴿وَتُكْرَهُ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) .

الرابعة : إطلاع أهل الملل والنحل على قوانين وأحكام الشريعة الإسلامية ، وأنها ضد الإرهاب ، وتنتهى عنه .

الخامسة : إقامة الحجة على الذي يقوم بفعل إرهابي .

قانون غايات النصر في معركة بدر

لقد جاء نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في معركة بدر هبة وفضلاً من عند الله ، وسبيلاً للصالح والتقوى .

ومن إعجاز القرآن ذكر آية (بدر) للغاية السامية من هذا النصر ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) .

فأخبرت الآية عن وجوب اتخاذ المسلمين النصر في معركة بدر سبباً ووسيلة للتقوى والخشية من الله عز وجل ، ولتكون التقوى طريقاً للشكر لله عز وجل بالقول والفعل .

فلم تأمر الآية المسلمين بالفرح بهذا النصر ، ولم تترك لهم إختيار الكيفية التي يصيرون عليها بعد النصر في معركة بدر ، إنما قيدت الأمر بالتقوى والشكر لله عز وجل لبيان ،

(١) سورة آل عمران ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

لزوم الإمتناع عن القتل والتخريب والبطش ، فمن معاني التقوى في الآية وجوه :

الأول : فاتقوا الله في أداء العبادات .

الثاني : فاتقوا الله شكراً له سبحانه .

الثالث : فاتقوا الله ﴿وَلَا تَعْوَفِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١).

مُفْسِدِينَ^(١).

الرابع : فاتقوا الله في اصلاح أنفسكم .

الخامس : فاتقوا الله بالدعوة إلى التوحيد .

السادس : فاتقوا الله بالإمتناع عن الإضرار بالغير .

وورد لفظ ﴿بَدْرٌ﴾ مرة واحدة في القرآن في الآية أعلاه من سورة آل عمران ، لبيان أن الله عز وجل يهب الأمر العظيم ، ويذكره مرة واحدة في القرآن ليقى نفعه إلى يوم القيامة .

وورد لفظ ﴿نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ مرتين في القرآن ، قال تعالى

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾^(٢) لبيان أن الله عز وجل

يعطي ويهب على نحو التعدد في أي موضوع .

وتتعدد النعم في الموضوع المتحد ويبقى نفعها ، وتستحدث لها مصاديق

في كل زمان ، قال تعالى ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف ٧٤.

(٢) سورة التوبة ٢٥.

(٣) سورة ابراهيم ٢٥.

ماذا لو أراد النبي عدم الخروج من مكة في عمرة القضاء

من خصائص الأنبياء الصبر ، ومن إعجاز القرآن أن في قصة كل نبي فيه آيات الصبر وتحمل الأذى ، وهو من مصاديق الحسن في قوله تعالى ﴿ نَحْنُ نُقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قُلُوبِنَا الْغَافِلِينَ ﴾ ^(١) .

وصبر الأنبياء من التقوى والإحسان ، الذي وعد الله عز وجل عليه الثواب العظيم ، قال تعالى ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) .
ليقتدي المسلمون بالأنبياء في صبرهم وعصمتهم من الجزع .
لقد صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على إيذاء كفار قريش لكل من :

الأول : إيذاؤهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في شخصه ورسالته السماوية .

الثاني : إيذاء أهل البيت كما في حصارهم في شعب أبي طالب ثلاث سنوات .

الثالث : الذين دخلوا الإسلام من أهل مكة .

الرابع : العداوة والحرب على المهاجرين .

الخامس : توجيه الإنذارات للأنصار .

السادس : التنزيل واستخفاف الكفار بعقيدة التوحيد ، واستهزاؤهم بآيات القرآن .

فجاء فتح مكة ليتولى المسلمون شؤون المسجد الحرام إلى يوم القيامة بعناية فائقة في كل زمان ، وهو من الشواهد على أنهم لا يريدون القتال ، ولا يطمعون بغزو ، إنما هم في غنى عنه إذ تكفيهم

(١) سورة يوسف ٣.

(٢) سورة الصافات ١٣١.

نعمة البيت الحرام وصيرورته بأيديهم ، وتنزيهه من الأصنام والأوثان .

إن إيلاء عامة المسلمين وحكامهم فريضة الحج العبادية العناية القصوى شاهد على إبتعادهم عن مسألة الغزو ، ولو شاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما دخل مكة في عمرة القضاء لاستولى عليها ، ولأزاح الذين كفروا عن ولاية شؤون البيت الحرام ، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

إذ دخلها ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه ، وفيهم الكفاية لفرض الأمن في داخل مكة وتأمين مداخلها والقبض على رؤساء الكفر الذين يخرجون للقتال بل (أن أكابر قريش خرجوا من مكة عداوة للرسول ولم يقدروا على الصبر في رؤيته يطوف بالبيت هو وأصحابه)^(٢).

وهم معروفون بالاسماء ويوتهم قرية من البيت الحرام ، وبالإمكان القاء القبض عليهم في الليل ثم العفو عنهم ، وهو من عمومات قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح (اذهبوا فانتم الطلقاء)^(٣) والذي لم يتأخر كثيراً عن عمرة القضاء في معجزة في السيرة النبوية بأن حفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم العهد والمواثيق ، وكان صبره فضحا للذين كفروا وبلغه لتتجز الفتح بفضل من عند الله عز وجل .

(١) سورة الانفال ٣٤.

(٢) عيون الأثر ١٥٨/٢.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٥٧٠/٣.

وأقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في مكة ثلاثة أيام في شهر حرام ، وهو ذو القعدة من السنة السابعة للهجرة ، وأثناء ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يطوفون بالبيت قعد المشركون على جبل قعيقعان ينظرون إليهم .

وجبل قعيقعان في الجهة الغربية من مكة ، وسمي به لتقعع السلاح به في حرب جرهم مع قطورا الذين كانوا يومئذ هم أهل مكة ، وفي وسط جبل قعيقعان تقع المروة ، ويسمى هذا الجبل في هذا الزمان جبل قرن ، ويشرف جبل الأخشب الأحمر على جبل قعيقعان .

وأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالرملة وهو الإسراع ، وتتابع الخطى في الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف.

ليبدو المسلمون أقوياء في أعين قريش ، ثم المشي في الأشواط الأربعة الأخرى وعن أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما زعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل بالبيت وأنها سنة قال صدقوا وكذبوا قد رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت وليست بسنة ولكن قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة والمشركون على قعيقعان .

وبلغه أنهم يقولون إن به وبأصحابه هزالا فقال لأصحابه أرملوا أروهم أن بكم قوة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمل من الحجر الأسود إلى الركن اليماني فإذا توارى عنهم مشى .

قالوا فلا ترى أنه أمرهم أن يمشوا في الأشواط الثلاثة فيما بين الركنين حيث لا يراهم المشركون وأمرهم أن يرملوا فيما بقي من

هذه الأشواط ليروهم فلما كان قد أمرهم بالرمل حيث يرونهم
وبتركه حيث لا يرونهم .

ثبت بذلك أن الرمل كان من أجلهم لا من أجل أنه سنة قالوا
وما دل على ذلك أنه لم يفعل ذلك لما حج^(١).

لقد رمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الأشواط
الثلاثة الأولى ليدو المسلمون أقوياء بعيون المشركين ، وللرد العملي
على إدعاء المشركين بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه
ضعفاء وأصابتهم الأمراض في المدينة .

قانون الإملاء للمشركين في معركة أحد استئصال للإرهاب

لقد جعل الله عز وجل الدنيا داراً لرحمته لتصيب البر والفاجر
والمؤمن والكافر ، وإذا نظرت لأحوال الناس والطوائف لا تجد أثراً
وموضوعية للإيمان إلا بعد التدبر والتفكير سواء في الصحة والعافية
أو الأمن أو طول العمر أو سعة الرزق ونحوه .

فعند التدبر والتفكير وفق قانون العلة والمعلول ، والسبب
والمُسبَّب تجد الإيمان حاضراً في كل نعمة ، وهو سبيل لإستدامتها
وظهورها عند ذات المؤمن أو ممن حوله أو في ذريته ، وتجد ضرر
الكفر يذب في مفاصل حياة أهله ، ويأتي على النعمة التي عندهم
، مع تجلي البشارات للمؤمنين ، والإنذار والوعيد للذين كفروا في
التنزيل ، وفي الواقع.

ونزل القرآن بطرد الغفلة عن الناس جميعاً ، والمنع من التماذي
في المعاصي والإصرار على التعدي والظلم ، قال تعالى ﴿وَلَا

يَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾ ومن الإملاء لقريش أمور :

الأول : السيادة والرئاسة في مكة ، لبيان مسألة وهي أن تسمية القرآن لمكة بأنها أم القرى شاهد على إملاء وفضل الله عز وجل على قريش ونفوذها وسطوتها عند القبائل .

ومن الإعجاز أن القرآن ذكر اسم أم القرى لمكة في مسألة إنذار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأهلها ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابِ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٢) .

وتدل الآية أعلاه على الاذن من عند الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة إلى الطائف ثم إلى المدينة لأنها مما حول مكة ، لذا أرسل طائفة من أصحابه إلى الحبشة مهاجرين ، ولم يذهب معهم ، وهو من إعجاز القرآن بأن يأتي الإنذار الشخصي لأهل مكة وما حولها ، كما تضمنت الآية أعلاه عموم رسالة النبي بقوله تعالى ﴿وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابِ فِيهِ﴾ (٣) .

ومن قوانين الحياة الدنيا الثابتة في الأرض والمصاحبة لخلافة الإنسان فيها لزوم الشكر على الإملاء ، وتوالي النعم واجتناب الظلم والجور .

(١) سورة آل عمران ١٧٨ .

(٢) سورة الشورى ٧ .

(٣) سورة الشورى ٧ .

وقد أكرم الله عز وجل مكة والأرض بالبيت الحرام ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ، وقام إبراهيم وإسماعيل وكل منهما نبي ببناء البيت ، فمع أن إبراهيم من الرسل الخمسة أولي العزم إلا أنه لم يتم برفع قواعد البيت وحده بل شاركه فيه الرسول إسماعيل ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢) ثم تولى إبراهيم دعوة الناس للحج لبيان بقائها إرثاً وتركته جهادية يقوم بها أبنائه من بعده ، وهو وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : إبراهيم رسول قام ببناء البيت ودعا الناس لحجه .
الصغرى : إسماعيل رسول شارك أباه إبراهيم برفع قواعد البيت .

النتيجة : إسماعيل دعا الناس للحج .

لتكون هذه الدعوة باقية في ذرية إبراهيم ، ومنهم قریش ولكنهم إنحرفوا فأدخلوا الأصنام في الكعبة وحولها ، وتركوا الصلاة التي كان إبراهيم يعشقها ويتعاهدها ، وفي التنزيل ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾^(٣) لبيان أن إبراهيم كان يدعو لأهل مكة بسعة الرزق وللنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالبعثة والنصر.

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) سورة البقرة ١٢٧.

(٣) سورة إبراهيم ٤٠.

وهل دعاء إبراهيم لأهل مكة من الإملاء لهم ، الجواب
إستجابة الله عز وجل لدعائه حجة عليهم وسبيل لهدايتهم ولكنهم
جعلوه نوع إملاء لإتحاذهم النعم واسطة للمعصية ، وولاية البيت
الحرام سيلاً وسلطاناً لتعليق الأصنام فيه ، ثم إزدادت أموالهم
ببركة جوار البيت وحج الناس إليه ، ودعاء إبراهيم وبعد ولادة
النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تضاعفت أموالهم .

لقد صارت قريش تنقل محاصيل وبضائع الشام في الشتاء إلى
اليمن ومكة والطائف ، وتنقل في الصيف محاصيل وتجارة اليمن ،
وما يأتي عن طريقها من الحبشة والهند إلى كل من الشام ومكة
والطائف كما كانوا يقومون بالتجارة ونقل البضائع إلى العراق
والحيرة وبلاد فارس ، قال تعالى ﴿لَا يَلَاقِي قُرَيْشٌ * إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ
وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ
خَوْفٍ﴾ (١).

وصار أهل مكة يشتركون جميعاً في رؤوس أموال هذه القوافل
، ولكنهم لم يشكروا الله على هذه النعم إنما اتخذوها لمحاربة
أسباب البركة التي تفضل الله عز وجل بها وهو من خصال الذين
كفروا .

ولو كانت قريش في حال فقر وعوز فهل حاربوا النبوة والتنزيل
، الجواب نعم ، لأن الباعث هو إقامتهم على الكفر ، ولكن كيفية
القتال تختلف وتقل حدثها ، وأسباب الخطر على النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وأصحابه ، فأراد الله عز وجل بيان معجزة للنبي
صلى الله عليه وآله وسلم وهي نصره على القوم الكافرين وأن
كانوا في قوة ومنعة وكثرة أموال وأعوان.

لقد وتر صفوان بن أمية إذ قُتل أبوه وأخوه في معركة بدر كافرين ، فصار يحرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وصار يبذل الأموال من أجل الخروج لقتاله .

وقيل أنه كان يقول (إن محمداً وأصحابه قد عوزوا علينا متاجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يرحون الساحل، قد وادعهم، ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في ديارنا هذه، ما لنا بها بقاء، وإنما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى الحبشة) ^(١)، وسيأتي مزيد كلام في سرية زيد بن حارثة الى القردة.

لقد كان رجالات قریش يجتمعون في دار الندوة كل يوم ، ويستعرضون أخبار العرب والأشعار والقصائد ، ومن قائلها ونسبه ومناسبتها ، فأدركوا بعد معركة بدر بخبرتهم أن أيامهم بدأت بالإدبار ، وأن قبائل سيتجرون على قوافلهم ، وهم لا يعلمون أن هذا الإدبار بدأ من حين إعراضهم عن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن من خصائص الكافر أنه لا تتبين عنده الوقائع ولا تنكشف لديه الحقائق إلا بعد حين .

ومن خصائص الأنبياء الهجرة ، وكثير منهم غادروا البلد الذي بعثوا فيه ومنهم من قتل في ذات البلد لبيان أن هجرة الأنبياء حاجة لكل من :

الأول : النبي نفسه .

الثاني : النبي اللاحق لأن وظيفة النبي في رسالته البشارة بالنبي والرسول اللاحق كما في قول الرسول عيسى عليه السلام في القرآن ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا

لَمَّا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ .

الثالث : أصحاب النبي وطلب سلامتهم في الهجرة من جهات

:

الأولى : هجرة النبي تخفيف عن أصحابه .

الثانية : هجرة أصحاب النبي سلامة لهم .

الثالثة : هجرة النبي وأصحابه دعوة إلى الإيمان وشاهد على

الصبر .

الرابعة : الهجرة تنزه عن الإرهاب .

وهل من الإعجاز في هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا برسالته من كل من :

أولاً : المسلمون والمسلمات من قريش .

ثانياً : عموم أهل مكة ففيهم من غير قريش وأحلافهم ، ومن المستضعفين والعبيد .

ثالثاً : القبائل والقرى التي حول مكة ، وهو من مصاديق تسمية مكة ﴿أم القرى﴾ (٢) وما في هذا الاسم من العموم وترشح المنافع عنها .

وهل من مصاديق الإنذار في قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٣) الإنذار من البقاء في مكة عند اشتداد أذى الكفار ، الجواب نعم ، لذا كانت رقية بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الصف ٦ .

(٢) سورة الشورى ٧ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ .

من أوائل المهاجرين ، ومعها زوجها عثمان بن عفان ، وكانت قبله زوجة لعتبة بن أبي لهب ، واسم أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب .

وقيل زوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمرها أقل من عشر سنوات .

(وولدت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن ثلاث وثلاثين سنة) ^(١).

وأسلمت مع أمها خديجة وبايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت أختها أم كلثوم زوجة لعنينة بن أبي لهب ، فلما نزل قوله تعالى ﴿ تَبَّتْ يُدَّأَبِيْ لَهَبٌ وَتَبَّ ﴾ ^(٢) استشاط أبو لهب غضباً وبدل أن يتوب توجه إلى ولديه وأمرهما بطلاق زوجتيهما .

وقال لولديه عتبة وعنينة (فارقا ابنتي محمد. وقال أبو لهب: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد) ^(٣).

ليان الأذى الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت في سبيل الله ، فعمه أبو لهب يأمر ولديه أن يفارقا زوجتيهما ، فتزوجت رقية عثمان وأختلف هل ولدت منه على قولين :

الأول : ولدت رقية لعثمان ولداً اسمه عبد الله ، ولما بلغ عمره ست سنين نقر عينه ديك ، فتورم وجهه ومرض ومات ..
الثاني : توفيت رقية ، ولم تلد لعثمان ، قاله قتادة ^(٤).

(١) الإستيعاب ٩٤/٢.

(٢) سورة المسد ١.

(٣) الوافي بالوفيات ٤٦٢/٤.

(٤) الوافي بالوفيات ٤٦٢/٤.

والمشهور هو القول الأول أعلاه .

وهاجرت رقية الهجرتين :

الأولى : إلى الحبشة .

الثانية : إلى المدينة .

وماتت في المدينة يوم جاء زيد بن حارثة نبأ نصر المسلمين في معركة بدر .

وكذا هاجر حمزة بن عبد المطلب إلى الحبشة ، وهو عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من شجعان قريش لتكون هجرته شاهداً على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد القتال ، ولا يطلبه ، فلم يبعد عمه الفارس المغوار عنه ، فكان إلى جانبه ، وكان يسمى أسد الله وأسد رسوله ، ورثاه حسان بن ثابت ، كما رثاه كعب بن مالك وسمّاه أسد الله للدلالة على شجاعته وبطولته وتفانيه في الدفاع عن النبوة والتنزيل بوجه الغزاة المشركين إذ قال حسان (من السريع:

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا ... بَعْدَ صَوْبِ الْمَسْبِلِ الْهَاطِلِ
بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأَدْمَانَةً ... فَمَدْفَعِ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلِ
سَأَلْتُهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ ... لَمْ تَدْرِ مَا مَرْجُوعَةُ السَّائِلِ
دَعَّ عَنْكَ دَاراً قَدْ عَفَا رَسْمَهَا ... وَابِكَ عَلَى حَمْزَةِ ذِي النَّائِلِ
أَلْمَالِي الشَّيْزَى إِذَا أَعْصَفَتْ ... غِبْرَاءُ فِي ذِي الشِّمِّ الْمَاحِلِ
وَالتَّارِكِ الْقَرْنَ لَدَى لَبْدَةٍ ... يَعْثُرُ فِي ذِي الْخُرْصِ الذَّابِلِ
وَاللَّابِسِ الْخَيْلِ إِذَا أَخْجَمَتْ ... كَاللَّيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ
أَبْيَضُ فِي الذَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... لَمْ يَمِرْ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
مَالٌ شَهِيداً بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ ... شَلَّتْ يَدَا وَحْشِي مِنْ قَاتِلِ
أَيِّ امْرِئٍ غَادَرَ فِي آلَةٍ ... مَطْرُورَةٍ مَارِنَةٍ الْعَامِلِ
أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدَانِهِ ... وَأَسْوَدَ نَوْرُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ

صلى عليه الله في جنة ... عالية مكرمة الداخل
 كنا نرى حمزة حرزاً لنا ... في كل أمر نابنا نازل
 وكان في الإسلام ذا تدرأ ... يكفيك فقد القاعد الخاذل
 لا تفرحي يا هند واستجلي ... دمعا وأذري عبرة الثاكل
 وأبكي على عتبة إذ قطه ... بالسيف تحت الرهج الجائل
 إذ خر في مشيخة منكم ... من كل عات قلبه جاهل
 أرداهم حمزة في أسرة ... يمشون تحت الحلق الفاضل
 غداة جبريل وزير له ... نعم وزير الفارس الحامل

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب: من الكامل:
 طرقت همومك فالرقاد مسهد ... وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
 ودعت فؤادك للهوى ضمرية ... فهوأك غوري وصحبك منجد
 فدع التماذي في الغواية سادراً قد كنت في طلب الغواية تفند
 ولقد أنى لك أن تنهى طائعا ... أو تستفيق إذا نهأك المرشد
 ولقد هددت لفقد حمزة هدة ... ظلت بنات الجوف منها ترعد
 ولو أنه فجعت حراء بمثله ... لرأيت رأسي صخرها يتبدد
 قرم تمكن في ذؤابة هاشم ... حيث النبوة والندى والسودد
 والعافر الكوم الجلال إذا غدت ... ريح يكاد الماء منها يجمد
 والتارك القرن الكمي مجدلاً ... يوم الكريهة والقنا يتفصد
 وتراه يرفل في الحديد كأنه ... ذو لبدة شن البرائن أريد
 عم النبي محمد وصميه ... ورد الحمام^(١) فطاب ذاك المورد
 وأتى المنية معلماً في أسرة نصروا النبي ومنهم المستشهد
 ولقد إخال بذاك هندا بشرت ... لتमित داخل غصة لا تبرد
 مما صبحنا بالعنقل قومها ... يوماً تغيب فيه عنها الأسعد
 وببشر بدر إذ يرد وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد

حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَائِهِمْ ... قَسَمَيْنِ: نَقْتُلُ مِنْ نَشَاءٍ وَنُطْرَدُ
 فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعْطَنُ مِنْهُمْ ... سَبْعُونَ عَتَبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
 وَابْنُ الْمُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً ... فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزِيدُ
 وَأُمِّيَةُ الْجُمُحِيِّ قَوْمٌ مِثْلُهُ ... عَضِبَ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهْنَدُ
 فَأَتَاكَ فَلُ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ وَالْخَيْلُ تَتَفَنَّهُمْ نَعَامٌ شَرْدُ
 شَتَانٌ مِنْ هُوٍ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا ... أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجِنَانِ مُخْلَدُ
 وَقَالَ كَعْبٌ - أَيْضًا - يَبْكِي حَمْزَةً عَبْدَ الْمَطْلَبِ: مِنَ الْمُتَقَارِبِ:
 صَفِيَّةٌ قُومِي وَلَا تَعْجِزِي ... وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةٍ
 وَلَا تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي الْبُكَاءَ ... عَلَى أَسَدِ اللَّهِ فِي الْهَزَةِ
 فَقَدْ كَانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا ... وَلَيْثَ الْمَلَأَحِمِ فِي الْبِزَةِ
 يُرِيدُ بِذَلِكَ رِضًا أَحْمَدٍ ... وَرِضْوَانًا فِي الْعَرْشِ وَالْعِزَةِ^(١).

كتيبة بدر الموعود

ووقعت في شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة سنة ١٢٦ ميلادية ،
 ولها عدة أسماء وهي :

الأول : بدر الموعود .

الثاني : بدر الثانية .

الثالث : بدر الأخرى .

الرابع : بدر الصغرى .

ومنهم من يطلق اسم بدر الصغرى على بدر الأولى التي وقعت على
 رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة ، وقد تقدم أن سببها إغارة كرز من
 جابر على سرح أهل المدينة وأنعامهم التي كانت ترعى في أطراف المدينة ،
 وقد تقدم الكلام فيه تفصيلاً ، وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

خرج خلفهم ولم يدركهم ، ومع هذا تسمى غزوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وليس فيها قتال ، ولم يلتق الفريقان لتمر الأيام ويسلم كرز ويحسن اسلامه ، ويخرج أمراً لسرية .

ومن الذين سعت قريش لمنع اتصالهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضِمَاد الأزدى وهو من اليمن ، وكان يرقى مما يصيب الإنسان من الريح وحينما قدم مكة سمع بعض السفهاء يهجون النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون إنه مجنون ، وعلم ضِمَاد أن الذي يعنون هو من بني هاشم وأن موضوعه يشغل الناس ، فأراد أن يبين حذقه ومهارته في فنه ، والرقية : العوذة ، والمراد من الريح الجنون ومس الجن ، فقال ضِمَاد مع نفسه : لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي .

فجاء ضِمَاد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال له : يا محمد أني أرقى من هذه الريح والمس ، وأن الله يشفى على يدي من شاء ، فهل لك ؟

فلم يغضب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلم أن ضِمَاداً هذا قد سمع الإفتاء عليه من قريش ولا بد أن يعلم بماهية النبوة .

فالتقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه خطبة مع أن المقصود شخصا واحداً ولكن الذين يستمعون له كثيرون ، وقال (إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً عبده ورسوله) ^(١).

وانصرف ضِمَاد ولما أتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلامه قال له أعدهن علي ، فاعادهن ، فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات .

ثم قال (لقد بلغ قاموس البحر)^(١) والمراد من قاموس البحر وسطه ولجته وقيل قعره فاسلم ضماد وبايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه وعن قومه وهو الأمر الذي كانت تخشاه قريش من قدوم الوفود إلى مكة لأنهم ينظرون إلى المعجزة النبوية بذاتها من غير حسد .

وتمر الأيام ويخرج الإمام علي عليه السلام في سرية إلى اليمن فوجدوا عشرين بعيراً واستوفوها ثم بلغ الإمام علي عليه السلام (أنها لقوم ضماد فقال ردوها إليهم فردت إليهم)^(٢).

وقال ابن عربي (حكى أن أبا العلا بن زهر وكان من أعلم الناس بالطب ولا سيما بعلم الحشائش وأبا بكر بن الصائغ المعروف بابن باحة وكان دون ابن زهر في معرفة الحشائش ألا أنه كان أفضل منه في العلم الطبيعي وكان يتخيل في زعمه أنه أعلم من ابن زهر في علم الحشائش فركبا يوماً فمرا بحشيشة فقال ابن زهر لغلامه أقطع لنا من هذه الحشيشة وأشار إلى حشيشة معينة فأخذ شيئاً منها وفتلها في يده وقربها من أنفه كأنه يستنشقها .

ثم قال لأبي بكر أنظر ما أطيب ريح هذه الحشيشة فاستنشقها أبو بكر فرعف من حينه فما ترك شيئاً يمكن في علمه أن يقطع به الرعاف مما هو حاضر ألا وعمله وما نفع حتى كاد يهلك وأبو العلا يبتسم ويقول يا أبا بكر عجزت .

قال : نعم .

فقال أبو العلا لغلامه أستخرج لي أصول تلك الحشيشة فجاء بها فقال له يا أبا بكر أستنشقها فاستنشقها أبو بكر فإنقطع الدم عنه فعلم فضله عليه في علم الحشائش وأسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما أن أسعد الناس بالمهدي أهل الكوفة كما أنه أسعد الناس برسول الله صلى

(١) الطبقات الكبرى ٢٤١/٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢٤١/٤ .

الله عليه وآله وسلم أهل الحرم المكي كما أنه أسعد الناس بالحق أهل القرآن^(١).

ويبين هذا الخبر بصيغة المثل أن أهل الحرم المكي هم أكثر الناس انتفاعاً من نعمة بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن أكثر رؤساء قريش حاربوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسلاح وأشهار السيوف ، وهو من الإرهاب خاصة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعوهم بالتنزيل والموعظة .

وما دام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة لم يحمل سلاحاً وحتى حينما خرج إلى بدر لم يكن عنده سيف مما يدل على أنه لا يطلب القتال وعندما عاد إلى المدينة من معركة بدر خرج عدد من وجهاء الأنصار لإستقباله والتهنئة بالنصر ، واعتذروا بأنهم تخلفوا عنه لأنهم لم يعلموا بأن معركة ستقع .

وقال (أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم فيدخلون كهأ تحت حكمه خوفاً من سيفه ووسطوته ورغبته فيما لديه يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم)^(٢) ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطوف في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه متوشحاً بالسيف ، وهو يرتجز ويقول :

خَلَّوْا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ

فِي صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِهِ

يَا رَبَّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

إِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي قُبُولِهِ

الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

(١) الفتوحات ١١٤/٤ .

(٢) الفتوحات المكية ٣٥٨/٥ .

ضرباً يُزيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ

وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ^(١).

(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ وَهُوَ حَرَامٌ وَكَانَ الَّذِي زَوَّجَهُ إِيَّاهَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَتْ جَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى أُخْتِهَا أُمِّ الْفَضْلِ وَكَانَتْ أُمُّ الْفَضْلِ تَحْتَ الْعَبَّاسِ ، فَجَعَلَتْ أُمُّ الْفَضْلِ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ ، فَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ مِثَّةٍ دَرَاهِمٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا فَاتَاهُ حُوَيْطُبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنُ عَبْدِ وَدَّ بْنِ نَضْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَكَانَتْ قَرِيشٌ قَدْ وَكَلَتْهُ بِإِخْرَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ؟ فَقَالُوا لَهُ إِنَّهُ قَدْ انْقَضَى أَجْلُكَ ، فَأَخْرَجَ عَنَّا .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكَتُمُونِي فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ، وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَامًا فَحَضَرْتُمُوهُ قَالُوا : لَنَا حَاجَةٌ لَنَا فِي طَعَامِكَ فَأَخْرَجَ عَنَّا فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَخَلَفَ أَبَا رَافِعٍ مَوْلَاهُ عَلَى مَيْمُونَةَ ، حَتَّى أَتَاهُ بِهَا بِسَرَفٍ . فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُنَالِكَ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ (١) .^(٢)

(وَتَغَيَّبَ رَجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَرَاهِيَةً أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَقًّا وَغَيْظًا فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) زاد المعاد ٣/٣٢٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٧٢.

وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَحُوَيْطُبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ يَتَحَدَّثُ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَصَاحَ حُوَيْطُبُ نُنَاشِدُكَ اللَّهُ وَالْعَقْدُ لَمَّا خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِنَا فَقَدْ مَضَتْ الثَّلَاثُ .

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : كَذَبْتَ لَا أَمَّ لَكَ لَيْسَتْ بِأَرْضِكَ وَلَا أَرْضِ آبَائِكَ وَاللَّهِ لَا نَخْرُجُ ثُمَّ نَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حُوَيْطُبًا أَوْ سُهَيْلًا .

فَقَالَ إِنِّي قَدْ نَكَحْتُ مِنْكُمْ امْرَأَةً فَمَا يَضُرُّكُمْ أَنْ أَمْكُثَ حَتَّى أَدْخُلَ بِهَا وَنَضَعَ الطَّعَامَ فَنَاقِلُ وَتَأْكُلُونَ مَعَنَا فَقَالُوا : نُنَاشِدُكَ اللَّهُ وَالْعَقْدُ إِنَّا خَرَجْنَا عَنْهَا فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبَا رَافِعٍ فَأَذَّنَ بِالرَّحِيلِ وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بَطْنَ سَرْفٍ فَأَقَامَ بِهَا وَخَلَفَ أَبَا رَافِعٍ لِيَحْمِلَ مَيْمُونَةَ إِلَيْهِ حِينَ يُمَسِّي فَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَتْ مَيْمُونَةُ وَمِنْ مَعَهَا وَقَدْ لَقُوا أَدَى وَعَنَاءَ مِنْ سَفْهَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَصِيبَانِهِمْ فَبَنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَيْمُونَةَ بِسَرْفٍ .

ثُمَّ أَدْلَجَ وَسَارَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ قَبْرُ مَيْمُونَةَ بِسَرْفٍ حَيْثُ بَنَى بِهَا .

وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ : " إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ فَمِمَّا اسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ وَعَدُ مِنْ وَهْمِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ :

وَوَهْمُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَإِنْ كَانَتْ خَالَتُهُ مَا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بَعْدَ مَا حُلَّ ذِكْرُهُ الْبَخَارِيُّ .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِ عَنْ مَيْمُونَةَ تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ حَلَالَانِ بِسَرْفٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ أَبُو رَافِعٍ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ ^(١) .

قانون المقارنة بين قافلة أبي سفيان وخسارة قريش في معركة بدر

بعد أن أقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة لبضعة شهور وبنى المسجد النبوي وأقيمت صلاة الجماعة بامامته فيه ، وفي مساجد وأماكن أخرى من المدينة ، صار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج بأصحابه في كتائب حول المدينة ، وقد يتعد عنها أحياناً ليقيم الصلاة ويعث رسالة إلى الناس أن الإسلام دين الرحمة ، وأن الله عز وجل بعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقانون سيادة مبادئ التوحيد والأمن والأمان في البيت والسوق والمحلة وطرق وسائط السفر .

فمن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اقتران الأمن بلواء التوحيد ، ليكون من شكر الله عز وجل للمؤمنين في أنفسهم وللناس ببركة الإيمان وسيادته في الأرض ، فيجب على المملين تعاهد التوحيد بالإمتناع عن الإرهاب والتطرف والتكفير ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١) والإرهاب ليس من التقوى إنما هو ضدها وسبب لجلب الأذى لأهلها .

لقد شعر رجال قريش بالخزي والعار لهزيمتهم في معركة بدر ، ولم يعلموا أن أصل هذا الخزي هو الإقامة على الكفر والجحود ، وما هزيمتهم في معركة بدر إلا فرعاً لها .

ويكون من معاني قوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾^(٢) بلحاظ معركة بدر وجوه :

الأول : خزي الذين كفروا بالهزيمة الجلية بفرارهم من ساحة المعركة .

(١) سورة الحجرات ١٣ .

(٢) سورة التوبة ٢ .

الثاني : كثرة قتلى المشركين ، إذ وقع منهم في بضع ساعات من نهار في معركة بدر في (يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان) ^(١) ، من السنة الثانية للهجرة ، كما عن الإمام الباقر وابن عباس وعروة بن الزبير ^(٢) وعليه الإجماع.

الثالث : هزيمة قريش مع كثرة عددهم إذ كان عدد أفراد جيشهم ثلاثة أضعاف عدد المسلمين في الميدان .

الرابع : مجئ قريش إلى ساحة المعركة بالعدة والخيول والمؤن الكثيرة ، ففروا بأنفسهم ولم يتمكنوا من تفقد أصحابهم إلا في طريق الهزيمة إلى مكة.

ومن لم يعلموا بقتله في الميدان صاروا يتمنون وقوعه في الأسر لعلمهم بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رحيم بالناس حتى مع أعدائه .

الخامس : بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في ميدان المعركة بعد انقضائها ، ليقوموا بدفن الشهداء ، وبعد أن خاطب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتلى المشركين قبل دفنهم .

إذ ناداهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمرأى ومسمع من أصحابه :

(يا أبا جهل بن هشام .

ويا عتبة بن ربيعة .

ويا شيبة بن ربيعة -وسمى رءوسهم-: هل وجدتم ما وعد

ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً".

وقال عمر : يا رسول الله، تخاطب قوماً قد جَيفُوا ؟

(١) الكشف والبيان ١٨٣/٣.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوي ٤٦٥/٢.

فقال: "والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا" (١).

وفي رواية أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم (بئس عشيرة النبي كنتم لنبികم، كذبتُموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتُموني ونصرني الناس، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبികم) (٢).

ويحتمل هذا الخطاب جهات :

الأولى : إنه خزي لقتل بدر .

الثانية : فيه خزي للمشركين الذين حضروا المعركة وقاتلوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : فيه خزي لعموم المشركين والمشركات .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وأيهم أكثر خزياً من هؤلاء في المقام ، الجواب المذكور في الأولى أعلاه ، لما فيه من إنقطاع طريق التوبة عليهم .

لقد كان نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في معركة بدر خزي للذين كفروا ، إذا كانوا يهددون ويتوعدون قبلها ، وكانوا يرسلون الإنذارات وأسباب التخويف .

لقد على صوت الحق والإيمان في مكة بعد معركة بدر ، قال تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (٣) .

لقد زال حاجز الخوف عن مسلمي مكة ولو على نحو الموجبة الجزئية بهذا النصر ودخلت جماعات في الإسلام لأن هذا النصر

(١) تفسير ابن كثير ٤١٧/٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٤٤/٢ .

(٣) سورة الإسراء ٨١ .

معجزة للنبي . وعندما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح كان يقرأ الآية أعلاه وهو يأمر بالأصنام التي في الكعبة فتكب على وجهها ، وكان فيها ثلاثمائة وستون صنماً .

ليكون خبر نصر المسلمين في معركة بدر مقدمة لفتح مكة ومانعا للمسلمين والمشركون من الإرهاب ، أما المسلمون فانهم يشكرون الله على هذا النصر ، وتنصرف أذهانهم عن الغزو والقتل ، وأما المشركون فان الخوف يملأ صدورهم ، إذ أنه مصاحب للهزيمة والفرار .

وتحتمل هزيمة المشركين يوم بدر وجوهاً :

الأول : إنها معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : هي رحمة من الله عز وجل بالمسلمين والناس .

الثالث : إرادة سلامة النبي من القتل يوم بدر .

الرابع : بيان قانون وهو هزيمة الذين يسعون في الإرهاب ، وإخافة الأمنين ، وإرادة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الخامس : إنها مقدمة لنصر الإسلام ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ

نُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعْلَهُمْ أَنْتَهُمْ وَبَجَعْلَهُمُ

الْوَارِثِينَ﴾^(١) ، وإزاحة المشركين عن ولاية البيت الحرام ، وتنزيه

البيت الحرام من الأصنام وإلى يوم القيامة .

وأصبح المشركون على أقسام :

الأول : رجوع طائفة من جيش المشركين عندما وصول رسول من أبي

سفیان اليهم برسالة تتضمن نجاته قافلته وتوجهها بأمان إلى مكة .

الثاني : رجوع عدد من بني هاشم وغيرهم من الطريق ، ومنهم طالب بن أبي طالب ، وهو أخو الإمام علي عليه السلام .

الثالث : اعتزال طائفة من الجيش القتال يوم المعركة عندما أصر عليها أبو جهل وعدد من رجالات قريش .

الرابع : انخياز عدد من المسلمين ممن خرج مع جيش المشركين كرهاً ، والتحاقهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية المعركة ويومها ومنهم عبد الله بن سهيل بن عمرو^(١) ، فاذا قلت لماذا لم يهاجر عبد الله مثلما هاجرت أخته أم كلثوم وسهلة ابنتا سهيل بن عمرو ، الجواب كان عبد الله محبوساً من الهجرة .

الخامس : سقوط عدد من أشراف قريش بالمبارزة الفردية في بدايات المعركة كما في قتل كل من :

الأول : عتبة بن ربيعة .

الثاني : شيبة بن ربيعة .

الثالث : الوليد بن عتبة .

السادس : مجموع قتلى المشركين يوم بدر سبعون قتيلًا .

السابع : وقوع سبعين من المشركين أسرى بأيدي المسلمين ، وهل قام المسلمون بشد وثاقهم وربطهم بالحبال بعضهم ببعض ، الجواب لا ، وحتى في المدينة فقد عاشوا بين ظهرائي المسلمين (قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أقبل بالأسارى فرقههم بين أصحابه وقال: " استوصوا بهم خيرا " .

قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لاييه وأمه في

الأسارى، قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الانصار يأسرنى فقال: شد يدك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك.

(١) أنظر ابن هشام / السيرة النبوية ٦٨٤/١ .

قال أبو عزيز: فكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فاستحي فأردها فيردها على ما يمسه! قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لابي اليسر، وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخ! هذه وصاتك بي! فقال له مصعب: إنه أخي دونك. فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها.^(١)

ووقع سهيل بن عمرو في الأسر وهو خطيب قريش (أسره مالك بن الدخشم فقال في ذلك: المتقارب

أسرت سهيلاً فما أبتغي ... أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى ... سهيلاً فتاها إذا تصطلم
ضربت بذى الشفر حتى اثنى ... وأكرهت سيفي على ذي العلم
(٢).

نعم ربطت يدا سهيل بن عمرو إلى عنقه لأنه قام بالفرار في الطريق إلى المدينة ، ولما (قَدِمَ بِالْأَسَارَى حِينَ قَدِمَ بِهِمْ وَسُودَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ آلِ عَفْرَاءَ ، فِي مَنَاحَتِهِمْ عَلَى عَوْفٍ وَمَعُوذِ ابْنِي عَفْرَاءَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَ الْحِجَابُ .
تَقُولُ سُودَةُ وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَهُمْ إِذْ أَتَيْنَا ، فَقِيلَ هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى ، قَدْ أَتَى بِهِمْ قَالَتْ فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فِيهِ وَإِذَا أَبُو يَزِيدَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو فِي نَاحِيَةِ الْحَجَرَةِ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ قَالَتْ فَلَا وَاللَّهِ مَا مَلَكَتْ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ كَذَلِكَ أَنْ قُلْتُ :

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٧٥/٢.

(٢) الاستيعاب ٢٠٢/١.

أَيُّ أَبَا يَزِيدَ أَعْطَيْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَّا مَتَمَّ كِرَامًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْبَهَنِي إِلَّا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَيْتِ يَا سَوْدَةَ أَعْلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ تُحَرِّضِينَ ؟ .

قَالَتْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا مَلَكَتْ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ ^(١) أَنْ رَأَفَةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ بِالْأَسْرَى حَرْبَ عَلَى الْإِرْهَابِ وَمَنْعَ مِنَ السَّخَطِ وَشِدَّةِ الْغَضَبِ .

الثامن : كثرة جرحى المشركين ، ومنهم عمرو بن ود العامري الذي هو طاغية العرب ومن اشجع فرسان قريش ، وتوارث أجيال المسلمين نبأ مبارزته مع الإمام علي عليه السلام يوم الخندق والتي نزل في قتل علي له قوله تعالى ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ ^(٢) .

وكان عمرو بن ود العامري يوم قتل في الخندق قد بلغ تسعين سنة ، وعندما قتل انهزمت الخيل التي عبرت معه الخندق .

وبعث المشركون يومئذ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشترون جثته بعشرة آلاف (فقال: هو لكم لا نأكل ثمن الموتى) ^(٣) .

ولما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الروحاء لقيه أهل المدينة للتهنئة بالنصر (فلقيه وجوه الخزرج ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش: ما الذي تهنتوننا به ؟ .

فوالله ما قتلنا إلا عجائز صلعاً . فتبسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا ابن أخي، أولئك الملاء، لو رأيتهم لهبتهم، ولو أمروك لأطعتهم،

(١) الروض الأنف ٩٢/٢ .

(٢) سورة الأحزاب ٢٥ .

(٣) ابن كثير السيرة النبوية ٢٠٥/٢ .

ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبههم! .

فقال سلمة: أعوذ بالله من غضبه وغضبه رسوله، إنك يا رسول الله لم تزل عني معرضاً منذ كنا بالروحاء في بدأتنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ما قلت للأعرابي وقعت على ناقتك فهي حبل منك، ففحشت وقلت ما لا علم لك به! .

وأما ما قلت في القوم، فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تزهد بها. فاعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم معذرتة، فكان من عليه أصحابه. ^(١)

وفي قوله تعالى ﴿وَعَزَّ مِنْ ثَشَاءٍ وَتَذَلُّ مِنْ ثَشَاءٍ﴾ ^(٢) قيل (تعز من ثشاء : المهاجرين والأنصار.

وقيل : {تعز من ثشاء} : محمداً وأصحابه حين دخلوا مكة ، عشرة آلاف ظاهرين عليها.

وتذل من ثشاء : أبا جهل وأصحابه حين حزوا رؤوسهم وألقوا في القليب. ^(٣)

ولكن موضوع الآية أعم ، ولا ينحصر أو يقصد به خصوص قتلى المشركين يوم بدر ، وكذا بالنسبة لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل : هم أصحاب القليب. ^(٤)

(١) مغازي الواقدي ٤٢/١.

(٢) سورة آل عمران ٢٦.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٥١/٢.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ١٩٧/١٢.

لقد اجتازت قافلة أبي سفيان إلى مكة بسلام لم يعترض طريقها أحد قبل أن تنشب معركة بدر ، فلا ملازمة بين الأمرين ، ولكن أراد الله لكفار قريش الخزي العاجل ، والذل والهوان .
لقد كانت قريش تتصف بأمور :

الأول : العز .

الثاني : الجاه بين العرب والقبائل ، وعند الدول العظمى آنذاك ، وهل يمكن القول أن في كل زمان هناك دول عظمى متعددة ، الجواب لا ، قال تعالى ﴿وَبَلَّغْنَا الْآيَاتُ نَذَارًا لِّهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

الثالث : المال الوفير وكثرة القوافل التي تدل على التجارة الواسعة .
الرابع : الشأن الرفيع من جهات :

الأولى : قريش من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وكانوا يعلمون بصلة النسب بينهم وبين اليهود ، لأن كلاً من إسحاق أبي اليهود ، وإسماعيل أبي قريش نبي ، وفي التنزيل ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

فكما يخاطب يعقوب أبناءه بأن إسماعيل أبوه ، مع أنه عمه ، أي أنه أبوهم أيضاً ، فكذا بالنسبة لأبناء إسماعيل فإن إسحاق أبوهم ، وأبناء يعقوب اثنا عشر وهم :

الأول : روبين .

الثاني : شمعون .

الثالث : جاد .

(١) سورة آل عمران ١٤٠.

(٢) سورة البقرة ١٣٣.

الرابع : يهوذا .

الخامس : يساكر .

السادس : زبولون .

السابع : يوسف وهو النبي والذي نزلت سورة كاملة في قصة وذكر فيها أخوته ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ * قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾^(١) ولم يرد النهي عن القصص ﴿لَا تَقْصُصْ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه لبيان أن الأرجح هو قص القصص إلا ما فيه ضرر.

الثامن : بنيامين .

التاسع : منسى .

العاشر : دان .

الحادي عشر : أشير .

الثاني عشر : وثقتالي .

أما أولاد إسماعيل فهم اثني عشر رجلاً (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ قَالَ وَلَدَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا :

الأول : نابتا ، وكان أكبرهم .

الثاني : قيذر .

الثالث : أذبل .

الرابع : مبشّا .

الخامس : مسمعا .

السادس : مَاشِي.

السابع : دِمَا.

الثامن : أَذَر.

التاسع : طِيْمَا.

العاشر : يَطُورَ.

الحادي عشر : نَبْشَ.

الثاني عشر : قَيْدُما^(١).

قانون وعد الله في القرآن حصن من الإرهاب

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا ملكاً طلقاً له سبحانه لا يشركه في ملكه فيها أحد وجعلها دار الوعد والوعيد إذ يتوجه الخطاب من الله في التنزيل للناس بالثواب والجزاء الحسن على العمل الصالح ، والعقاب الأليم على الشرك والمعصية وسفك الدماء بغير حق .

ويمكن تسمية الحياة الدنيا باسماء :

الأول : دار الوعد بالثواب .

الثاني : دار الوعيد بالعذاب .

الثالث : دار الوعد والوعيد .

الرابع : دار البشارة والإنذار .

وجاءت آيات القرآن بالحث على الصبر ، وتحمل أذى المشركين ، ترى ما هي الصلة والنسبة بين الصبر والكف عن الإرهاب والإرهاب الموازي ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق .

لقد نزلت آيات القرآن المكية والمدنية بالوعد والوعيد وأمر الله عز وجل المسلمين والمسلمات بتلاوة القرآن في الصلاة خمس مرات في اليوم ، لتكون هذه التلاوة مناسبة لإستحضار الوعد والوعيد من الله عز وجل . وهذا الإستحضار باعث للنفرة في النفوس من الإرهاب ، وفيه زاجر عن سفك الدماء وعن القتل العشوائي ، ومنع من نصرة وإعانة الإرهاب . وتؤكد آيات الوعد والوعيد الثواب على الإستقامة والصلاح ، والإمتناع عن الإرهاب ، والعقاب الأليم لمن يسبب للناس الضرر والحزن ، وليس في الإرهاب إلا تلف النفوس والأموال العامة والخاصة . ومن خصائص القرآن أن الإنسان يتلقى الوعد والوعيد فيه ، أما الذي يسعى في سبل الإرهاب فانه يتولى بنفسه الوعيد للناس وينزل عليهم البلاء الشديد حسب فهمه للأموال والعقائد ، وعند التدبر يجد أن القرآن والسنة تحرمان الإرهاب وأن من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١) ، النهي عنه .

ومن طاعة الله عز وجل بالإمتناع عن الإرهاب الذي يأتي على نحو القضية الشخصية ، ويقوم بفعله شخص أو جماعة ، ولكن ضرره على الإسلام والمسلمين كبير ، فصحيح أن الفعل الإرهابي يصدر من أفراد ، ولكن ضرره عام ، ولا ينحصر بمكانه أو الفرد الزماني الذي وقع فيه خاصة مع التداخل بين دول وشعوب العالم ، وإطلاع أهل المشرق على ما يقع في المغرب ، وكذا العكس ، والإرتقاء في التفكير والتدبر ، وموضوعية وشأن وسائل الإعلام في المقام ليصلح الوعد والوعيد في القرآن لكل زمان ، ويبعثان مجتمعين ومتفرقين على الصلاح وقصد القرية في الأفعال العبادية وغيرها بما يجعل المكلف ينشغل بنفسه وإعدادها للقاء الله عز وجل في الآخرة ، وصناعة الرحيل .

(١) سورة آل عمران ١٣٢.

و(عن سهل بن سعد ، قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من أحببت فإنك مفارقة ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ثم قال : يا محمد شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس) ^(١).

ومن إعجاز القرآن أن آيات الوعد والوعيد بذات أوائل السور النازلة منه والتي تسمى السور المكية ، ليصاحب كل منهما المسلمين ، ولا يعلم منافع آيات الوعد والوعيد في الحرب على الإرهاب إلى الله عز وجل . وهو من وجوه :

الأول : الحد من الإرهاب .

الثاني : التناقص التدريجي للإرهاب .

الثالث : إنحسار الإرهاب دفعة أو تدريجياً .

وهو من أسرار نزول القرآن على نحو النجوم والتوالي . لقد كانت آيات الوعد سبباً لدخول الناس الإسلام ، وآيات الوعيد واقية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من القتل غيلة أو قبلاً وعياناً .

لقد انفقت قريش الأموال الطائلة لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر وأحد والخندق ، وقد كان بين ظهرائهم في مكة ثلاث عشرة سنة من سني الدعوة النبوية ، وكان يتلو عليهم القرآن وهم يهمون بقتله ويحفظه الله عز وجل ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ^(٢).

ثم اضطروا لتجهيز الجيوش العظيمة لقتاله دون جدوى ، وفيه معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحجة على الذين كفروا ودعوة لهم

(١) المستدرک علی الصحیحین ٤٩٦/١٨.

(٢) سورة يوسف ٦٤.

لدخول الإسلام ، لذا بادر كثير من رجالات قريش لدخول الإسلام على مراتب :

الأولى : قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة .

الثانية : بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووقوع معركة بدر ، وتجلي المعجزات فيها بنصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مع قلة عددهم وضعف أبدانهم ، والنقص في أسلحتهم ورواحلهم .

الثالثة : بعد معركة أحد ، وعجز قريش عن تحقيق أي غاية جاءوا للقتال من أجلها ، وحينما أخبر الله عز وجل عن تلك الواقعة وخاتمها بقوله ﴿فَيَنْتَقِلُوا خَائِبِينَ﴾^(١) فان هذه الخيبة سبب لدخول طائفة منهم

الإسلام ، سواء ممن حضر معركة أحد أو الذين لم يحضروها . وهل للآية أعلاه موضوعية في إمتناع كفار قريش عن العودة إلى المدينة بعد معركة أحد للإجهاز على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الجواب نعم ، ليكون من معاني نزول جبرئيل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر بالخروج خلف جيش المشركين البشارة بعجز المشركين عن الرجوع لأنهم في حال خيبة وخسران .

ليكون قوله تعالى ﴿فَيَنْتَقِلُوا خَائِبِينَ﴾^(٢) بشارة عدم رجوع المشركين إلى ساحة معركة أحد وإلى غزو المدينة لكبرى كلفة وهي أن الخيبة برزخ وحاجز دون العودة للقتال .

فلم تقل الآية أعلاه (جاءوا خائبين) إنما أخبرت عن حالهم في معركة أحد وكيف أنهم هزموا في بداية المعركة ، وسقط منهم اثنان وعشرون قتيلاً

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٧ .

، وهذا القتل انتقام وبطش من عند الله ، قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) .
فكما نسب الله عز وجل إلى نفسه نصر المسلمين في معركة بدر فانه تعالى نسب إلى نفسه قتل طائفة من المشركين بقوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٢) .

ترى لماذا لم تقل الآية ليقتل طائفة ، الجواب الآية من مصاديق رحمة الله عز وجل بالناس ، فلم يقل الله أنه قتل المشركين إنما ذكر ما هو أعم باصابة المشركين بالوهن والضعف بازاحة طرف وهدم ركن منهم .
فلو قالت الآية (ليقتل طائفة) لكان المقصود أولئك الذين قتلوا حصراً ، إنما أراد الله عز وجل المعنى الأعم والإخبار عن الذين بقوا من جيش المشركين بأن الله إبتلاهم بأن رمى جيشهم بالنقص والضعف والوهن .
وكما أن الله سبحانه قطع طرفاً منهم فأنهم إذا عادوا إلى المعركة مرة أخرى فانه سبحانه يقطع طرفاً آخر منهم ، وهو من أسباب نكوصهم وإمتناعهم عن العودة عندما ورد لهم التخويف بأن النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم جاء بجيش عظيم خلفهم .
ومن أسرار صيغة المضارع (ليقطع) قطع طرف من الذين كفروا واصابتهم بالضعف حتى في غير حال القتال ، فالآية إنذار متجدد للذين كفروا .

لقد نزلت الآيات بالثناء على شهداء بدر وأحد ، وقد يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض لماذا لم يذكر الله الذين جاهدوا وبقوا أحياء ، وهل الثناء لا يأتي للمسلم إلا بعد أن يقتل ، فجاءت هذه الآيات بالمدح

(١) سورة الأنفال ١٧.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

والثناء على الذين خرجوا إلى معركة حمراء الأسد ، لتكون حجة على المنافقين ، ودعوة لهم للتنزه عن النفاق ، ولهجرانهم إخفاء الكفر والريب ، وفي التنزيل ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١).

وقد تقدم أن موضع حمراء الأسد لم يكن مقصوداً بالذات والتعيين عند خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه خلف العدو ، إذ لا دليل على هذا التعيين^(٢).

وفيه ثناء اضافي على المهاجرين والأنصار لما يستقرأ من عزمهم السير حيث يأمرهم الله ورسوله لذا جاء ذكر استجابتهم في القرآن مطلقة بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

ليكون من وجوه تقدير الآية :

الأول : الذين استجابوا لله والرسول فخرجوا خلف الذين كفروا بجراحاتهم .

الثاني : الذين استجابوا لله والرسول حتى وصلوا حمراء الأسد .

الثالث : الذين استجابوا لله والرسول وهم مستعدون للسير خلف العدو .

الرابع : الذين استجابوا لله والرسول في دفع الإرهاب عن المدينة .

الخامس : الذين نالوا صفة الذين استجابوا لله والرسول من غير أن يقوموا بالغزو أو الهجوم أو القتال .

(١) سورة التوبة ١٢٥.

(٢) أنظر الجزء السادس والخمسين بعد المائة من هذا التفسير ص ١٩٦.

(٣) سورة آل عمران ١٧٢.

السادس : الذين استجابوا لله والرسول في منع الغزو والعنف والقتال.

السابع : الذين استجابوا لله والرسول هم المتقون .

الثامن : الذين استجابوا لله والرسول بالخروج إلى حمراء الأسد مع

تعاهد الصلاة وقد تغشتهم الجراحات ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١).

ومن خصائص الآية القرآنية أمور :

الأول : وضوح وتجلي الحكم .

الثاني : البيان وإنشاء التضاد في ذات الآية أو بالجمع بينها وبين غيرها.

الثالث : تضمن الآية الوعد والوعيد في المنطوق أو المفهوم .

الرابع : قد تأتي آية جامعة للوعد والوعيد بالنص والتصريح كما في

قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٢).

ومن الإعجاز في هذه الآية أنها أخبرت عن الوعد للمؤمنين بكلمة

واحدة وهي ﴿الْحُسْنَى﴾ بينما ذكرت أصناف الوعيد للذين كفروا من

وجوه :

الأول : استحالة الفداء للذين كفروا موضوعاً وحكماً ، فلو كان كل

ما في الأرض للذين كفروا ومثله معه وافتدوا به ، وهو أمر مستحيل ، فلا

يتقبل منهم كفدية أو بدل وكفارات عن المعاصي التي فعلوها ، قال تعالى

(١) سورة الشورى ٣٨.

(٢) سورة الرعد ١٨.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

بينما حث الله الناس على الصدقة ، وبه جاء كل الأنبياء ، وجعلها الله قرضاً وديناً عليه ، وعن ابن مسعود وأبي أمامة وزيد بن أسلم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا : نزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٢) ، فلما نزلت قال أبو الدحداح : فذاك أبي وأمي يا رسول الله ، إن الله يستقرض وهو غني عن القرض .

قال : نعم ، يريد أن يدخلكم الجنة .
قال : فإني إن أقرضت ربي قرضاً تضمن لي الجنة .

قال : نعم ، من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة .

قال : فزوجي أم الدحداح معي ، قال : نعم .

قال وصبيان الدحداح معي ، قال : نعم .

قال : ناولني يدك فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال : إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية ، والله لا أملك غيرهما وجعلتهما قرضاً لله عز وجل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إجعل إحداهما لله عز وجل والأخرى معيشة لك ولعيالك ، قال : فاشهدك يا رسول الله أنني جعلت غيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة ، قال : يجزيك الله إذا به بالجنة .

فانطلق أبو الدحداح حتى أتى أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول :

(١) سورة الحديد ١٥ .

(٢) سورة البقرة ١٤٥ .

هداك ربي سبيل الرشاد إلى سبيل الخير والسداد
 قرضني من الحائط لي بالواد فقد مضى قرضاً إلى التناد
 أقرضته الله على اعتماد بالطوع لا من ولا ارتداد
 إلّا رجاء الضعف في المعاد فارتحلي بالنفس والأولاد
 والبر لاشك فخير زاد قدمه المرؤ إلى المعاد
 قالت أم الدحداح : ربح بيعك ، بارك الله لك فيما اشتريت ،
 فأنشأ أبو الدحداح يقول :
 مثلك أجدى ما لديه ونصح إن لك الحظ إذا الحق وضح
 قد متّع الله عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح
 والعبد يسعى وله ما قد كدح طول (الليالي) وعليه ما اجترح
 ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في
 أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
 كم من عذق رداح ، ودار فياح في الجنة لأبي الدحداح^(١).
 وبينما ابتدأت الآية بذكر الذين استجابوا لله عز وجل والثناء عليهم
 فأنها أختتمت بسوء عاقبة الذين كفروا من جهات :
الأولى : الحساب الشديد للذين كفروا يوم القيامة .
الثانية : انقلاب الذين كفروا إلى النار ، وإقامتهم ولبثهم الدائم فيها .
الثالثة : سوء عاقبة الذين كفروا بأن تكون جهنم مسكنهم في الآخرة ،
 مع أن الله عز وجل ينشر تسعاً وتسعين من أصل مائة من رحمته يومئذ
 بينما يتراحم الناس في الدنيا من فرد واحد من رحمة الله .
 لقد ذكر الله الأنبياء في القرآن وأخبر عن صبرهم في الدعوة إلى الله
 وتنزههم عن الظلم والتعدي والإرهاب ،

قانون صبر النبي على أهل مكة معجزة وحجة في نبذ الإرهاب

لقد شهد أهل زمان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم له بالصبر وتحمل الأذى ، وأقروا بأن صبره بمدد غيبي ، فكلما أن آيات القرآن فوق كلام المخلوقين ، فإن صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوق صبر الناس .

وهل آيات القرآن التي تحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الصبر من هذا المدد ، الجواب نعم، ومنها ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾^(١) ولاقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشد الأذى من قريش قبل وبعد الهجرة وهو صابر ، وكانوا في مكة يكيدون المكائد لإغتياله ، ويحرضون السفهاء ضده ، ولم يمتنع عن تلاوة آيات القرآن ، وتبليغ الرسالة .

ومات أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم في حياته إلا فاطمة عليها السلام ، وهو صابر ، وقتل عمه حمزة في معركة أحد ، وكثير من أصحابه .

(عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: لما توفي إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر وعمر: أنت أحق من علم الله حقه.

فقال: " تدمع العين ويحزن القلب، ولا تقول ما يسخط الرب، لولا أنه وعد صادق، وموعود جامع، وأن الآخر منا يتبع الأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجدا أشد مما وجدنا، وإننا بك يا إبراهيم لمحزونون) (٢).

(١) سورة الإنسان ٢٤.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٦١٤/٤.

وقد صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الجوع ، ويمر عليه اليوم والليلة ولم يجد طعاماً يأكله مع أنه قد نال مرتبة النبوة وينزل عليه الوحي (عن أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف قال عبد الله : قال بعضهم : هو كثرة الأيدي) ^(١).

وهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكتفي بالصبر على أهل مكة ، أم كان يحرص على الإحسان إليهم ، الجواب هو الثاني ، فمن خصائص الأنبياء والشواهد على صدق نبوتهم الجمع بين الصبر على الأذى والإحسان للناس جميعاً ومنه الذين يؤذونهم .

وجاءت آيات من القرآن بالجمع بين الصبر والإحسان للغير ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ^(٢) وكل الصبر والإحسان مانع من الإرهاب ، ووسيلة للنجاة منه ، فكيف إذا اجتمعا عند المؤمن فانهما برزخ وسد منيع دون الإرهاب والظلم والتعدي ، ومن منافع الإحسان إلى الغير وجوه :

الأول : صدق الإمثال لأمر الله عند الإحسان للآخرين ، إذ جاء القرآن بالأمر بالإحسان ، قال تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٣).

(١) الشمائل المحمدية للترمذي ٣٢٠/١ .

(٢) سورة الرعد ٢٢ .

(٣) سورة البقرة ١٩٥ .

الثاني : لقد رغب الله عز وجل بالإحسان ، وأثنى على المحسنين وبه جاءت السنة النبوية ، ليكون الإحسان باباً للأجر والثواب .

الثالث : الإحسان طريق إلى النماء في المال وزيادة الرزق .

الرابع : الإحسان قهر للطمع والحرص وإمالة للحسد والحق .

الخامس : الإحسان إلى الغير عصمة من الإرهاب ، ومن يفكر كيف يحسن إلى غيره ويرضى ربه إلا يقدم على الإرهاب .

السادس : الإحسان إلى الغير أمر معروف وإشاعة للصلاح بين الناس .

وسيأتي في الأجزاء التالية وفي ذات منهجية هذا الجزء كل من قانون:

الأول : قانون أداء الصلاة وافية من الإرهاب .

الثاني : قانون موضوعية العبادات في الحصانة من الإرهاب .

الثالث : قانون التفكير بالآيات الكونية وبدائع السموات والأرض حرز من الإرهاب .

وقد تكرر في القرآن قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) وفيه

دعوة للناس للتدبر في أمور الدنيا والآخرة ، ومنه أن الإرهاب لا يحقق أي غاية إلا الفساد والضرر والخسارة لصاحبه ولغيره .

الرابع : قانون السنة النبوية شاهد على تنزه الإسلام عن الإرهاب .

الخامس : قانون النصوص النبوية التي تنهى عن الإرهاب .

السادس : محاربة الإرهاب بالسنة النبوية .

السابع : عدم رضا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ترويع الأمنين .

التفكر بالآيات الكونية حرز من الإرهاب

لقد أنعم الله عز وجل على الإنسان وجعله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) وتفضل وسخر له ما في الأرض ليكون زاداً ومتاعاً له في النشأتين من جهات :

الأولى : التقوى هي الزاد والمتاع للبقاء في الحياة الدنيا وحسن العاقبة.

الثانية : نشر معالم الإيمان وسنن التقوى في الأرض .

الثالثة : إتخاذ النعم وسيلة للتقرب إلى الله عز وجل ، وحصنا من الهم بالإرهاب .

الرابعة : الشكر لله عز وجل بالإمتناع عن المعاصي والفساد ، وإجتنب الإرهاب.

الخامسة : التجهز للآخرة ، وإتخاذ النعم وما يتفضل الله عز وجل من العطاء والمن المتصل متاعاً ليوم الحساب ، وفي التنزيل ﴿خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٢).

وهل التفكير بالآيات الكونية من التقوى ، وهل فيه أجر ، الجواب نعم ، وهو من فضل الله عز وجل على الناس إذ جعل الآيات الكونية تطل على الناس في كل يوم ، وتدرکها الحواس طوعاً وقهراً وانطباقاً ، وينفذ نفعها وبركتها وأثرها إلى كل بيت وتملي على الإنسان حضورها في الوجود الذهني ليتأمل الإنسان في عظمتها ودلالاتها على وجوب عبادة الله عز وجل خالق الأكوان كلها ، قال سبحانه ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

(٣) سورة آل عمران ١٩٠.

ومن خصائص الآيات الكونية أن التفكير بها يستولي على الأفتدة ،
ويبعث على العبرة والموعظة ، وجاءت العلوم والاكتشافات الحديثة لتظهر
للناس جميعاً أسراراً كونية تفوق حد التصور ، وكأنها من اللامتناهي في
البعد والحجم والكثرة .

وتمنع من الفساد والإرهاب ، وهذه الآيات مجتمعة ومتفرقة دعوة
للصلاح ، وكما أن الخلافة في الأرض جاءت في القرآن مطلقة وكذا بالنسبة
للآيات الكونية فانها تتوجه إلى الناس جميعاً ، وتخطب العقول بلغة علمية
وعملية للتنزه عن الإرهاب ، وإدراك قانون كراهيته وضرره .

وتفضل الله عز وجل وجعل العبادات والفرائض مقترنة بآيات كونية ،
ففي الصلاة قال تعالى ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ
إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (١) .

(عن الربيع بن أنس قال : إن النهار اثنتا عشرة ساعة ، فأول الساعة ما
بين طلوع الفجر إلى أن ترى شعاع الشمس ، ثم الساعة الثانية إذا رأيت
شعاع الشمس إلى أن يضيء الاشرار . عند ذلك لم يبق من قرونها شيء
، وصفا لونها ، فإذا كانت بقدر ما تريك عينك قيد رحمين فذلك أول
الضحى ، وذلك أول ساعة من ساعات الضحى ، ثم من بعد ذلك
الضحى ساعتين ، ثم الساعة السادسة حين نصف النهار فإذا زالت
الشمس عن نصف النهار فتلك ساعة صلاة الظهر ، وهي التي قال الله {
أقم الصلاة لدلوك الشمس} (٢) .

ثم من بعد ذلك العشي ساعتين ، ثم الساعة العاشرة ميقات صلاة
العصر وهي الأصال ، ثم من بعد ذلك ساعتين إلى الليل (٣) .

(١) سورة الإسراء ٧٨ .

(٢) سورة الإسراء ٧٨ .

(٣) الدر المنثور ٣٥٧/٧ .

وتفضل الله عز وجل وجعل فريضة الصيام تستوعب شهراً مخصوصاً وهو شهر رمضان ، كما ذكرت آيات الصيام العلامات الكونية الباهرة من جهات منها الإمساك عند طلوع الفجر مع تعريف للفجر على نحو الإعجاز البلاغي المانع من اللبس والترديد بقوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(١).

ولم يكن العرب يعرفون هذا الوصف البديع للفجر ، حتى جاء به القرآن بدليل ما ورد (عن عدي بن حاتم قال : لما أنزلت هذه الآية { وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود }^(٢) عمدت إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود .

فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بالذي صنعت فقال : إن وسادك إذا لعريض ، إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل)^(٣).

وعن (سهل بن سعد قال : لما نزلت { فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ } ، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى بعد { مِنَ الْفَجْرِ } ، فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار)^(٤).

(١) سورة البقرة ١٨٧.

(٢) سورة البقرة ١٨٧.

(٣) الدر المنثور ٢٩٩/١.

(٤) التكت والعيون ١٣٣/١.

لقد جعل قوله تعالى ﴿فَنَنْشُهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصْنُهُ﴾^(١) المسلمين والمسلمات يتصدون لرصد الهلال ويحرصون على الإستهلال في كل شهر لتعلق معاملات عديدة برؤية الهلال كقضاء الدين والعهود وعدة المرأة المطلقة والمتوفى عنها زوجها .

ويبدلون الوسع بالإستهلال بخصوص ظاهرة كونية متجددة فيما يتعلق بالعبادات وهي :

الأول : رصد هلال شهر رمضان لقوله تعالى ﴿فَنَنْشُهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصْنُهُ﴾^(٢) وصحيح أن لفظ ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْكُمْ﴾ يفيد التبعض إلا أنه يدل بالدلالة الإلزامية على توجه الخطاب الإستهلالي إلى جميع المسلمين . وهل يختص هذا الخطاب بالرجال من المسلمين دون النساء ، الجواب لا ، وتفيد الآية العموم وتقدير الآية أيضاً (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ويستلزم رصد هلال شهر رمضان متابعة رؤية الأهلة طيلة أيام السنة إذ أن هلال كل شهر لا يطل على الأرض إلا بعد مرور اثني عشر شهراً ، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣).

الثاني : رصد الأهلة لضبط الأشهر الحرم التي ليس فيها غزو أو قتال ، أو طلب ثأر بدلالة الآية أعلاه ، نعم كان العرب يتلاعبون في بعض أيام الأشهر بتأخير بعضها كما في شوال ليدركوا ثأرهم أو يستمر القتال حتى في الشهر الحرام ، وهو نوع إرهاب وباعث للحذر والقفظة والخوف عند

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة البقرة ١٨٥.

(٣) سورة التوبة ٣٦.

المسلمين، فجاء الإسلام ليضبط حساب الشهور ، ويقضي على هذا التلاعب ، ويمنع من الغزو والقتل والنهب والسلب .

لقد كانت جزيرة العرب تعيش حياة بائسة ويهددها ملوك الزمان من الشمال والشرق والجنوب إذ تحدها ممالك الروم ، ومملكة فارس ، ومن الجنوب اليمن وملك الحبشة ، والعرب مشغولون بالقتال فيما بينهم ، وطلب الثأر .

فجاء الإسلام فاستأصل الغزو وحرّم النهب والسلب ، ومنع من القتل ، فلم تصل النوبة إلى الثأر قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) .

ليكون من بركات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعث السكينة في قلوب الناس وفي المجتمعات بضبط الأهلة ، والمنع من التلاعب في حساب الشهور .

الثالث : رصد العرب للأهلة لضبط ومعرفة أشهر الحج ، قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢) .

وذكرت الآية أن أشهر الحج معلومات ، ولم يذكر هذه القرآن الصفة للأشهر الحرم ، لبيان أن العرب كانوا حريصين على أداء حج البيت ، بينما قد يتعدون على الأشهر الحرم .

ويتعقب العرب هلال شوال لمعرفة بدء أوان أشهر الحج ، فاز كانت الأشهر الحرم ثلاثة متصلة وواحد منفصل وهو شهر رجب ، فان أشهر

(١) سورة البقرة ١٧٩.

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

الحج الثلاثة متعاقبة ومن الآيات استعداد العرب فيها للتجارة في أسواق موسم الحج.

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : في قوله تعالى { الحج أشهر معلومات }^(١) شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة)^(٢).

نعم وصف : أشهر الحج بأنهن معلومات شاهد على علم العرب والمسلمين بأشهر السنة الأخرى لأنها من الكلي المخصوص في المعين ، والأفراد الجلية في ضبط أيامها ، ليكون العلم بأشهر السنة ورصد الأهلة وأداء الواجبات العبادية الخاصة بكل شهر مناسبة للصالح وإظهار معاني التقوى والإمتناع عن الكراهية والتنزه عن الإرهاب .

وقد ذكر الله عز وجل الحج على نحو التعيين في آية الأهلة ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾^(٣).

ونزل القرآن بتحريم النسئ ، وهذا التأخير مذموم ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) وفيه أمور :
الأول : حرمة تأخير الشهور عن أوانها ، أو احتساب الشهر لأكثر من ثلاثين يوماً .

الثاني : لزوم إتيان الواجب وفق آيات الله عز وجل ، وإقتباس الدروس والمواعظ منها ، ومن الإستعانة بها في الأداء السليم للعبادات ، والفرائض والمستحبات ، وفيه إنشغال عن المعصية وعن الفساد ، وآية الشمس أكبر من آية القمر ، وتطل على الناس كل يوم وتتعلق بها أسباب

(١) سورة البقرة ١٩٧ .

(٢) الدر المنثور ١/٤٢٧ .

(٣) سورة البقرة ١٨٩ .

(٤) سورة التوبة ٣٧ .

الزراعة والرزق الكريم والعمل في النهار ، ليكون من الشكر لله عز وجل
الإنّفاع من نعمة الشمس في رضوان الله ، ويدل عليه قوله تعالى
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانَا تَقْصِيكُ﴾^(١) وفي تعدد
الآيات الكونية في تعاقب النهار والليل صرف عن الإرهاب ومقدماته
والتعاون القبيح فيها وفيه .

ومن الإعجاز أن آيات القرآن لم تحدد هذا التعاقب باليوم وليته
وتوالي ليلتين ليتبين بعد نزول القرآن بقرون أن هناك مناطق تبقى فيها
الشمس طالعة لسته أشهر مدة الصيف في القطب الشمالي ولا يرد هناك
دليل على علم العرب بهذه الظاهرة الكونية .

مع شدة البرودة في القطبين ، إذ تصل إلى (٣٨) درجة مئوية تحت
الصفر في القطب الشمالي ، وإلى (٥٠) درجة تحت الصفر في القطب
الجنوبي .

الثالث : النهي عن النسئ واقية من الظلم والتعدي وسفك الدماء ،
وإطفاء للرغبة في النهب والسلب .

الرابع : لقد صار النسئ أمراً مألوفاً عند العرب ، يتلاعبون في مدة
الشهر ويجعلونها أكثر من ثلاثين يوماً من أجل إدامة الحروب والقتال ولا
يعلم ما يترتب عليه في توالي السنين إلا الله سبحانه فصار نزول النهي عن
النسئ من السماء حاجة للناس ، ففضل الله عز وجل برسالة النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن لينقطع بآية واحدة منه النسئ الذي هو
سبب لإستدامة الفتن .

وكل مرة يطل فيها هلال على الأرض هو آية كونية ومن مصاديق الآية
أعلاه من سورة آل عمران من جهات :

الأولى : دقة وضبط أوان إطلالة الهلال فأما أن يكون الشهر القمري تسعة وعشرين أو ثلاثين يوماً وهو أمر وحكمة وضبط لا يقدر عليه إلا الله عز وجل وقد اثنى الله عز وجل على نفسه وبين عظيم قدرته بقوله ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(١)، وفيه ترغيب بالإيمان ، وتفويض الأمور إلى الله ، والإمتناع عن التعدي والظلم لأن المشيئة لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢).

الثانية : فضل الله في تسخير الهلال للناس في عبادتهم ومعاملاتهم كما في قوله تعالى ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٣) وفيه تأديب للناس يجعل موضوعية للنظام في حياتهم اليومية الخاصة والعامة ، لتكون دورة الهلال ميزانا في الشريعة الإسلامية ، ومانعاً من الخلاف والخصومة والشقاق ولييان آية وهي تعليم الناس التقيد بالسنن العبادية ، والإمتناع عن التحريف والتعدي.

وجاءت الدراسات الطبية الحديثة لتبين حاجة جسم الإنسان لأشعة الشمس وما توفره من فيتامين (D) أو قل تحفيزه للبدن على انتاجه وضرورته للبدن مع حمايته من أمراض السرطان .

وإذا بلغ عمر الطفل ستة أشهر فالأولى تعريضه للشمس لنحو ربع ساعة في اليوم وأفضل الأوقات الصباح الباكر لمنع إصابته بليين العظام ، أو تقوس القدمين ، وللوقاية من أمراض الجهاز التنفسي ، وتأخر المشي أو اضطراب النمو .

(١) سورة يس ٣٩.

(٢) سورة الانسان ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٢٣٣.

ليبان قانون وهو أن التفكير في الآيات الكونية نافع للذات والغير ،
فصحيح أن الله عز وجل جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) إلا أنه
سبحانه جعل الإنسان كائناً محتاجاً لملازمة الحاجة للناس مجتمعين ومتفرقين
إلى الآيات الكونية.

ولم تنحصر الآيات الكونية الخاصة بالشمس بخصوص ذاتها واشراقها
وغروبها إنما تشمل آية الظل الذي تتركه ، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾^(٢).

وهل تستديم حياة الناس على الأرض من غير الحاجة للآيات الكونية
، كما لو اعتمدوا على الصناعة البديلة ، وتوفير الغذاء الصناعي ، الجواب
لا ، فحتى هذا الغذاء لابد من الإستعانة لتوفيره بالآيات الكونية والثروات
المعدنية ، وكنوز الأرض ، وما ينزل من السماء .

ليبان قانون وهو أن التفكير بآيات الله لا ينحصر بذات الآيات كالسماء
والأرض والكواكب والنجوم والزراعات والأشجار ، إنما يشمل التداخل
بينها وحاجة بعضها إلى بعض ، قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ نَفْضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣) ، فلا يقف الأمر عند تسخير الموجودات للناس بفضل الله ،
إنما يلزم الناس تعاهدها والمحافظة عليها والشكر على هذه النعم ، وما
يحدثه الإنسان من الإمعان في استخراج النفط بملايين البراميل كل يوم ،
والمعادن الأخرى ، وما تتعرض له طبقة الأوزون من التصدع ، وهي جزء
من الغلاف الجوي للأرض يجب تدارك أضراره في البيئة ، وجوف

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الفرقان ٤٥.

(٣) سورة يونس ٢٤.

الأرض، ولا يعلم ما تحدثه كثرة الأقمار الصناعية في الفضاء ونحوها مستقبلاً إلا الله سبحانه .

وهل هذه الأضرار الجانبية للثورة الصناعية والتقنية من الآيات الكونية التي تدل عليها آيات القرآن ، الجواب نعم ، ليكون من الوظائف الإنسانية تعاون البشر جميعاً حكومات ومؤسسات وأفراداً على المنع من الأضرار العامة في هذا الباب ، وهذا التعاون برزخ دون الإرهاب والإرهاب الموازي.

وسميت سورة من سورة القرآن باسم سورة الشمس ، وقد ذكرت في الجزء السابق وهو السابع والثمانون بعد المائة أنها ومع قلة كلماتها أكثر السور التي ورد فيها قسم الله بمخلوقاته ، والمختار أن المراد من هذه الواو أعم من القسم .

كما ذكر الله عز وجل بعض أوقات النهار ، مثل الضحى وسميت سورة باسمه قال تعالى ﴿ وَالضُّحَى ﴾ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿ ١ ﴾ في دعوة للناس للتدبر في الآيات الكونية ، واتخاذها وسيلة للزهد في الدنيا والسعي إلى الآخرة ، ومن يزهّد فيها يعصم نفسه من الإرهاب ومقدماته .

كما ذكرت بعض آيات القرآن ساعات مخصوصة من النهار والليل ، ضمن بيان أحكام شرعية ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا

عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ .

طلباً للسكينة والألفة مع العيال ، وفيه نوع ترغيب بابتعاد المجتمعات
عن الإرهاب ، ففي التفكير بآيات الله دعوة لبعث السكينة في نفوس الناس
، وجعلهم في طمأنينة فلا يخشى الناس من السلم ، ولا يخاف المسلمون من
غيرهم ، فالجامع المشترك هو الإنتفاع من كل ساعة من الآيات الكونية
والتدبر فيها ، بما يمنع من الإفتتان بذات الشمس أو القمر أو الآيات
الكونية الأخرى ، وفي التنزيل ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ (١) .

ليأتي الإسلام ويجعل الناس يسخرون الهلال لأحكام الشريعة وفيه
انشغال عن الإرهاب ، وبعث للنفرة منه ، إذ يطل الهلال على الأرض
اثنتي عشرة مرة في السنة يحتاج المسلمون رصده ومتابعته ، ويرصدون كلاً
من :

الأول : هلال شهر رمضان لبدء فريضة الصيام ، قال تعالى ﴿ فَتَنَّا
شَهَادَتَكُمْ الشَّهْرَ فليُصْنَهُ ﴾ (٢) .

الثاني : هلال شهر شوال وفيه مسألتان :

الأولى : معرفة أوان الإفطار لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته .
الثانية : تعيين بداية أشهر الحج .

(١) سورة النور ٥٨ .

(٢) سورة الأنعام ٧٧ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

الثالث : هلال شهر ذي القعدة لمعرفة إبتداء الشهر الثاني من أشهر الحج ، وقرب أوان أداء المناسك ، وتعيين تأريخ افتتاح أسواق الموسم .

الرابع : هلال شهر ذي الحجة ، لمعرفة أوان يوم التروية وهو الثامن من شهر ذي الحجة ، ويوم عرفة وهو التاسع منه .

ويوم الحج الأكبر وهو العاشر منه ، فمن الإعجاز بخصوص شهر ذي الحجة حاجة المسلمين الى معرفة أوان أداء عدد من المناسك ضمن الشهر وقال بعض الفقهاء أن أشهر الحج هي شهر شوال وذي القعدة وعشرة أيام من شهر ذي الحجة ، والمختار مجموع الأشهر الثلاثة .

الخامس : تعيين أوان إطلالة شهر محرم ففيه تبدأ الأشهر الحرم ، وهو رأس السنة القمرية .

السادس : تحديد هلال شهر رجب ، وهو الشهر السابع من أشهر السنة ، وهو من الأشهر الحرم ، وكانت العرب تعظمه ، ويسمى رجب مضر ، لأنهم كانوا لا يغيرونه بل يقولونه على حاله وإن كان أوان حرب وقتال وذكر أن فيه وقعت معجزة الإسراء والمعراج ، قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) .

ولمعرفة أوان هذه الشهور لابد من ضبط أهلة أشهر السنة الأخرى ، وهذا الضبط رحمة من عند الله ، ودعوة للعزوف عن التعدي وعن الإرهاب ، إذ يقوم الإسلام على ضبط الحساب والتأريخ بما ينفع الناس وينشر الأمن ويشيع السلام ومفاهيم الود والإحسان بين الناس ، ومن إعجاز القرآن ترغييه بالإحسان لعامة الناس من غير حصر أو تعيين .

قانون وصايا لقمان لابنه

الوصية لغة هي الوصل والوعد ، وهي في الإصطلاح الأمر بالخير والنتزه عن الشر .

كما تأتي الوصية بالمعنى الأخص في وصية الميت ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ (١) .

وتنقسم الوصية بلحاظ ذاتها وماهيتها إلى أقسام :

الأولى : الوصية الواجبة كالوصية بقضاء العبادات والدين ، وأداء الأمانات التي عند الإنسان سواء كانت وصيته وهو في تمام صحته او في ساعة الإحتضار .

الثاني : الوصية المستحبة ، كما لو أوصى المحتضر بالثلث أو جزء منه في نشر العلوم الربانية وإعانة الفقراء والمحتاجين .

الثالثة : الوصية المباحة .

الرابعة : الوصية المكروهة: وهي التي تتضمن الأذى أو فيه الكدورة وأسباب الحسرة .

الخامسة : الوصية المحرمة : وهي الوصية بالمعصية والضرر والغبن وبخس الحقوق .

وهل وصايا لقمان من الوصية الواجبة أم المستحبة أم المباحة ، الجواب قد تعددت وصايا لقمان لابنه فمنها ما كان موضوعه واجباً ومنها ما هو مستحب ، كما أنها أعم من الوصية إذ تشمل الموعدة كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) ،

(١) سورة المائدة ١٠٦ .

(٢) سورة لقمان ١٣ .

ويجمع قوله تعالى ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١) بين الواجب والمستحب ، نعم نعم الصلاة واجبة على لقمان وابنه ، ولكن موضوعنا هو وصية الأب لابنه باداء الصلاة الواجبة ، وتتضمن الآية أعلاه ثناء الله عز وجل لقمان بحسن وصيته وبره بابنه وتأديبه له .

وقد أثنى الله على إسماعيل وهو نبي رسول بقوله تعالى ﴿وَكَانَ يُأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾^(٢).

وأيهما أكبر وأعظم وصية إسماعيل لأهله بالصلاة أم وصية لقمان لابنه بالصلاة ، الجواب هو الأول ، فالأمر أعظم وأحسن ، وهل يمكن الاستدلال بهذا التباين على أن إسماعيل كان نبياً ، ومن خصائص الأنبياء أمر أهليهم بالصلاة .

أما لقمان فكان عبداً صالحاً لذا ذكره الله بأنه أوصى ابنه بالصلاة ، وليس أمره بها ، الجواب هذا التباين من إعجاز القرآن ، ونبينه هنا لأول مرة في التأريخ والحمد لله .

لقد ورد ذكر لقمان في القرآن وبصيغة المدح والثناء قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

ليبيان مسألة وهي لزوم تعليم المسلمين والناس جميعاً أبناءهم سنن التوحيد ، وبعث النفرة في نفوسهم من الشرك وأنه ظلم للذات والغير ، ويدل عليه قيام المشركين بمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه دعا الناس إلى التوحيد .

(١) سورة لقمان ١٣.

(٢) سورة مريم ٥٥.

(٣) سورة لقمان ١٣.

والمشهور أن لقمان ليس نبياً ، وهو المختار ، إنما كان رجلاً حكيماً ، لبيان أن القرآن يكرم الصالحين ، ويذكرهم وصبرهم وجهادهم بالحكمة والموعظة وكأنهم بمرتبة الانبياء في الذكر ، خاصة وقد أكرم الله عز وجل لقمان إذ جعل سورة من القرآن باسمه وجاءت فيها وصاياه لابنه فالذي ورد اسم السورة باسمه هو نفسه لقمان الذي وصى ابنه كما في القرآن .

(وهو لقمان بن عنقاء بن مريد بن صاوون، وكان نوبيا مولى للقيّن بن جسر، ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام، وكان عبداً صالحاً فَمَنَّ الله عز وجل عليه بالحكمة، ولم يزل باقياً في الأرض مُظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أبام يونس بن متى حين أرسل إلى أرض نينوى من بلاد الموصل.)^(١)

ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكم، وغمر عدله رعيته، واستقامت له الأمور، وانقادت له الجيوش، وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس، وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله عز وجل حوله، فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتاً، وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القيامة، وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصراني، ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس، منها كنيسة صهيون، وقد ذكرها داود عليه السلام، والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون أن فيها قبر داود عليه السلام، وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يُعْطَ لأحد من خَلْقِه، وسَخَّرَ له الجن والإنس والطير والريح على. حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه.

وكان ملك سليمان بن داود على بني إسرائيل أربعين سنة، وقُبِضَ وهو ابن اثنتين وخمسين سنة، والله ولي التوفيق.)^(٢)

(١) مروج الذهب ١/١٨.

(٢) مروج الذهب ١/١٨.

وكان لقمان عبداً اسود غليظ الشفتين ، مشقق القدمين ، (عن عبد الله بن الزبير قال : قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم من شأن لقمان عليه السلام؟ قال : كان قصيراً ، أفطس من النوبة .

وأخرج الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم . والنجاشي . وبلال المؤذن ، قال الطبراني : أراد الحبشة .^(١)

وكان لقمان نجاراً ، (فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة. فذبحها، فقال: أخرج أطيب مضغتين فيها. فأخرج اللسان والقلب، فمكث ما شاء الله ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة. فذبحها، فقال: أخرج أخبث مضغتين فيها. فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما. فقال لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا)^(٢)

وأتاه رجل فقال له : ألسنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ، فلم ينكر لقمان الأمر ، ولم يتخرج منه ، وهو في مقام الوعظ والناس تنصت له ، إنما أجابه بكلمة : نعم . فقال الرجل فما بلغ بك ما أرى .^(٣)

فقال : صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني .
وفي هذا الكلام زاجر عن الإرهاب وعن الدعوة إليه .
وليبيان أن صدق الحديث كاف للإصلاح والإصلاح .

(١) الدر المنثور ٨/٨٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦/٣٣٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٣٣٣ .

وأن الإرهاب لا يؤدي إلا إلى الشقاق وحال الفزع العام ، ولا يرضى الملوك والناس أن يكونوا في حال فزع دائم .

أو يخشى الذي يخرج إلى السوق والعمل على نفسه وعياله .
ومن نتائج تكرار الإرهاب أن الذين يجتمعون في المسجد ومحل العبادة لذكر الله عز وجل والصلاة يخافون من خطر تفجير أو قتل يداهمهم ، وقد ينظر بعضهم بوجوه الآخرين من حوله خشية الإرهاب والقتل بغير حق .
وفي ذكر وتوثيق القرآن لوصايا لقمان لابنه مسائل :

الأولى : دعوة المسلمين لتأديب ووعظ أبنائهم .

الثانية : بيان قانون وهو لزوم عناية الأب بصلاح ابنائه .

الثالثة : من أظهر ومصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر

الأب لابنه بالتوحيد والصلاح ونهيه عن الشرك والفساد .

وفيه دعوة للأباء لتوجيه الأبناء بترك العنف ، وبيان القبح الذاتي للإرهاب .

الرابعة : دلالة وصايا لقمان لابنه على صبر وجهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في وعظ أمته ، وفي جهاده بنفسه وأهل بيته لمنع الشرك والضلالة .

ولم يكتف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بوصية الناس بأن الشرك ظلم ، ولم تختص دعوته للتوحيد لخصوص أسرته .

ونزل القرآن بقوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) وحارب النبي

صلى الله عليه وآله وسلم المشركين ومظاهر الشرك وسعى إلى كسر الأصنام حتى تفضل الله عز وجل بالفتح وإزيع يوم فتح مكة ثلاثمائة وستون صنماً كانت في البيت ، ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله

عليه وآله وسلم ، كسر أصنام منصوبة في البيت الحرام لعشرات السنوات في يوم واحد .

(و) عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنماً ، فشد لهم إبليس أقدامها بالرصاص ، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه قضيب فجعل يهوي به إلى كل صنم منها فيخر لوجهه فيقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ^(١) ، حتى مر عليها كلها ^(٢) .

لقد أخبر لقمان بأن الشرك ظلم عظيم وشهد الله عز وجل له على هذا القول من وجوه :

الأول : ظلم الإنسان لنفسه باختياره الشرك .

الثاني : ظلم الإنسان لغيره بامتناعه عن التوحيد .

وجعله شرك حاضراً في حياته ، وقد يضر غيره من عياله وغيرهم ، ، فيحمل ائقالهم ، قال تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ^(٣) .

الثالث : شرك الإنسان في الدنيا ظلم لنفسه في الآخرة لأنه طريق للإقامة في النار ، قال تعالى ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ ^(٤) .

(١) سورة الاسراء ٨١.

(٢) الدر المنثور ٦/٣١٢.

(٣) سورة النحل ٢٥.

(٤) سورة المائدة ٧٢.

الرابع : حرمان المشرك نفسه من الشفاعة لغيره ، وحجب شفاعة الغير عنه ، ولا يختص الحرمان من الشفاعة بالمشركون ، قال تعالى ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَئِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(١) .

وبين الظالم والمشرک عموم وخصوص مطلق ، وفيه إنذار للمشرکين فاذا كان الظالمون مطلقاً تحجب عنهم الشفاعة فلا بد أن المشرکين بأشق الأحوال يوم القيامة ، إذ يشمل الظلم التعدي وظلم الغير والإسراف ، والعنف والإضرار بالناس بغير حق .

ويدل النهي عن الشرك في مفهومه على لزوم الدعوة إلى عبادة الله وحده ، ومن الإعجاز في نبوة محمد أداء كل مسلمة ومسلمة الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة ، وفي أوقات متفرقة ومحددة بآيات كونية ظاهرة وجلية للناس جميعاً في مشارق ومغارب الأرض كطلوع الفجر وزوال الشمس من كبد السماء ، ليكون من معاني ورشحات الصلاة أمور :

الأول : العصمة من الشرك بالله .

الثاني : التنزه عن مفاهيم الضلالة خمس مرات في اليوم .

الثالث : تأديب النفس على الإقامة على التوحيد على نحو يومي

متجدد .

الرابع : تلاوة آيات القرآن في كل ركعة من الصلاة .

وتحتمل التلاوة بلحاظ الدعوة إلى التوحيد وجوهاً :

الأول : كل آية من القرآن تدعو إلى التوحيد .

الثاني : شطر من آيات القرآن يدعو إلى التوحيد .

الثالث : الجمع بين آيات القرآن دعوة للتوحيد .

والصحيح هو الأول والثالث ، وهو من الإعجاز في فرض الصلاة

خمس مرات في اليوم للعصمة من الشرك ، وقد يسأل بعضهم عن الحكمة

في ثبوت قراءة سورة الفاتحة على نحو التعيين في كل فريضة مع الإختيار في قراءة غيرها معها من آيات وسور القرآن ، الجواب أن كل آية من آيات سورة الفاتحة دعوة للتوحيد ووسيلة سماوية للثبات عليه ، إذ تبدأ بالبسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١) وفيه عصمة للإنسان من الشرك .

ثم يأتي قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) الذي هو جامع للتوحيد للتوحيد ، والعصمة من الشرك لبيان التباين بين الخالق والمخلوقين ، والرب والمربوبين .

وهكذا كل آية منها لواء سماوي للتوحيد ، وذات تلاوة القرآن في حال الخشوع والخضوع لله في الصلاة دعوة للتوحيد .
وهناك مسائل :

الأولى : هل يشفع الوالدان في مواطن القيامة لولدهما البار بهما .
الثانية : هل يشمل حكم البر بالوالدين الذكر والأنثى من الأبناء ، وهل يشمل الأحفاد .

الثالثة : هل تشمل شفاعة الوالدين الولد العاق بهما .
وماذا لو كان الولد باراً بأحد أبويه وعاقاً للآخر .
أما المسألة الأولى ، فالجواب نعم ، إذ ينال الوالدان من أهل الإيمان مرتبة الشفاعة للأولاد بفضل من الله عز وجل وكذا يشفع الابن لوالديه ، وهو من مصاديق الرحمة العظمى التي ينشرها الله عز وجل يوم القيامة ، إذ يكرم الله عز وجل الابن البار بالجزاء له في الآخرة بأن يأذن لأبويه بالشفاعة له .

(١) سورة الفاتحة ١.

(٢) سورة الفاتحة ٢.

قال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ^(١) ، (عن كعب قال أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام في التوراة يا موسى لولا من يحمدي ما أنزلت من السماء قطرة ولا أنبتت من الأرض حبة يا موسى لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا .

يا موسى لولا من يدعوني لتباعدت من خلقي يا موسى لولا من يعبدني ما أمهلت من يعصيني طرفة عين .

يا موسى إياك والكبر فانه لو لقيني جميع خلقي بمثقال حبة من خردل من كبر أدخلتهم ناري ولو كنت أنت ولو كان إبراهيم خليلي يا موسى إذا لقيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء فإن لم تفعل فاجعل كل شئ علمتك تحت التراب .

يا موسى أتحب أن لا أنساك على كل حال قال نعم قال فأحب الفقراء ومجالستهم وانذر المذنبين يا موسى أتريد أن أكون لك حبيبا أيام حياتك وفي القبر لك مؤنسا قال نعم قال فأكثر تلاوة كتابي يا موسى أتحب أن لا أخذلك في تارات القيامة قال نعم فأصبح وأمسي ولسانك رطب من ذكري يا موسى أتحب أن أبيعك جنتي وقال أتحب أن تحبك جنتي وملائكتي وما ذرات من الجن والإنس قال نعم قال حبيبي إلى خلقي قال يا رب كيف أحبيك إلى عبادك قال تذكرهم آلائي ونعمائي فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة .

بحق أقول لك يا موسى انه من لقيني وهو يعرف أن النعمة مني والشكر مني استحيت أن أعذبه يا موسى إن جهنم وما فيها تلظى وتلهب على المشرك وكل عاق لوالديه .

قال موسى إلهي من كل ما العقوق قال العقوق الموجب غضبي أن يشكوه والداه في الناس فلا يبالي ويأكل شهوته ويحرم والديه يا موسى كلمة من العقوق تزن جميع الجبال قال إلهي من كل ما هي قال أن تقول لوالديك لا لييك يا موسى .

إن كنفي ورحمتي وعفوي على من إذا فرح الوالدان فرح وإذا حزن الوالدان حزن معهما وإذا بكى الوالدان بكى معهما يا موسى من رضي عنه والداه رضيت عنه وإذا إستغفر له والداه غفرت له على ما كان فيه ولا أبالي يا موسى أتريد الأمان من العطش يوم القيامة قال نعم يا رب قال كن مستغفرا للمؤمنين والمؤمنات .

يا موسى أقل العثرة واعف عن من ظلمك في مالك وعرضك وأجب من دعاك أكن لك كذلك (١) .

وأما المسألة الثانية فإن وجوب الإحسان للوالدين مطلق يشمل الأبناء ذكوراً وأنثاء ، وورد التذكير في قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ (٢) لغلبة المذكر وإرادة العموم منه لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، وفي التنزيل ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَن تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٣) ويدل الأمر الإلهي للمسلمين والناس جميعاً ببر الوالدين على حب الله للناس ، وإرادة تثبيت ونشر معاني الإحسان بين الناس ، وتنمية ملكة الإحسان للآخرين بينهم .
وأما المسألة الثالثة ، فيشمل شفاعة الوالدين الولد العاق بهما أو باحدهما بفضل من عند الله ، نعم قد تتأخر هذه الشفاعة عن شفاعتهما

(١) حلية الأولياء ٢٢/٦ .

(٢) سورة الإسراء ٢٣ .

(٣) سورة الأنعام ١٥١ .

للبار بهما لبيان أن الدنيا مضمار سباق في الصالحات ، قال تعالى ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١).

وعن عمر مولى غفرة قال: وقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان، أنت عبد بني الحسحاس؟ قال: نعم. قال: أنت راعي الغنم؟ قال: نعم. قال: أنت الأسود.

قال: أما سواي فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري ، قال : وطء الناس بساطك، وغشيتهم بابك، ورضاهم بقولك. قال: يا ابن أخي إن صغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك .

قال لقمان: غضي بصري، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، وقولي بصدق، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني إلى ما ترى^(٢).
لقد كان لقمان حكيماً في قوله وعمله وعفته وكيفية نصحه ، وصبره وحفظه ، وإقراره بالنعمة .

ويدل الحديث أعلاه على عدم إنحصار وصايا لقمان بإبنه إنما كان يوصي ويعظ الناس ، ويدعوهم للتوحيد وللأخلاق الحميدة بلسانه وفعله ، ومن وصاياهم :

الوصية الأولى : وجوب عبادة الله عز وجل وحده والتزهد عن الشرك الذي هو ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

(١) سورة المطففين ٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٣٤/٦.

(٣) سورة لقمان ١٣.

ليبان أن الظلم من الكلي المشكك وأن الشرك من أقبح ضروب الظلم ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿وَهُوَ يَعْظُمُ﴾^(٢) ، من الآية أعلاه من سورة لقمان دليل على تعدد وجوه موعظة لقمان لابنه وأنها أكثر مما ذكر منها في القرآن ، ويمكن استقراؤها من ذات آيات القرآن الأخرى ، وهو من مصاديق تسمية سورة كاملة باسم سورة لقمان ، مع أنه ليس بنبي .

الوصية الثانية : نهى لقمان لابنه عن الشرك بالله ، وتدل آيات القرآن وأخبار السنة النبوية على حرص لقمان على مصاحبة ابنه له ، وهذه المصاحبة نوع تأديب له ، وهي من أحسن ضروب الصحبة في التأريخ لما فيها من سنن التقوى .

وقد أكرم الله عز وجل أهل البيت وأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين والأنصار بصحبة رسول الله ، وهي النعمة العظمى والشرف الرفيع ،

فحفظوا سنته ووثقوها لتكون حرزا من فعل السيئة والإرهاب .

وقد وصى لقمان ابنه باجتناب الشرك كما ورد في التنزيل ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) وحمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لواء نهى الناس جميعاً عن الشرك ، وحتى الذين كانوا اتباع الأنبياء جاءهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلزوم تعاهد هذا الإتياع أو دخول الإسلام .

لقد جاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لإزاحة مظاهر الشرك في الأرض ، وتحملوا شتى ضروب الأذى وسقط عدد منهم شهداء

(١) سورة النساء ٤٨ .

(٢) سورة لقمان ١٣ .

(٣) سورة لقمان ١٣ .

في كل معركة من معارك الإسلام مع أن كل واحدة منها كانت دفاعية محضة .

لم يشهر فيها المسلمون السيوف ، وكان النبي يدعو الناس بين الصفين بقانون (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) .

(وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: " وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا " ، قَالَ: وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْعَزِيزُ، وَالْجَبَّارُ، وَكُلُّ أَسْمَاءِ اللَّهِ حَسَنٌ) ^(١) .
(قال : والعزى من العزيز) ^(٢) .

ولا يصح نعت المسلم الذي ينطق بالشهادتين بأنه مشرك ، ولا الكتابي الذي يؤمن بالأنبياء والتتزيل ، فان الآية صريحة بأن المشرك هو الذي يشرك في عقيدته وعبادته غير الله عز وجل ، ويجعل من الأصنام ونحوها آلهة وأرباباً .

وعن (عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر .

قال رجل : يا رسول الله انه يعجبني أن يكون ثوبي غسلاً ، ورأسي دهيناً ، وشراكي نعلي جديداً ، وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه فمن الكبر ذاك يا رسول الله؟

قال : لا ، ذاك الجمال ، إن الله عز وجل جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر من سفه الحق وازدرى الناس) ^(٣) .

إن المفاهيم القرآنية الصحيحة برزخ دون الإرهاب ، ومانع منه ، وفيه دعوة لإكرام جنس الإنسان ، وتدل وصايا لقمان لابنه على اتخاذه سبيل

(١) تفسير ابن ابي حاتم ٢٩١/٦ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٤٨٥/٥ .

(٣) الدر المنثور ٢١٨/٤ .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريقاً للهداية ، ووقاية من الضلالة والفساد .

الوصية الثالثة : استحضر ذكر الله وادراك قانون وهو أن الله عز وجل يعلم ما يفعله العبد ، قال سبحانه ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(١) .

لقد أخبر لقمان بأن الله عز وجل يعلم السرائر ، وأنه سبحانه قادر على كل شيء ، ويحذر لقمان ابنه من الغفلة ، ويدعوه للإستعداد ليوم الحساب ، إذ يحضر الله عز وجل الناس في عرصات القيامة وتأتي معهم أعمالهم من خير وشر ، قال تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَاصِيغٍ﴾^(٢) .

إن مراقبة الله عز وجل والخشية منه بالغيب واقية للنفس والجوارح من إرتكاب المعاصي .

الوصية الرابعة : الإحسان للوالدين والبر بهما وإجتنب العقوق حتى بأدنى مراتبه لقوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٣) .

وإذا كان لقمان قد وصى ابنه بالبر بالوالدين فإن القرآن نزل بقانون من الإرادة التكوينية ، وهو وصية الله عز وجل الإنسان مطلقاً بوالديه ، قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾^(٤) .

(١) سورة الحاقة ١٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٤٧ .

(٣) سورة الإسراء ٢٣ .

(٤) سورة العنكبوت ٨ .

وهل تشمل الآية أعلاه وما فيها من أحكام الوصية الأنبياء ، الجواب نعم ، لأن الألف واللام في الإنسان تفيد الجنس ، ويخرج بالتخصيص آدم وحواء عليهما السلام فليس لأي منهما أب أو أم .

ويخرج عيسى عليه السلام أيضاً ، وعلى نحو الموجبة الجزئية لأنه ولد من غير أب ، ويدل ما ورد في التنزيل حكاية عنه ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾^(١) على شمول الأنبياء بوجوب الإحسان للوالدين ، وفي قصة يوسف شواهد على هذا الإحسان ، وفي التنزيل ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢).

لقد قرن الله عز وجل بر الوالدين بطاعته ، وهو من عطف الخاص على العام .

وهل هو من عطف المندوب على الواجب ، الجواب لا ، فكل منهما واجب ، لذا وردت أحاديث نبوية متعددة تتضمن الإخبار على أن عقوق الوالدين من الكبائر .

و(عن أبي بكرة قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور . ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)^(٣).

وقولهم ليته سكت أي لما في هذا التكرار من التشديد وموضوعية لزوم اجتناب شهادة الزور .

الوصية الخامسة : ورد لفظ ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ﴾ خمس مرات في القرآن ، ثلاثة منها خطاب من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،

(١) سورة مريم ٣٢.

(٢) سورة يوسف ١٠٠.

(٣) الدر المنثور ٩٣/٣.

قال تعالى ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (١).

ووردت واحدة خطاباً من الله إلى موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (٢).

ونزلت آية واحدة منها بخصوص لقمان عليه السلام (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ) (٣) ، وفيه شاهد على إكرام الله عز وجل للقمان بأن توجه ذات الخطاب التكليفي من الله عز وجل إلى النبي موسى وإلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى لقمان لبيان أنه قانون عام متوجه من الله عز وجل إلى الأنبياء جميعاً فكل نبي من الأنبياء المائة والأربعة والعشرون ينزل عليهم الوحي باقامة الصلاة على نحو الوجوب العيني .

ولا يختص هذا الوجوب بأشخاص الأنبياء ، إنما يشمل أهلهم وأتباعهم ، قال تعالى ﴿وَاذْكُرْنِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٤) أن الأنبياء كانوا يأمرهم بالصلاة وسائر العبادات .

لقد أمر لقمان ابنه بإقامة الصلاة ، ولم يكن هذا الامر على نحو الاستحباب إذ يحمل هذا الأمر على الوجوب العيني ، وهل هو من الأمر بالأمر بالشئ .

(١) سورة العنكبوت ٤٥.

(٢) سورة طه ١٣-١٤.

(٣) سورة لقمان ١٧.

(٤) سورة مريم ٥٤-٥٥.

الجواب إنما هو تأكيد للأمر التكليفي المتوجه من عند الله عز وجل لابن لقمان ، فكل مكلف ذكراً كان أو أنثى مأمور بالصلاة ، وفي الآية دعوة لكل أب من المسلمين بأمر ابنه بإقامة الصلاة .

وهل يشمل الأمر الأم ، وهل تقول الأم لابنها : يا بني أقم الصلاة ، أم أنه خاص بالأب لقيمومته في الأسرة .

الجواب هو الأول ، وهو من إعجاز القرآن ودعوته المسلمين والمسلمات لسبل الهدى والرشاد . إذ يتوجه الأمر من الله عز وجل إلى الذكر والأنثى عند البلوغ وقبل أن يكونا أبوين للأبناء وبلوغ الأبناء السن التكليفي .

ويحتمل أوان أمر لقمان لابنه بالصلاة وجوهاً :

الأول : أمر لقمان لابنه بالصلاة قبل البلوغ ليؤدي الصلاة على نحو الإستحباب والتمرين ، ثم يؤديها بعد البلوغ وجوباً .

الثاني : صدور الأمر من لقمان إلى ابنه قبل البلوغ ليؤدي الصلاة

بعده .

الثالث : بعد أن وصل ابن لقمان سن البلوغ توجه الامر من أبيه له

بأداء الصلاة .

الرابع : تكرار الأمر من لقمان لابنه بأداء الصلاة قبل وبعد بلوغ ابنه .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق قوله تعالى

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(١)

وهل منها صدور الأمر من لقمان لابنه بالصلاة عند دخول وقتها كما في صلاة الفجر ، أم أنه أمر إجمالي بتعاهد الصلاة ، الجواب هما معاً وفيه نكتة عقائدية وهي أن أمر الآباء لأبنائهم بالصلاة حاجز دون الفساد والعنف لأن الصلاة ترق القلب ، وتقدهح البصيرة ، وتجعل الإنسان منقطعاً

إلى ربه وهي مانع من الظلم والتعدي ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١).

ومن إعجاز القرآن إقتران وجوب الصلاة بإتيان الزكاة ، قال تعالى
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٢) ، وتمنع الصلاة من فعل السيئة والمنكر ، وتطهر
الأبدان وتعصم الجوارح ، ويأتي إتيان الزكاة على النفس فيطهرها عن
الدنس .

وهذا التطهير مقدمة لإجتناب الإضرار بالناس ، وباعث للنفرة في
النفس من الظلم ، لقد ذكر الله عز وجل وصية آدم لابنه باقامة الصلاة ،
ولم يذكر لقمان إخلاص النية وقصد القربة في الصلاة ولكنه أمر جلي
بلحاظ الترادف والتداخل في أفراد الوصية .

الوصية السادسة : من منهاج الأنبياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
، إذ حملوا لواءه وتحملوا الأذى بسببه وسير المشركون الفاسقون الجيوش
لقتال طائفة منهم ، فلم يحميدوا عنه لأنه أمانة في أعناقهم ، وتتقوم به
رسالاتهم .

وتوجه لقمان إلى ابنه ليتبع نهج الأنبياء ويرقى إلى منازل الصالحين ،
وإذا قام كل الآباء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن السلام يسود
الأرض ، ويصيب الوهن أهل الضلالة ، وتنزوي النفس الغضبية
والشهوية .

ومن الإعجاز عدم إختصاص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
بموضوع أو وزمان ، إذ يتغشى ميادين الحياة ، وفيه مسائل :
الأولى : هل كان عند لقمان ابن واحد ، أم عدة أبناء .

(١) سورة العنكبوت ٤٥.

(٢) سورة النور ٥٦.

الثانية : هل توجه لقمان بأوامر ونصح إلى أحد أولاده ، ليتعظ أبناءه الآخرون.

الثالثة : هل أمر لقمان لابنه دعوة للابن كي يوصي أولاده بما أوصاه لقمان .

أما المسألة الأولى : فالمختار هو تعدد أولاد لقمان ، إلا أن يرد دليل على الحصر بولد واحد ، ومن وجوه تقدير الآية :

الأول : يا بني أقيموا الصلاة .

الثاني : يا بناتي أقمي الصلاة .

الثالث : يا أحفادي أقيموا الصلاة .

الرابع : يا بني أمروا أبناءكم بأقامة الصلاة .

الخامس : ورد ذكر لفظ (يا بني)^(١) ، بصيغة المفرد والتذكير للبيان وغلبة التذكير .

وتقدير الآية أن لقمان يقول لكل ولد من أولاده : يا بني أقم الصلاة ، كما يتوجه له في الخطاب العام لإتيانه في الوجه الأول أعلاه .

وأما المسألة الثانية : فإن كان المقصود أنه يعظ كل ولد من أولاده على نحو الإنفراد والإستقلال ليتعظ أخوته ، فالجواب نعم وأما إذا كانت موعظة لقمان لولد واحد مخصوص من أولاده كما كان الولد الأكبر فالجواب لا ، لأن هذه الموعظة خير محض يتصف بالعموم لوحدة الموضوع في تنقيح المناط.

وأما المسألة الثالثة : فالجواب نعم ، إذ أراد لقمان أن تكون وصاياه إرثاً كريماً في ذريته .

وقد أنعم الله عز وجل على المسلمين وجعل هذه الوصايا عهداً لهم ، ووصية من الله عز وجل لهم ولإبنائهم ، وحرزاً من الفسوق والفجور .

(وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح اللخمي؛ أنه لما وعظ لقمان عليه السلام ابنه قال : ﴿يَا بَنِيَّ إِنِّهَا إِن تَكُنْ مُثْقَلًا حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(١) ، أخذ حبة من خردل فأتى بها إلى اليرموك ، فألقاها في عرضه ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم ذكر وبسط يده فأقبل بها ذباب حتى وضعها في راحته .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن مالك قال : بلغني أن لقمان عليه السلام قال لابنه : ليس غنى كصحة ، ولا نعيم كطيب نفس .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن وهب بن منبه قال : قال لقمان عليه السلام لابنه : من كذب ذهب ماء وجهه ، ومن ساء خلقه كثر غمه ، ونقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد والبيهقي عن الحسن أن لقمان قال لابنه : يا بني حملت الجنادل والحديد . وكل شيء ثقيل . فلم أحمل شيئاً هو أثقل من جار السوء ، وذقت المر فلم أذق شيئاً هو أمر من الفقر ، يا بني لا ترسل رسولك جاهلاً ، فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك .

يا بني إياك والكذب ، فإنه شهى كلحم العصفور عما قليل يقلبي صاحبه ، يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس ، فإن الجنائز تذكرك الآخرة والعرس تشهيك الدنيا .

يا بني لا تأكل شبعاً على شبع ، فإنك إن تلقه للكلب خير من أن تأكله ، يا بني لا تكن حلواً فتبلع ، ولا مرأ فتلفظ .

وأخرج البيهقي عن الحسن أن لقمان عليه السلام قال لابنه : يا بني لا تكونن أعجز من هذا الديك الذي يصوت بالأسحار ، وأنت نائم على فراشك .

وأخرج عبد الله في زوائده والبيهقي عن عثمان بن زائدة قال : قال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتي بغتة .
وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والبيهقي عن سيار بن الحكم قال : قيل للقمان عليه السلام : ما حكمتك؟ قال : لا أسأل عما قد كفيت ، ولا أتكلف ما لا يعنيني .

وأخرج أحمد في الزهد عن أبي عثمان الجعدي رجل من أهل البصرة قال : قال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله ، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهد فيك .
وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن عكرمة أن لقمان عليه السلام قال : لا تنكح أمة غيرك ، فتورث بنيك حزناً طويلاً .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد عن محمد بن واسع قال : كان لقمان عليه السلام يقول لابنه : يا بني اتق الله ، ولا تر الناس أنك تخشى الله ليكرمك بذلك وقلبك فاجر^(١) .

الوصية السابعة : لقد أوصى لقمان ابنه بالصبر والتحمل والرضا بقضاء الله عز وجل ، وبعد أن أمر لقمان ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمره بالصبر لأن كلاً من هذا الأمر والنهي سبب لتلقي الأذى واحتمال الضرر من الظالمين .

وفيه دعوة للمسلمين للصبر على الأذى الذي يأتي من مشركي قريش وملكة الصبر عند الإنسان من ضروب الخلافة في الأرض إذا كان في رضوان الله عز وجل .

وهل يشترط في الصبر قصد القربة الجواب لا ، وإن كانت الفرائض والعبادات تتقوم بالصبر .

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار إمتحان وابتلاء ويلزم الإنسان فيها الصبر في يومه وليله ، وما يلاقه ، وإن لم يتل بما يستلزم الصبر ، فإنه

يحتاج إليه في الإمتناع عن الشهوات واللهث وراء مباهج الدنيا ، ولم يقل لقمان لابنه (واصبر على ما يصيبك) .

إنما نزلت الآية بصيغة الماضي لإفادة القطع والجزم في نزول الإبتلاء وتقدير الآية على وجوه :

الأول : واصبر على ما أصابك في الماضي .

الثاني : واصبر على ما قد يصيبك الآن .

الثالث : واصبر على ما يصيبك في المستقبل .

الرابع : واصبر على ما يصيبك في نفسك .

الخامس : واصبر على ما يصيبك في مالك .

السادس : واصبر على ما يصيبك في أولادك .

السابع : واصبر على ما يصيبك في سعيك في مرضاة الله عز وجل .

ترى هل من غاية لأمر لقمان ابنه بالصبر ، الجواب نعم من جهات :

الأولى : التحلي بطاعة الله عز وجل .

الثانية : إتخاذ الصبر بلغة لتحقيق الغايات الحميدة .

الثالثة : قهر النفس الشهوية والغضبية .

الرابعة : العصمة من العنف والظلم والتعدي ، على الغير وحقوق

الناس .

الخامسة : الصبر دعوة ظاهرة صامته إلى الله عز وجل .

فمن مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) ، إكرام الناس

جميعاً للذي يتحلى بالصبر ، وفي قصص الآخرين والأمثلة شواهد على

الحسن الذاتي للصبر ، وهو من صيغ الحكمة المانعة من الإرهاب.

وأيهما أكثر المعارك التي وقعت في التاريخ أم المعارك التي صرفها الله عز وجل ولم تقع لتحلي طرف أو أكثر في النزاع بالصبر ، الجواب هو الثاني وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وفي الإحتجاج على الملائكة الذين أنكروا خلافة الإنسان في الأرض فأخبرهم الله عز وجل أنه يصرف أكثر المعارك وأسباب سفك الدماء ، لينزل القرآن وكل آية منه تمنع من سفك الدماء وتنتهي عن الإرهاب ، ومنها وصية لقمان لابنه بالصبر وكل مسلم يسعى في مراتب الإيمان ، ويتبع النهج الذي عليه لقمان .

لقد أخبرت هذه الآيات عن وصية لقمان لابنه بسنن التقوى ولم تبين أن ابنه تقيد بهذه الوصايا ولكنه هو الظاهر والمتبادر من مضامين هذه الآيات .

وقد ذم الله عز وجل ابن نوح لعدم استجابته لنداء نوح بالصعود في سفينة الإنقاذ الكبرى ، إذ ورد في التنزيل ﴿وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ * قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَفْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٢) .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة هود ٤٢-٤٥.

لتدل آيات القرآن على إيمان ابن نوح واستجابته لنصائح ومواعظ لقمان ووردت أخبار عديدة تذكر وصايا لقمان ومواعظ كثيرة صادرة من لقمان لابنه ، ولابد من التحقيق من صدورها وتعيين جهة الصدور ، ورجال الخبر.

وورد (عن ابن عباس في قوله : {قد أفلح من تزكى} ^(١)) قال : من الشرك {وذكر اسم ربه} ^(٢)) قال : وحده الله {فصلى} قال : الصلوات الخمس ^(٣).

وهل يختص الصبر الذي يوصي به لقمان ابنه بحال الشدة والضراء ، الجواب لا ، فمن خصائص الحياة الدنيا أنها دار الصبر ، إذ يلزم الصبر الإنسان في كل ساعة من ساعات حياته ، ويلزم حضوره في الرخاء والشدة ، والسراء والضراء ، فمن مصاديق الصبر العزوف عن الشهوات والإمتناع عن السيئات ، وإجتنب الإرهاب في حال التمكن منه لأنه قبيح ذاتاً ، فان قلت قد قيدت الآية سنخية الصبر الذي وصى به لقمان ابنه ، كما ورد في التنزيل ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٤) الجواب إنه ليس من التقييد والحصر ، إنما ورد باب الفرد الأهم والأمل . والصبر لغة هو الحبس والكف .

وفي الإصطلاح هو ملكة خلقية من سنخية الإرادة ، تجعل الإنسان يضبط نفسه من وجوه :

الأول : الإمتناع عن الجزع والضجر .

(١) سورة الأعلى ١٤.

(٢) سورة الأعلى ١٥.

(٣) الدر المنثور ١٠/٢٤٢.

(٤) سورة لقمان ١٧.

الثاني : إجتنب السأم والملل ، قال تعالى ﴿وَلَا تَيْسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

الثالث : العصمة من إستحواذ النفس الغضبية .

الرابع : الوقاية من الخوف والفرع ليدل قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْمِنًا الظَّالِمِينَ﴾^(٢) على تخلف المشركين عن أدنى مراتب الصبر .

الخامس : حبس النفس الشهوية إلا ما تأذن به الشريعة ، وفيه الكفاية والنجاة ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٣).

السادس : الصبر عند الفقر والعوز ، والتزهد عن آفة الحسد والإمتناع عن تمنى زوال نعمة الغير .

السابع : التحلي بضبط النفس في حال السعة والغنى ، ومن الآيات في شهر رمضان تسميته شهر الصبر لمنافعه للذات والغير ، والشكر لله عز وجل على النعم والرزق من الطيبات ومعرفة احوال الفقراء والرفق بهم ، ومن معاني الإرهاب أنه يتنافى مع الصبر في الموضوع والسنخية والأثر . وعن الإمام علي عليه السلام قال (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، إذا قطع الرأس نتن باقي الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له)^(٤).

الوصية الثامنة : التحلي بالأخلاق الحميدة ، وهي حاجة للإنسان في حياته اليومية ، ونوع طريق إلى قلوب الناس ، والفوز بالسمعة الحسنة ، وصرف التعدي والظلم

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) سورة يوسف ٨٧.

(٣) سورة المؤمنون ٥.

(٤) الدر المنثور ١/١٠٧.

ومن وصية لقمان لابنه كما ورد في التنزيل ﴿وَلَا تَصْعُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١) للزوم الإقبال على الناس والإنصات إلى الحق ، وسماع الحجة والجدال والرد على المغالطة .
﴿وَلَا تَصْعُرْ خَدَّكَ﴾ أي لا تمله عن الناس تكبراً وترفعاً عنهم .

(الصَّعْرَ مِيلٌ فِي الْوَجْهِ وَقِيلَ الصَّعْرُ الْمِيلُ فِي اخْتِذَاكَ وَرَبَّمَا كَانَ خَلْقُهُ فِي الْإِنْسَانِ وَالظَّلِيمُ وَقِيلَ هُوَ مِيلٌ فِي الْعُنُقِ وَانْقِلَابٌ فِي الْوَجْهِ إِلَى أَحَدِ الشَّقَيْنِ وَقَدْ صَعَرَ خَدَّهُ وَصَاعَرَهُ أَمَالُهُ مِنَ الْكِبَرِ قَالَ الْمُتَلَمِّسُ وَاسْمُهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوْنَا .
يقول إذا أmaal متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله وقيل الصَّعْرُ داء يأخذ البعير فيلوي منه عنقه ويميله صَعَرَ صَعْرًا وهو أَصْعَرُ^(٢) .

وقال أبو طالب في ذم قريش لاستكبارهم وإيذائهم النبي محمداً وأهل البيت وتحديهم ويمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتطلع إلى الفرج (ألا قل لعمرى والوليد ومطعم ... ألا ليت حظي من حياتكم بكر من الخور حجاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... إذا ما علا الفياء قيل له وبر أرى أخويننا من أئينا وأمنا ... إذا سثلا قالوا إلى غيرنا الأمر بلى لهما أمر ولكن تجرجما .. كما جرجمت من رأس ذي علق صخر أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً ... هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر هما أغمزا القوم في أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفهما صفر هما أشركا في المجد من لا أبأ له ... من الناس إلا أن يرس له ذكر وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا بغى النصر

(١) سورة لقمان ١٨.

(٢) لسان العرب ٤/٤٥٦.

فوالله لا تنفك منا عداوة ... ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
 فقد سفهت أحلامهم وعقولهم.. وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر^(١).
 والإجماع والمختار على أن لقمان ليس نبياً ز
 وهل تدل وصايا لقمان لابنه على قيام الأنبياء بذات الوصايا لابنائهم
 من باب الأولوية القطعية ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ﴾^(٢).

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أمته وهو من
 الشواهد على تفضيله على الأمم السابقة من جهة بقاء وصايا النبي
 متجددة ونافذة بين الناس إلى يوم القيامة ، وهو من مصاديق قوله تعالى
 ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُوْتَمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَكَوْا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَأَن خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
 لبيان أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يوصي المسلمين وهم
 يقومون بالتوصية للناس جميعاً بعمل الصالحات .

وهل وصايا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأتمته حرب على
 الإرهاب ، الجواب وفيه قانون نبينه إن شاء الله .

وقد وصى لقمان ابنه بالتواضع وعدم التكبر ، كما ورد في التنزيل
 ﴿وَلَا تَصَغُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾^(٤) ترى ما هي النسبة بين التواضع والتنزه عن
 الإرهاب ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق فالتنزه في المقام هو
 الأعم .

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ٧٢/١.

(٢) سورة الأنبياء ٩٠.

(٣) سورة آل عمران ١١٠.

(٤) سورة لقمان ١٨.

لقد أراد لقمان لابنه أن يدرك بأن الحياة دار إختبار وإبتلاء ، ويأتي هذا الإدراك بالتواضع وإظهار الخشوع لله عز وجل والتنزه عن الزهو والإختيال .

ويمكن تسمية الحياة الدنيا (دار العبودية لله) فمتى ما أدرك الإنسان أنه عبد لله وأن صيغة العبودية تجمععه مع الناس جميعاً .

وصحيح أن لقمان ليس بنبي إلا أنه إقتبس من وحي الأنبياء ، وتعلم الحكمة ، واتخذ من التفكير بمخلوقات الله نوع طريق للزهد والرشاد ، وفي التنزيل ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) .

وهل يؤدي ترك التبخر والإختيال إلى التبصر بالأمور ، الجواب قد يكون هذا ، والتبخر برزخ بين صاحبه وبين الناس ، لقد جاء القرآن والسنة بالحث على التواضع ، وفيه إكرام للناس جميعاً ، ومنع من طغيان الحقد والحسد على النفس .

الوصية التاسعة : حسن معاشرة الناس والأدب في المشي والصلوات الإجتماعية ، إذ ورد في وصية لقمان لابنه كما في التنزيل ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾^(٢) .

وجاء النهي عن المشي في الأرض مرحاً من باب المثال والكناية ، وبيان قبح الزهو بين الناس ، وفرط التفاخر ، والبطر والفخر الطاغى ، ويحرص لقمان على تذكير ابنه بالله عز وجل وأنه سبحانه يرى أفعال العباد ، وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١٩١ .

(٢) سورة الإسراء ٣٧ .

(٣) سورة لقمان ١٨ .

(وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التواضع ، عن محبس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا مشيت أمتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض) ^(١).

والخيلاء في المشي مرآة تدل على تكبر الإنسان واعراضه عن سماع الحجة والبرهان ، وترفعه عن سماع حاجات الناس وما يثبونه من الشكوى ، وقد يكون البطر والأثر مانعاً من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد يحجب إنصاف الناس للمتكبر ذي الخيلاء .

وهل التكبر من الإرهاب ، الجواب لا ، ولكنه فعل مذموم قد ينمي حال السخط بين صاحبه وغيره من الناس ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب، وكأنما الأرض تطوى له) ^(٢).

لقد أثنى الله عز وجل على المؤمنين في حال مشيه وإظهارهم الخشوع والخضوع لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ^(٣) والزهو والخيلاء والتكبر والتفاخر أمر مكروه بذاتها وبما يترشح ويتفرع عنها ، فأراد الله عز وجل نشر مفاهيم الإيمان وسنن التقوى بين الناس ومنع ديبب التحاسد والبغضاء بينهم ، فجاءت آيات وصية لقمان لابنه مدرسة بمكارم الأخلاق .

ومن إعجاز القرآن الغيري أن كل مسلم ومسلمة يتلقيان وصية لقمان لابنه كأنها وصية لهما .

(١) الدر المنثور ٦/٢٧٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/١٢٢.

(٣) سورة الفرقان ٦٣.

(وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا ثوب بالصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون واثتوها وعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وان احدكم في صلاة ما كان يعمد إلى المسجد)^(١).

والثوب الدعوة إلى الصلاة والنداء إليها وإقامتها ، والسعي المنهي عنه في الحديث هو الهرولة وشدة المشي وتباعد الخطى .

ليبان أن المراد من السعي في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَادَيْتُمُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) هو المضي إليها من غير إبطاء أو تكبر وتفاخر بين الناس ، فالجميع يقضون بين يدي الله سبحانه في خضوع وخشوع ، وليس من عفو لبعضهم عن الركوع أو السجود مثلاً .

لقد جعل الله عز وجل سعي المسلمين إلى الصلاة في المسجد أو البيت أو المحل ، وترقبهم لهلal شهر رمضان طاعة له سبحانه ، وفيه إنصراف عن إيذاء الغير ، وعن الجدال واللغو ، وقد اثنى الله عليكم بقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(٣).

الوصية العاشرة : لقد وصى لقمان ابنه بالأدب الرفيع في المحادثة ، وصيغ الخطاب ، فلا يرفع صوته مطلقاً سواء مع من هو أعلى منه أو المساوي له أو الأدنى منه وفيه أدب ظاهر ، وهو باعث للطمأنينة في نفوس

(١) البيهقي / السنن الكبرى ٢٢٨/٣ .

(٢) سورة الجمعة ٩ .

(٣) سورة المؤمنون ١-٣ .

الناس ، وجاء في وصية لقمان كما في التنزيل ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِذَا أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١).

وسورة لقمان مكية وعدد آياتها أربع وثلاثون آية ، وتبين الآية ما يتصف به لقمان من مكارم الأخلاق وحرصه على وراثة ابنه له ، وتعاهد مضامين الوصية بين الناس ، وفي هذه التوصية دعوة لإجتنب العنف حتى بأدنى مراتبه.

ونهيق الحمار شديد ، ويؤدي أذن المستمع .

ووفق مقياس ديسيل تبدأ الأذن بالألم إذا بلغت شدة الصوت (٩٠) ديسيل بينما يزيد مستوى صوت الحمار على مائة ديسيل وهو من الإعجاز في تعليم القرآن الناس سلامة الحواس ، والنجاة من أسباب الإنفعال .

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطانا^(٢).

وجاءت السنة النبوية بأخبار عن لقمان ووصاياه منها (عن ابن عمر قال أخبرنا : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لقمان الحكيم كان يقول : إن الله إذا استودع شيئا حفظه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن موسى بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة يحدث عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني ، إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل ، مذمة بالنهار .

(١) سورة لقمان ١٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٣٩/٦.

وقال : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان ، عن ضمرة ، حدثنا السري بن يحيى قال : قال لقمان لابنه : يا بني ، إن الحكمة أجلس المساكين مجالس الملوك .

وقال : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن المسعودي ، عن عون بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه : يا بني ، إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الإسلام - يعني السلام - ثم اجلس في ناحيتهم ، فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا ، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم .

وحدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ضمرة ، عن حفص بن عمر وضع لقمان جرأباً من خردل إلى جانبه ، وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة ، حتى نفذ الخردل ، فقال : يا بني ، لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل لتفطر ، قال : فتفطر ابنه^(١) .

ووصايا لقمان لابنه من مصاديق أحسن القصص في قوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ ﴾^(٢) ، لبيان قانون وهو تجدد منافع هذه القصص في كل زمان بما يهذب النفوس ويصلح المجتمعات ، ولتكون هذه القصص واقية من العنف والإرهاب ، وحرزاً من الإقتال والغزو .

والابن الذي يتلقى وصايا الصلاح والإصلاح لا يلبث مع تقادم الأيام والسنين أن يصبح أباً لابناء ذكوراً وأنثاً ليتولى القيام بالوصية والنصح لابنائه وهو من إعجاز القرآن في تجدد مصاديق الإمثال لمضامينه القدسية في كل زمان ، وبقاء آيات القرآن غضة طرية .

(١) تفسير ابن كثير ٦/٣٤٠ .

(٢) سورة يوسف ٣ .

قانون أسماء الأنبياء في القرآن دعوة للصالح

لقد ذكر القرآن أسماء خمسة وعشرين نبيا وهم حسب الترتيب الزمني :

الأول : آدم عليه السلام ، وذكر خمسا وعشرين مرة في القرآن وهو الأول من جهات :

الأولى : آدم أول إنسان خلقه الله عز وجل .

الثانية : نفخ الله عز وجل من روحه في آدم ، قال تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١).

الثالثة : يمتاز آدم من بين البشر أنه وحواء خلقهما الله عز وجل من غير أب وأم.

الرابعة : إقامة آدم في الجنة برهة من الزمن لتكون بشارة دخول المؤمنين الجنة وإقامتهم الدائمة فيها لإنتفاء الأسباب التي غادر بها آدم الجنة ، ومنها عدم وجود استثناء فيما يأكل أصحاب الجنة من الثمار فيها . وبخلاف آدم وحواء إذ قال لهما الله عز وجل ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

ومنها اغواء إبليس لآدم وحواء بالأكل من الشجرة المنهي عنها ، ففي الآخرة لا سبيل لإبليس على المؤمنين والناس جميعاً ، إنما يجري عتاب ولوم بينه وبين أهل النار كما ورد في التنزيل ﴿فَلَا تَلُمُونِي وَكُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣) ، زيادة في توبيخ وتأنيب الذين كفروا وزيادة حسرتهم لإتباعهم لإبليس ، وانقيادهم لاغوائه وتزيينه المعاصي لهم .

(١) سورة السجدة ٩.

(٢) سورة البقرة ٣٥.

(٣) سورة إبراهيم ٢٢.

الخامسة : أول من عمّر الأرض وعاش فيها من البشر هو آدم .
السادسة : آدم أول نبي من الأنبياء ، وأول من نزل عليه الوحي .
السابعة : أول من بشر بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الثامنة : آدم أول الأنبياء ذكراً في القرآن بلحاظ نظم الآيات والسور ،
 قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) ، وهو من الإعجاز في موافقة نظم القرآن للترتيب في الخلق.

الثاني : النبي إدريس عليه السلام ، وورد ذكره في القرآن مرتين ، قال تعالى ﴿وَأَذْكُرُنِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٢) ، وورد الثناء بصفة الصديق والنبي مرتين في القرآن والأخرى في إبراهيم عليه السلام قال تعالى ﴿وَأَذْكُرُنِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٣) .
 وكل من الصدق والأمانة واتباع النبوة سبل تأديب لإصلاح المجتمعات ، ومنع الإرهاب ، وقد تفضل الله عز وجل على إدريس بأن ضاعف الله عز وجل أجر عمله ، فكان يرفع له مثل نصف أعمال الناس إكراماً له ولمرتبة النبوة ، وأحبه أحد الملائكة فاستأذن الله أن يأتي إدريس فاذن له ، فأتاه وأخبره الملك بمنزلته عند الله وبشره بما يكتب له من الثواب فقال إدريس (يا أيها الملك ، أخبرني كم بقي من أجلي لعلي أجتهد لله في العمل ، قال : يا إدريس ، لا يعلم هذا إلا الله)^(٤) . عن السدي .

(١) سورة البقرة ٣١ .

(٢) سورة مريم ٥٦-٥٧ .

(٣) سورة مريم ٤١ .

(٤) الدر المنثور ٦/٤٧٥ .

ثم سأل إدريس الملك ، هل تستطيع أن تصعد بي إلى السماء ، فانظر في ملك الله ، فازداد اجتهاداً في أداء العبادات وصيغ الطاعة.
قال الملك : لا ، إلا أن تشفع ، فتشفع فأمر به فحمله الملك تحت جناحيه فصعد به حتى إذا بلغ (السماء السادسة) ^(١) ، وفي رواية أنه رفع (إلى الرابعة).

فقال : يا ملك الموت ، أين تريد .

قال : اقبض نفس إدريس .

قال : وأين أمرت أن تقبض نفسه .

قال : في السماء السادسة . فذهب الملك ينظر إلى إدريس ، فإذا هو برجليه يخفقان قد مات ، فوضعه في السماء السادسة ^(٢).

ومن خصائص قصص الأنبياء أن كل واحدة منها مدرسة تزجر مبادئها وأحكامها الناس عن الإرهاب والقتل ، وسفك الدماء ، لقد كان الأنبياء يصبرون على أذى الكفار ، أما الإرهاب في هذا الزمان فيتوجه إلى المؤمنين وأهل الكتاب والناس الأبرياء وإلى المؤسسات العامة التي هي ملك للجميع ، قال تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَاهَدُوا عَلَيْكُمْ وَلَا يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يَخْرُجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ^(٣).

الثالث : نوح : وهو من الرسل الخمسة أولي العزم ، وقد ورد ذكره في القرآن ثلاثاً وأربعين مرة ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ

(١) انظر الكشف والبيان ٤٧٥/٦.

(٢) الدر المنثور ٤٧٥/٦.

(٣) سورة الممتحنة ٨.

إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(١).

وذكرت الآية أعلاه الذرية لبيان اتصال واستمرار الإصطفاء والإجتباء من عند الله في ذرية الأنبياء ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَنْبَأْنَا إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا تَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ^(٢)﴾ ، لينشر أهل بيت النبوة الحكمة ويتعاهدوا سنن التقوى ، ويجذبوا الشباب إلى مواطن الصلاح بعيداً عن الإرهاب مفهوماً وقولاً وفعلًا .

الرابع : نبي الله هود : وقد ذكر في القرآن عشر مرات ، قال تعالى ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٣)﴾ .

ولم يأت هود إلا بالحجة والبيان بصيغ الحكمة ، مع الإمتناع عن الإرهاب.

ووردت سورة باسم (هود) مع ذم قومه وتكذيبهم له وملاقاته بصنوف من العذاب ، ووردت سورة باسم الأحقاف وهي ديارهم ، ومن إعجاز القرآن بخصوص ذكر الأنبياء أن النبي شعيب يخاطب قومه ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ^(٤)﴾ .

(١) سورة آل عمران ٣٣-٣٤ .

(٢) سورة البقرة ١٢٤ .

(٣) سورة الشعراء ١٢٣-١٢٦ .

(٤) سورة هود ٨٩ .

وتقع الأحقاف ديار قوم هود في صحراء الربع الخالي وحضرموت وليس من سكان في تلك المنطقة في هذا الزمان مع سعتها ، إذ تغطيها الكثبان الرملية العالية في دلالة على شدة العذاب الذي لاقوه ، وقد تأتي التنقيبات والإكتشافات البايولوجية والصور من الجوبما يدل على وجود حضارة بائدة في تلك الأماكن.

وورد ذكر قوم هود في سورة الأعراف والشعراء وسورة هود والأحقاف ، قال تعالى ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾^(١) ، وسميت السورة باسم الأحقاف مع أنه لم يرد هذا اللفظ فيها وفي القرآن كله إلا مرة واحدة في الآية أعلاه.

نعم وردت الآيات ٢١-٢٨ من هذه السورة في قصة قوم هود.

الخامس : النبي صالح عليه السلام : وورد ذكره في القرآن تسع مرات ، قال تعالى ﴿وَالْيَاسِينَ نُوودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^(٢) ، وسمي قوم صالح ثمود لقلة مائهم ، والشم هو الماء القليل ، وكانت بيوتهم من الحجر ، وهو أقوى من الطابوق المفخور من الطين.

وكان صالح يذكرهم بهذه النعمة كما ورد في التنزيل ﴿وَنَحْنُ الْجِبَالُ بَيُوتًا﴾^(٣) ، ويسكنون في وادي القرى بين الشام والحجاز ، والنبي صالح هو ابن (عبيد بن أسف ابن ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود)^(٤).

(١) سورة الأحقاف ٢١.

(٢) سورة الأعراف ٧٣.

(٣) سورة الأعراف ٧٤.

(٤) الكشف والبيان ٣٨٧/٥.

ولم يكن قوم صالح كلهم كفاراً ، إذ آمنت طائفة منهم بنبوّة صالح ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾^(٢) .

السادس : إبراهيم عليه السلام : وهو أحد الرسل الخمسة أولي العزم ، وهو أبو الأنبياء ، وورد ذكره في القرآن (٦٩) مرة ، ولم يرد ذكر اسم نبي في القرآن أكثر منه إلا موسى عليه السلام وقد ورد ذكره في سورة البقرة وفي سورة آل عمران ، وفي سورة النساء .

وجاءت سورة كاملة باسم سورة إبراهيم ، ونزل القرآن ببيان جهاد إبراهيم وكيف أنه كان أمة في الجهاد والدعوة إلى الله ، وبالترغيب بسنة إبراهيم التي تتقوم بالتقوى ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾^(٣) ، لبيان لزوم الصلاح والإتصاف بالخلق الحميد ونبد الفتنة والإرهاب وتدل عليه آية البحث من وجوه :

الأول : الإخلاص لله عز وجل ، وتفويض الأمور له سبحانه .

الثاني : إخبار الآية عن قانون وهو أن الدين والعقيدة من الكلبي المشكك أي على مراتب متفاوتة في القوة والضعف ، وأحسنها التسليم والإنقياد لأوامر الله عز وجل .

(١) سورة الأعراف ٧٥ .

(٢) سورة النمل ٤٥ .

(٣) سورة النساء ١٢٥ .

الثالث : العصمة من الشرك ، إذ لا يجتمع الإيمان مع مفاهيم الشرك ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(١).

الرابع : قيدت الآية الإنقياد لأمر الله بالإحسان للذات والغير ، فلا بد من إقتران العمل الصالح بالإيمان ، لبيان أن الدنيا دار جهاد وصلاح ويتقوم العمل فيها بالتقوى .

ولا تختص التقوى والخشية من الله عز وجل بالعبادات إنما تشمل أمور الحياة الدنيا والآخرة .

ومن إعجاز القرآن أنه يأتي بالثناء على العمل الصالح ثم يأتي بالجزاء والثواب عليه بشارة للمؤمنين في الدنيا ، فبعد أن أثنى الله عز وجل على الذين يخلصون العبادة لله عز وجل قال تعالى ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾^(٢) تأتي البشارة بالثواب .

وقال زيد بن عمرو.

(أسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

إذا سقيت بلدة من بلاد سقيت إليها فسحت سجالا

وأسلمت نفسي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا دحاها

فلما استوت شدها ♦ سواء وأرسي عليها الجبالا .

وروى هشام بن عروة فيما نقله عنه ابن أبي الزناد، أنه بلغه أن زيد بن عمرو كان بالشام.

فلما بلغه خبر رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، أقبل يريد، فقتله أهل ميفعة بالشام)^(٣).

(١) سورة النساء ٥٨.

(٢) سورة لقمان ٢٢.

(٣) سيرة أعلام النبلاء ١/١٣٢.

ومن الإعجاز في سيرة الأنبياء أن آدم عليه السلام يسمى في الجنة أبا محمد.

إذ ورد عن الإمام علي عليه السلام قال (رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة ليست لهم كنى إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد تعظيماً وتوقيراً .

وأخرج ابن عساكر عن كعب قال : ليس أحد في الجنة له لحية إلا آدم عليه السلام له لحية سوداء إلى سترته : وذلك أنه لم يكن له في الدنيا لحية وإنما كانت اللحية بعد آدم ، وليس أحد يكنى في الجنة غير آدم . يكنى فيها أبا محمد^(١).

ومن حسن الاعتقاد الذي تذكره الآية أعلاه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾^(٢) التنزه عن الإرهاب وعن التعدي والبطش لأنها مما ينافي بالإخلاص في العبادة وسنن الطاعة إلى الله ، وتدعو الآية أعلاه المسلمين إلى إجتنب الظلم وسفك الدماء .

وتحث على اللجوء إلى الله عز وجل وجميع الأشياء حاضرة عنده ، وله سبحانه ملك السموات والأرض .

و(عن الضحاك قال : افتخر أهل الأديان ، فقالت اليهود : كتابنا خير الكتب وأكرمها على الله ، ونبينا أكرم الأنبياء على الله موسى خلا به وكلمه نجيا ، وديننا خير الأديان . وقالت النصراني : عيسى خاتم النبيين ، آتاه الله التوراة والإنجيل ، ولو أدركه محمد تبعه ، وديننا خير الدين . وقالت المجوس وكفار العرب : ديننا أقدم الأديان وخيرها .

(١) الدر المنثور ١/٩٧.

(٢) سورة النساء ١٢٥.

وقال المسلمون : محمد رسول الله خاتم الأنبياء وسيد الرسل ، والقرآن آخر ما نزل من عند الله من الكتب ، وهو أمير على كل كتاب ، والإسلام خير الأديان.

فخير الله بينهم فقال ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يُعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(١).

ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ، ثم فضل الإسلام على كل دين فقال {ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله} ^(٢).

وتبين الآية ضبط حياة الناس في الدنيا بقوانين من الإدارة التكوينية تتجلى بلزوم مصاحبة الإنسان للتقوى في الدنيا .

ولقد اصطفى الله الأنبياء ليتعاهد الناس سيرتهم ، وهل يختص هذا التعاهد باتباعهم ، الجواب لا ، فمن قوانين الحياة الدنيا هو الحتم باقتباس الناس جميعاً من سيرة الأنبياء فحتى الذين كفروا لابد وأن يقتبسوا من سيرة الانبياء ، لذا يجب التحقيق في هذا العلم الذي يدل عليه قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

فلو دار الأمر بين إنحصار الرحمة بافاضات آيات القرآن ورشحات النبوة وذكرت الآية الإحسان على نحو الإطلاق بقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٤) ، وفيه مسائل

(١) سورة النساء ١٢٣.

(٢) أنظر الدر المنثور ٢٥٤/٣.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة النساء ١٢٥.

الأولى : الإحسان للذات بالإقرار بالتوحيد والنبوة والتنزيل والتسليم بالمعاد وأن الله عز وجل يبعث من في القبور ، وهل من موضوعية وأثر للإيمان بالمعاد في حياة الإنسان.

الجواب نعم ، إذ انه يجعل الإنسان يختار العمل الصالح ، ويمتنع عن القبيح وفعل المعصية.

فمن مصاديق الإيمان بالمعاد الإقرار بحضور الأعمال مع صاحبها ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَشَهِدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) ، وقرنت بعض آيات القرآن بين الإيمان بالله وبين الإيمان بالمعاد ، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢) ، وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣).

وذكر المعاد ومواطن الآخرة وأحوال الناس فيها في نحو ألف آية من القرآن ، ولابد من دراسات خاصة في إحصاء آيات الآخرة ، وتقسيمها بلحاظ الموضوع والحكم تقسيمات متعددة تكون مفتاحاً وأصلاً لعلوم مستنبطة ، مع ذكر أمرين :

الأول : دلالة آيات الآخرة على قانون لم يغز النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحداً ، إنما كان يدعو الناس إلى الإيمان بالوعد والوعيد في عالم الآخرة ، وهذه الدعوة ليست إجتهاداً منه ، إنما هي رسالة من عند الله وفي خطاب الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٤).

(١) سورة يس ٦٥.

(٢) سورة الطلاق ٢.

(٣) سورة الطلاق ٢.

(٤) سورة الرعد ٧.

الثاني : قانون تكرار وكثرة ذكر القرآن للوعد والوعيد زاجر عن الإرهاب ، وباعث للخشية في النفوس من التعدي .

الثانية : دعوة الناس للإيمان ، والسعي والإصلاح قدر المستطاع ، وهذه الدعوة من الإحسان والخير المحض ، وهي والاستجابة لها حصن من الإرهاب إذ يفتح قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١) ، الحَسَنَةِ^(١) ، ذخائر من العلم من وجوه :

الأول : كيفية الدعوة إلى الله .

الثاني : مصاديق الحكمة في الدعوة .

الثالث : قانون صيغ الموعظة في الدعوة الى الله .

الرابع : قانون المسائل المترشحة عن تقييد الموعظة في الآية أعلاه بأنها حسنة .

الخامس : قانون موضوعية الحسن في الموعظة بالاستجابة لها كما وكيفاً .

السادس : قانون صرف الموعظة الناس عن الإرهاب .

السابع : قانون الموعظة حرز من الإرهاب .

الثالثة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإحسان .

الرابعة : التنزه عن العنف والإرهاب من الإحسان للذات والغير ، وفي عبادة الله عز وجل غنى عنه لذا قدمت الآية الإنقياد والتسليم لأمر الله .

الرابعة : الإحسان للأهل بحثهم على إتيان الفرائض العبادية والإبتعاد عن مستنقع المعصية ، وهذا الإبتعاد أمر وجودي لتعلقه بالقول والفعل .

الخامسة : من مصاديق قوله تعالى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(١)، التحلي بالأخلاق الحميدة ، وإفشاء السلام ، ونشر الصالحات رجاء مرضاة الله عز وجل لتزهو الحياة الدنيا بجلالة الإيمان والسلامة من سفك الدماء .
(وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، واعدد نفسك من الموتى ، وإياك ودعوة المظلوم فانها تستجاب ، ومن استطاع منكم أن يشهد الصلاتين العشاء والصبح ولو حبواً فليفعل)^(٢) .
ثم ذكرت آية البحث لزوم اتباع الخنيفة بقوله ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٣) .

وقد تكرر لفظ إبراهيم في الآية أعلاه مرتين ، وتكرر ثلاث مرات في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) .

ونزول القرآن ببيان ملة إبراهيم وكيف أنه كان يدعو إلى الله عز وجل بالبرهان والإحتجاج .
فلم يحمل إبراهيم سيفاً ، ولم يجمع الجموع على نمرود ولم يسع لإغتياله أو أحد أعوانه إنما كسر الأصنام بلغة الإحتجاج .

(١) سورة لقمان ٢٢ .

(٢) الدر المنثور ١٠٢/٢ .

(٣) سورة النساء ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٨ .

وعندما نجاه الله عز وجل من النار سافر إلى مصر للدعوة إلى الله عز وجل ، وإطلاع الملك وأهل مصر على المعجزات التي رزقه الله عز وجل ، وانتقل إلى مكة ليسكن زوجته هاجر وابنه إسماعيل فيها ، وليقوموا ببناء البيت الحرام .

وهل هذا البناء ابتدائي من الأساس ، الجواب لا ، فقد بني جبرئيل البيت الحرام في أيام ابينا آدم ، فمن إعجاز القرآن تقيمه بناء إبراهيم بأنه رفع لقواعد البيت أي أنها موجودة في الأصل ، قال تعالى ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

لقد أخبرت الآية عن إتخاذ الله عز وجل إبراهيم عليه السلام خليلاً . فهل الذي يتبع ملة إبراهيم يتخذ منه الله عز وجل خليلاً .

الجواب لا ، إذ أن الخلّة منزلة عظيمة فاز بها إبراهيم بجهاده ونهجه بينما ترغب الآية باتباع نهجه ، لبيان أن له الريادة في مسالك الجهاد بإقامة البرهان والصبر المقترن بالعبادة والنسك والتقوى والزهد بالدنيا والإعراض عن مباحجها مع خلو هذا الإعراض من إيذاء الغير أفراداً وجماعات ومصالح عامة .

وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

اسلمت وجهي لمن اسلمت له الأرض تحمل صخوراً ثقالا
واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن يحمل عذاباً زلالاً^(٢).

السابع : النبي لوط عليه السلام ، وورد ذكره في القرآن سبعاً وعشرين مرة ، مع بيان جهاده في سبيل الله لتنزيه الأرض من الفاحشة ، واثيان الرجل للرجل هذا الفعل القبيح الذي يدل القرآن على سوء عاقبة أهله ، ونزول البلاء بالناس بسببه قال تعالى ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا

(١) سورة البقرة ١٢٧.

(٢) الكشف والبيان ٢١٦/١.

سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْظَرُونَ ﴿١﴾.

فمن إعجاز القرآن ذكره لأول من بدأ هذه المعصية ولم يذكر انقطاعها
كما تبين هذه الآيات إصرار الفجار على الإقامة على الفاحشة ، ولم
يعلموا إن عذاب الله قريب منهم بسببها .

لقد جعل الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، ليعمرها
بالعبادة والتقوى ، وفيه تحذير وإنذار من المعاصي وفعل الفواحش .

الثامن : النبي إسماعيل عليه السلام : وقد ورد ذكره في القرآن اثنتي
عشرة مرة ، وبين القرآن أنه ابن الرسول إبراهيم وأخو النبي إسحاق ،
وأنه شارك إبراهيم عليه السلام في بناء الكعبة ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ
الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

وإسماعيل هو جد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو (محمد
بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن
مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان).

ونسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان، متفق عليه من غير
خلاف، وعدنان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام من
غير خلاف، ولكن الخلاف في عدد الآباء الذين بين عدنان وإسماعيل عليه
السلام فعد بعضهم بينهما نحو أربعين رجلاً، وعد بعضهم سبعة، وروي

(١) سورة الأعراف ٨٠-٨٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ١٢٧.

عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عدنان بن أدد بن زيد بن برا بن أعراق الثرى . فقالت أم سلمة : زيد هميسع وبرابنت وإسماعيل أعراق الثرى^(١) .

لقد أثنى الله على إسماعيل بالجمع بين صفتي الرسالة والنبوة ، ولم يرد لفظ (رسولاً نبياً) في القرآن إلا مرتين في آيتين متجاورتين ، وبينهما آيتان من سورة واحدة وهي سورة مريم ، إحداهما بخصوص موسى عليه السلام والأخرى بخصوص إسماعيل ، قال تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَآدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا * وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا﴾^(٢) .

ولا بد لذكرهما متجاورتين من دلائل ومعاني ، وفيه تأكيد للنسبة بين النبوة والرسالة وأنها عموم وخصوص مطلق .

التاسع : النبي إسحاق عليه السلام : وهو ابن إبراهيم وأبو يعقوب وهو نبي ابن نبي وتوارث أبناؤه النبوة ، فالنبي يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وورد ذكره في القرآن سبع عشرة مرة ، منها مرتان في آية واحدة قال تعالى ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(٣) ، إذ ذكرت هذه الآية كلاً من :

أولاً : إبراهيم ، بالضمير الهاء في ذات الآية في قوله تعالى ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ .

(١) المختصر في أخبار البشر ١/٧٢ .

(٢) سورة مريم ٥١-٥٤ .

(٣) سورة هود ٧١ .

ثانياً : امرأة إبراهيم وهي سارة أم اسحاق ، وذكرت بعنوان الزوجة لنظم القصة والموضوع لأنها لم تلد بعد ، وكانت عاقراً لولا فضل الله في إنجابها وعمرها تسعون سنة ، وفيه بشارة للناس جميعاً من جهات :

الأولى : علاج العقم ، والشفاء منه .

الثانية : إخصاب الرجل عن كبر ، إذ ولد إسحاق ، وعمر إبراهيم نحو مائة عام .

الثالثة : إنجاب المرأة عن كبر وإن انقطع حيضها ، فقد حملت سارة وعمرها تسعون سنة .

وقد ارتقى العلم الحديث في هذا الزمان في هذا الباب بما يدل على تحقق مصداق شبيه للمعجزة ، بفضل الله بالعلم المكتسب ، وقوله تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) ، وليان قانون وهو أن الله عز وجل إذا أنعم نعمة على أهل الأرض فانه أكرم من أن يرفعها .

ثالثاً : إسحاق النبي ، إذ ذكرت الآية البشارة به ، والبشارة من الله عز وجل لا تنحصر بالولادة إنما بالعناية واللفظ ، وأسمى المراتب ، فهل من موضوعية لهذه البشارة بفوز إسحاق بمرتبة النبوة ، الجواب نعم .

رابعاً : النبي يعقوب وهو إسرائيل ، ومن فضل الله عز وجل أنه يعطي بالآثم والأوفى ، فلم تقف البشارة لسارة عند اسحاق إنما اتصلت بيعقوب نافلة وزيادة من فضل الله .

وجاءت البشارة لذكرياً يحيى وفوزهم بمرتبة النبوة قال تعالى ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾^(٢) .

وتوفى إسحاق وعمره ستون ومائة سنة ودفنه ابنه يعقوب وعيص في مزرعة جدون عند أبيه إبراهيم^(١) .

(١) سورة العلق ٥ .

(٢) سورة مريم ٧ .

العاشر : النبي يعقوب عليه السلام ، وورد ذكره باسم يعقوب في القرآن ست عشرة مرة ، وهو نفسه إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم ، وولد يعقوب في أرض كنعان ، وسافر إلى خاله لابان في أرض حوران بطلب من أمه رفقة وعرف يعقوب بحزنه وصبره على ابنه النبي يوسف وفقد بصره الذي عاد إليه بمعجزة من عند الله بأن القي عليه قميص يوسف قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ ﴾^(٢) ، ليكون فيه بشارة علاج العمى الطارئ ، ودعوة لعلماء طب الأبدان للإجتهد والإرتقاء في هذا الباب .

وعاش يعقوب بعد أن جمع الله بينه وبين يوسف عليه السلام سبع عشرة سنة ، ومات وله من العمر أكثر من مائة سنة وأمر يوسف أن يسير به إلى فلسطين ويدفنه في المغارة بمجزون وهي مدينة الخليل . وكان عمر يعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة^(٣) .

الحادي عشر : النبي يوسف عليه السلام ، وذكر في القرآن سبعاً وعشرين مرة ، وجاءت سورة كاملة باسمه وهي السورة الوحيدة التي تختص بقصة نبي .

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم^(٤) . وذكر يوسف ستاً وعشرين مرة في سورة يوسف وهي السورة الوحيدة التي اختصت بقصة نبي من الأنبياء منها خمس مرات في آيات متتالية بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ

(١) أنظر الكامل في التاريخ ٤٤/١ .

(٢) سورة يوسف ٩٦ .

(٣) الكامل في التاريخ ٤٤/١ .

(٤) الدر المنثور ٣٦٩/٥ .

إِلَىٰ آبِنَا مِنَّا وَتَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا أَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * أَتَقْتُلُونَا يَوْسُفُ أَوْ
 اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا
 تَقْتُلُوا يَوْسُفَ وَاقْتُلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قَالُوا
 يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١﴾ .

الثاني عشر : أيوب عليه السلام : ورد ذكره في القرآن أربع مرات ،
 ويرجع في نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، واتصف أيوب
 عليه السلام بالصبر ، إذ فقد فجأة أبنائه وأمواله وجاهه وزوجاته ، ولم
 يبق معه إلا زوجة واحدة وأصيب بمرض معد قتل هو الجدري ، وخاف
 قومه من الإقتراب منه .

فانتقل إلى الإقامة في خيمة في الصحراء لسنوات ، ولسانه رطب بذكر
 الله في الليل والنهار ، وفمه مملوء بالشكر له سبحانه ، وكان مواظباً على
 الدعاء ، بصيغ التضرع إلى أن من الله عز وجل عليه ، قال سبحانه
 ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
 فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرَىٰ
 لِلْعَابِدِينَ ﴿٢﴾ .

وعن مجاهد قال : يؤتى بثلاثة يوم القيامة : بالغني ، والمريض ،
 والعبد المملوك ، فيقال للغني : ما منعك من عبادتي؟ فيقول : يا رب ،
 أكثر لي من المال فطغيت . فيؤتى بسليمان عليه السلام في ملكه فيقول :
 أنت كنت أشد شغلاً من هذا؟ .

فيقول : لا ، بل هذا . قال : فإن هذا لم يمنعه ذلك أن عبدني .

(١) سورة يوسف ٧-١١.

(٢) سورة الأنبياء ٨٣-٨٤.

ثم يؤتى بالمریض فيقول : ما منعك من عبادتي؟ فيقول : شغلت على جسدي ، فيؤتى بأيوب في ضربه فيقول : أنت كنت أشد ضراً من هذا؟ قال : لا ، بل هذا .

قال : فإن هذا لم يمنعه ذلك أن عبدني .

ثم يؤتى بالملوك فيقول : ما منعك من عبادتي ، فيقول : يا رب ، جعلت علي أرباباً يملكونني . فيؤتى بيوسف في عبوديته فيقول : أنت كنت أشد عبودية أم هذا ، قال : لا بل هذا قال : فإن هذا لم يمنعه أن عبدني . والله أعلم^(١).

وعاش أيوب (ثلاثاً وتسعين سنة، وأنه أوصى عند موته الى ابنه حومل، وأن الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً وسمّاه ذا الكفل، وكان مقيماً بالشام حتى مات، وكان عمره خمساً وسبعين سنة، فأوصي إلى ابنه عيدان، وأن الله بعث بعده شعيب بن ضيعون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم عليه السلام)^(٢).

وفي أيوب نزل قوله تعالى ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(٣).

الثالث عشر : ذو الكفل وهو من ذرية يعقوب (من سبط يهود بن يعقوب)^(٤)، وذكر في سبب تسميته ذا الكفل أنه تكفل بوجوه من الطاعات فأوفى بها وهي :

الأول : صوم النهار .

الثاني : قيام الليل .

الثالث : أن يكفي قومه أمرهم .

(١) الدر المنثور ٨٩/٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤٤/١ .

(٣) سورة ص ٤٢ .

(٤) الدر المنثور ٢٩٩/٣ .

الرابع : القضاء بين الناس بالعدل .

الخامس : عدم الغضب عند القضاء .

وذكر ذو الكفل في القرآن مرتين ، قال تعالى ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) ، وقال تعالى ﴿وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾^(٢).

وذكر ذي الكفل مع عدد من الأنبياء وفي سورة الأنبياء أمارة على نيله مرتبة النبوة ، وعن الكلبي قال : أول نبي بعثه الله في الأرض ادريس ، وهو اخنوخ بن يرد ، وهو يارد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، ثم انقطعت الرسل حتى بعث نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ بن يارد ، وقد كان سام بن نوح نبياً.

ثم انقطعت الرسل حتى بعث الله إبراهيم نبياً ، وهو إبراهيم بن تارح وتارح هو آزر بن ناحور بن شاروخ بن ارغو بن فالغ ، وفالغ هو فالخ وهو الذي قسم الأرض ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. ثم إسماعيل بن إبراهيم فمات بمكة ودفن بها.

ثم إسحاق بن إبراهيم مات بالشام ، ولوط بن هاران بن تاريح وإبراهيم عمه هو ابن أخي إبراهيم. ثم إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق.

ثم يوسف بن يعقوب ، ثم شعيب بن بوباب بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم.

ثم هود بن عبد الله بن الخلود بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح.

(١) سورة الأنبياء ٨٥.

(٢) سورة ص ٤٨.

ثم صالح بن آسف بن كماشج بن اروم بن ثمود بن جابر بن ارم بن سام بن نوح.

ثم موسى وهارون ابنا عمران بن فاهت ابن لاوي بن يعقوب.

ثم أيوب بن رازخ بن أمور بن ليغزر بن العيص.

ثم داود بن ايشا بن عويد بن ناخر بن سلمون بن بنخشون بن عنادب

بن رام ابن خصرون بن يهود بن يعقوب.

ثم سليمان بن داود.

ثم يونس بن متى من سبط بنيامين بن يعقوب ، ثم اليسع من سبط

روبيل بن يعقوب ، والياس بن بشير بن العاذر بن هارون بن عمران ، وذا

الكفل اسمه عويدياً من سبط يهود بن يعقوب ، وبين موسى بن عمران

وبين مريم بنت عمران أم عيسى ألف سنة وسبعمئة سنة ، وليسا من سبط

واحد.

ثم محمد صلى الله عليه وسلم.

وكل نبي ذكر في القرآن من ولد إبراهيم غير آدم وإدريس ، ونوح ،

ولوط ، وهود ، وصالح ، ولم يكن من العرب أنبياء إلا خمسة : هود ،

وصالح ، وإسماعيل ، وشعيب ، ومحمد ، وإنما سموا عرباً لأنه لم يتكلم

أحد من الأنبياء بالعربية غيرهم ، فلذلك سموا عرباً^(١).

إنما أول نبي هو آدم عليه السلام ، وفيه نصوص عن النبي محمد صلى

الله عليه وآله وسلم وعن مجاهد أن ذا الكفل (رجل صالح غير نبي ، تكفل

لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم له ، ويقضي بينهم بالعدل ، ففعل

ذلك فسمي ذا الكفل)^(٢).

(١) الدر المنثور ٢/ ٢٩٩ .

(٢) الدر المنثور ٧/ ٨٩ .

وفي رواية عن الإمام الحسين عليه السلام أن رجلاً من أهل الشام سأل الإمام علي وهو في مسجد الكوفة اسئلة متعددة منها (سأله عن ستة من الانبياء لهم اسمان فقال : يوشع بن نون وهو ذوالكفل

ويعقوب وهو إسرائيل .

والخضر وهو تاليا .

ويونس وهو ذوالنون .

وعيسى وهو المسيح .

ومحمد وهو أحمد صلوات الله عليهم)^(١).

وأراد الشيطان إغواء ذي الكفل إذ جاءه في هيئة شيخ كبير وفقير ساعة يأخذ ذو الكفل مضجعه للقائلة نهاراً ، إذ كان لا ينام في الليل والنهار إلا تلك النومة ، فدق إبليس الباب فقال ذو الكفل : من هذا ، قال : شيخ فقير كبير مظلوم .

فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه ، قصة لا أصل لها وإنما أراد منعه من القيلولة ، (فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا ، وفعلوا فجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة)^(٢).

والرواح ساعة العصر وآخر النهار ، قال ذو الكفل : إذا رحت فأنني أخذ لك بمحققك ، وجلس ذو الكفل في مجلس القضاء.

وصار ينظر هل يأتيه الشيخ فلم يأت ، وقضى ذو الكفل نهاره لم ينم ، ثم جاء الليل ليقضيه كعادته بالعبادة والصلاة ، وفي اليوم التالي جلس ذو الكفل في مجلس القضاء ليقضي بين الناس ، وهو ينتظر الشيخ الفقير لينظر في ظلامته ، ولكنه لم يره وعندما عاد ذو الكفل إلى بيته ، ووضع رأسه على الوسادة ليأخذ قائلة يتزود بها لقيام الليل ، طُرق الباب.

(١) البحار ٨٠/١٠.

(٢) الكشف والبيان ١٥٥/٩.

ولم يأمر ذو الكفل أحد أفراد أسرته بسؤال الطارق ، إنما نادى بنفسه : من هذا ، لاحتمال أن تكون شكوى ومسألة فلا بد من أن يجيب عليها بنفسه .

فجاءه الجواب : الشيخ المظلوم .

ولم يكذب إبليس إذ كان يقصد أنه ظالم لنفسه بامتناعه الإمتثال لأمر الله بالسجود لأدم ، وإغوائه الناس ، وإيذاؤه لذي الكفل ، قال تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾^(١).

ففتح له ذو الكفل الباب ولم ينهره ، ولم يكتف بالأمر بأن يأتيه في مجلس القضاء إنما سأله : ألم أقل إذا قعدت فاتني ، فاجاب إبليس (إنهم أخب قوم)^(٢) ، أي أخبث قوم (والخب : الخبيث)^(٣).

وهو بهذا صادق إذ أن الكفار والذين يتبعون الشيطان أخبث الناس ، والمؤمن منزّه عن الخبث ، وهل ترويع الآمنين بغير حق من الخبث الجواب نعم ، لذا لا بد من الإبتعاد عنه ، والنتزه عن فعاله .

وقال إبليس : أن قومي إذا عرفوا أنك قاعد للقضاء قالوا بحضرتك : نعطيك حقك ، وإذا قمت من مجلسك جحدوني وكان ذو الكفل يجلس للقضاء في الصباح وعند المساء .

فقال : فانطلق فاذا رحت فاتني ، ولليوم الثاني على التوالي لم يأخذ ذو الكفل القائلة ، فراح وصار ينظر إلى الشيخ ليأتي وينظر في مسأله وشكواه ، ولكنه لم يأت وشق على ذي الكفل النعاس .

(١) سورة ص ٧٥ .

(٢) الكشف والبيان ١٥٥/٩ .

(٣) المزهر ١٧٥/١ .

فرجع إلى البيت ثم عندما حان وقت القيلولة قال لبعض أهله : لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فقد شق علي النعاس وهو يخشى أن يحكم بين الناس والنعاس غالب عليه .
فجاء إبليس ليترك الباب فاستوقفه الذي وكله ذو الكفل فقال له : ما وراءك .

قال : إني أتيت ذا الكفل أمس وذكرت له من أمري ، فقال : لا والله ، لقد أمرنا أن لا يدع أحداً يقربه ، وتوسل إبليس وهو بهيئة البشر للإذن له فلم يؤذن له .

فمال ببصره ورآى كوة في البيت فتسور إبليس منها ، فاذا هو في صحن الدار ، ويدق على ذي الكفل الباب الخارجي ولكن من داخل البيت بحيث يسمع ذو الكفل الطرق .

فنهض ذو الكفل فقال للذي وكله بالباب : يا فلان ، ألم أمرك ، (قال : من قبلي والله لم تؤت ، فانظر من أين أتيت)^(١) ، عندئذ توجه ذو الكفل إلى الباب فوجده مغلقاً لم يفتح ونظر وإذا رجل معه في البيت ، فعرفه حينئذ ذو الكفل .

فقال ذو الكفل له : عدو الله ، أي أنت إبليس ، قال نعم ، اعيتني في كل شيء ، ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه الله (ذا الكفل) لأنه تكفل بأمر فوفى به .

وقريب منه روي عن ابن عباس إذ قال : كان قاض في بني إسرائيل فحضره الموت فقال : من يقوم مقامي على أن لا يغضب؟ فقال رجل : أنا فسمي { ذا الكفل } فكان ليله جميعاً يصلي ثم يصبح صائماً فيقضي بين الناس ، وله ساعة يقلبها فكان بذلك فاتاه الشيطان عند نومه فقال له أصحابه : ما لك ؟ .

قال : إنسان مسكين له على رجل حق قد غلبني عليه . فقالوا : كما أنت حتى يستيقظ . قال وهو فوق نائم : فجعل يصيح عمداً حتى يغضبه . فسمع .

فقال : ما لك .

قال : إنسان مسكين لي على رجل حق . قال : اذهب فقل له يعطيك . قال : قد أبى . قال : اذهب أنت إليه . فذهب ثم جاء من الغد فقال : ما لك؟ قال : ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأساً .

قال : اذهب إليه أنت . فذهب ثم جاء من الغد حين قال فقال له أصحابه : أخرج فعل الله بك تجيء كل يوم حين ينام لا تدعه ينام؟ فجعل يصيح : من أجل أنني إنسان مسكين؟ لو كنت غنياً . . . فسمع أيضاً قال : ما لك ، قال : ذهبت إليه فضر بني .

قال : امش حتى أجيء معك ، فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه نثر يده منه فذهب ففر^(١) وقد جاء إبليس مع كفار قريش إلى معركة بدر لتحريضهم على قتال النبي وأصحابه .

و(عن ابن عباس في قوله { وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين } قال أقبلت غير أهل مكة من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك ، فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد العير ، فبلغ أهل مكة ذلك فخرجوا فأسرعوا السير إليها لكي لا يغلب عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان الله عز وجل وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأخضر نفراً ، فلما سبقت العير وفاتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين يريد القوم ، فكره القوم مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة ،

فأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ فوسوس بينهم ، يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنين ، وأمطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان واشف الرمل من إصابة المطر ، ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم ، وأمد الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة عليهم السلام ، فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وجاء إبليس في جند معه راية في صورة رجال من بني مدلج ، والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، فقال الشيطان للمشركين { لا غالب لكم اليوم من الناس وإنني جار لكم }^(١) فلما اصطف القوم قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فأنصره . ورفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه فقال : يا رب إن تهلك هذه العصابة في الأرض فلن تعبد في الأرض أبداً . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب فأرم به وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه من تلك القبضة فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل عليه السلام فلما رآه إبليس وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته فقال الرجل : يا سراقه أتزعم أنك لنا جار؟ فقال : إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب ، فذلك حين رأى الملائكة^(٢).

الرابع عشر : النبي يونس عليه السلام : وهو يونس بن متى وورد ذكره في القرآن أربع مرات ، منها قوله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ

(١) سورة الأنفال ٤٨.

(٢) الدر المنثور ٤/١٧٤.

الرُّسُلِينَ ﴿١﴾، وعن أنس رفعه (أن يونس حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه في بطن الحوت قال : اللهم { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } (٢)).

فأقبلت الدعوة تحف بالعرش فقالت الملائكة : هذا صوت ضعيف معروف في بلاد غريبة.

فقال : أما تعرفون ذلك ، قال : يا رب ، ومن هو ، قال : ذاك عبدي يونس .

قالوا : عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوه مجابة ، قال : نعم . قالوا : يا رب ، أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء ، قال : بلى . فأمر الحوت فطرحه بالعراء فأثبت الله عليه اليقظة (٣).

واجتماع اليهود والنصارى والمسلمين على أن يونس نبي ، وقد عاش بحدود القرن الثامن قبل الميلاد ، واسمه في التوراة يونان ، ومعناه الحمامة وورد فيها سفر يونان يتعلق أكثره بقصته (وصار قول الرب الى يونان بن امتاي قائلاً.

١: ٢ قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة و ناد عليها لانه قد صعد شرهم امامي.

١: ٣ فقام يونان ليهرب الى ترشيش من وجه الرب فنزل الى يافا و وجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فدفع اجرتها و نزل فيها ليذهب معهم الى ترشيش من وجه الرب.

(١) سورة الصافات ١٣٩.

(٢) سورة الأنبياء ٨٧.

(٣) الدر المنثور ٩٥/٧.

١: ٤ فارسل الرب ريحا شديدة الى البحر فحدث نوء عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر.

١: ٥ فخاف الملاحون و صرخوا كل واحد الى الهه و طرحوا الامتعة التي في السفينة الى البحر ليخففوا عنهم و اما يونان فكان قد نزل الى جوف السفينة و اضطجع و نام نوما ثقيلا.

١: ٦ فجاء اليه رئيس النوتية و قال له ما لك نائما قم اصرخ الى الهك عسى ان يفتكر الاله فينا فلا نهلك^(١).

وعن مجاهد قال : حج البيت سبعون نبيا ، منهم موسى بن عمران عليه عباءتان قطوانيتان ، ومنهم يونس يقول : لييك كاشف الكرب^(٢).

وفي حين ورد ذم لأقوام عدد من الأنبياء فقد أخبر القرآن عن توبة قوم يونس قال تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(٣) ، إذ كشف عنهم الله العذاب بتوبتهم وإنابتهم ، فلما غاب عنهم يونس وأدركوا أن غيابه ومغادرته لهم غضبا في سبيل الله ، خرجوا الى الصحراء ، وأخرجوا معهم النساء والصبيان والمواشي ، ثم فرقوا بين الأمهات وابنائها ، وبين البهائم وولدها ، فاستغاثوا وتضرعوا الى الله (أربعين صباحا ، فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم ، كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم لم يكن بينهم وبين العذاب إلا ميل)^(٤).

وأخرج الحاكم عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هل أدلكم على اسم الله الأعظم ، دعاء يونس { لا إله إلا أنت

(١) موسوعة الكتاب المقدس ٣/٣٠١.

(٢) الدر المنثور ١/٢٤٩.

(٣) سورة يونس ٩٨.

(٤) الدر المنثور ٥/٢٦٩.

سبحانك إني كنت من الظالمين { فأما مسلم دعا ربه به في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك ، أعطي أجر شهيد ، وإن برأ برأ مغفوراً له ^(١) . وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على ثنية فقال : ما هذه ، قالوا : ثنية كذا وكذا . قال : كأني أنظر إلى يونس على ناقة خطامها ليف وعليه جبة من صوف وهو يقول : لبيك اللهم لبيك ^(٢) .

الخامس عشر : النبي شعيب : وهو (شعيب بن ضيعون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم عليه السلام) ^(٣) . ونسب ابن الأثير إلى القليل : أن شعيباً (من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام ، ولكنه ابن بنت لوط ، فجدة شعيب ابنة لوط ، وكان ضرير البصر ، وهو معنى قوله تعالى ﴿وَأَنَّا لَنَرَكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ^(٤) ، أي ضرير البصر) ^(٥) ، ونسبته إلى القليل تضعيف له .

وورد ذكره في القرآن إحدى عشرة مرة ، وفيها بيان لجهاده في دعوته قومه أهل مدين للإيمان ، ومالاقاه من صدودهم ، وورد ذكره مرتين في آية واحدة ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ ^(٦) .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسمي شعيباً خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وهم أصحاب الأيكة وهو الشجر الكثيف

(١) الدر المنثور ٩٧ .

(٢) الدر المنثور ٩٧ .

(٣) الكامل في التاريخ ٤٤/١ .

(٤) سورة هود ٩١ .

(٥) الكامل في التاريخ ٥١/١ .

(٦) سورة الأعراف ٩٢ .

للدلالة على أنهم كانوا بنعمة وسعة في الرزق ، ومع هذا (فَكَانُوا مَعَ كُفْرِهِمْ يَخْسَوْنَ الْكَيْلَ وَالْمَوَازِينَ ، فَدَعَاهُمْ فَكَذَّبُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مَا رَدُّوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا عَتَوْا وَكَذَّبُوا سَأَلُوهُ الْعَذَابَ) (١) . وسيبقى العدل والإحسان حجة ومانع من الإرهاب .

وهل ينفع الخطاب بصيغ البشارة والإنذار وكثرته في تضاؤل الإرهاب واستئصاله ، الجواب نعم .

السادس عشر : موسى عليه السلام : وهو من الرسل الخمسة أولي العزم ، وأكثر الأنبياء ذكراً في القرآن إذ ورد ذكره فيه نحو (١٣٦) مرة ، مع أن القرآن نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتضمن دعوة الناس لاتباعه ونصرتة ، وفيه شاهد على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولزوم إتعاظ المسلمين من قصص الأنبياء وما لاقوه في الدعوة إلى الله .

نعم تتجلى في القرآن كثرة الخطابات والأوامر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنها (قل) الذي ورد في القرآن (٣٣٢) مرة ، كلها متوجهة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله باستثناء قوله تعالى في خطاب إلى موسى عليه السلام ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّىٰ ﴿٢﴾ .

ومن معاني كثرة ذكر موسى عليه السلام في القرآن أنه حمل لواء محاربة الإرهاب ضد فرعون وملئه والسحرة ، كما جاهد لمنع ديب الأَخلاق المذمومة إلى قومه .

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٤٣٤/١١ .

(٢) سورة النازعات ١٨ .

وهل يمكن القول أن من خصائص الرسل الخمسة أولي العزم الدعوة لنبذ الإرهاب ، وبيان قبحه ، ومحاربتة ، الجواب نعم ، لذا قيل الإرهاب لا دين له .

(قيل: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة، وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة، وولد لقاهث يصهر، وولد عمران ليصهر وله ستون سنة. وكان عمره جميعه مائة وسبعاً وأربعين سنة وولد موسى ولعمران سبعون سنة.

وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وأم موسى يوخابد، واسم امرأته صفوراً بنت شعيب النبي^(١)).

وبعد وفاة يوسف عليه السلام بسنوات كثيرة إزداد عدد بني إسرائيل في مصر، فلاقوا أشد البلاء ، وصنوف الإرهاب والإسترقاق من فرعون وملئه (وأخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون أن مولوداً سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر أموراً عظيمة، فجزع لذلك فرعون، وأمر بذبح الأطفال)^(٢)).

ليقص القرآن معجزة نجاه موسى من الذبح بالوحي إلى أمه بالقائه في أليم ، قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾^(٣).

وأليم هو البحر ، والمراد منه في الآية هو نهر النيل ، والمختار أن كان في أوان زيادته وارتفاع مائة وكان النيل يمتلئ ويفيض ماؤه كل عام في

(١) الكامل في التاريخ ٥٥/١ .

(٢) مروج الذهب ١٤/١ .

(٣) سورة القصص ٧ .

النصف من الشهر الثامن وهو شهر آب ولمدة اسبوعين ، ويأتي معه بالظمي والغرين الذي يتراكم على ضفتي النهر عند انحسار الماء فتزدهر الزراعات .

وبعد تمام بناء السد العلي في أسوان سنة ١٩٧٠ امتنع الفيضان في مصر ولكن الطمي لم يعد يصل إليهم ، فصاروا يستعملون الأسمدة في الزراعة. وقد خرج موسى ببني اسرائيل من مصر فرارا بدينهم فلحقهم فرعون وجيشه ، وصار كل من الجيشين يرى الآخر عندئذ سأل مؤمن آل فرعون موسى عليه السلام : يا نبي الله أين أمرت ، قال : البحر ولشدة إيمانه وتصديقه بكل ما يقوله موسى ولقرب جيش فرعون منهم هم باقتحام البحر فمنعه موسى عليه السلام وكان على مقدمة الجيش هارون النبي (فتقدم هارون فضرب البحر، فأبى البحر أن ينفتح، وقال: من هذا الجبار الذي يضربني؟

حتى أتاه موسى فكناه "أبا خالد" وضربه فانفلق) ^(١).

فلم تعمل العصا بيد هارون ، ولم يستجب له البحر وفيه شاهد على انقطاع المعجزة الخاصة بعد وفاة النبي ولأن الله عز وجل ، جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٢)، تفضل وجعل القرآن معجزة عقلية متجددة في كل يوم من أيام الحياة الدنيا .

السابع عشر : هارون النبي : وهو أخو موسى عليه السلام ، وورد ذكره في القرآن تسع عشرة مرة وهو عدد كثير خاصة وأنه صار نبياً بدعاء موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٣).

(١) تفسير الطبري ٥٥/٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء ٤٨.

مما يدل على كثرة عدد الأنبياء بلحاظ الأجيال المتعاقبة ، وصدق قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر عددهم .

إذ ورد عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ، قال : مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً . قلت : يا رسول الله كم الرسل منهم . قال : ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير . قال : يا أبا ذر أربعة سريانيون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وخنوخ وهو إدريس ، وهو أول من خط بقلم ، وأربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونيك ، وأول نبي من أنبياء بني إسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى ، وأول النبيين آدم ، وآخرهم نيك^(١) .

ونعت الخبر بأنه ضعيف ، ولكن ذكره ابن حبان في صحيحه ، وهناك أخبار أخرى تعضده .

الثامن عشر : داود عليه السلام : وهو داود بن أيشي بن عويد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام ، وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة^(٢) ، وقيل هو من نسل يهوذا .

وبين موسى عليه السلام وداود خمسمائة وتسع وسبعون سنة^(٣) ، وورد ذكر داود في القرآن ست عشرة مرة ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتَّيْنِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا ﴾^(٤) .

(١) الدر المنثور ٣/٢٩٨ .

(٢) تفسير البيضاوي ١/٣٢٨ .

(٣) المنتظم ١/١٦٦ .

(٤) سورة النساء ١٦٣ .

وكان داود يعمل بيده ، ويقوم بنسج الدروع ، ويسمى صانعها الزراد

وعن ابن عباس قال : كان آدم عليه السلام حراثاً ، وكان إدريس خياطاً ، وكان نوح نجاراً ، وكان هود تاجراً ، وكان إبراهيم راعياً ، وكان داود زراداً ، وكان سليمان خواصاً ، وكان موسى أجيراً ، وكان عيسى سياحاً ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم شجاعاً جعل رزقه تحت رحمة . وأخرج الحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل عنده : أدن مني أحدثك عن الأنبياء المذكورين في كتاب الله . أحدثك عن آدم كان حراثاً ، وعن نوح كان نجاراً ،

وعن إدريس كان خياطاً ، وعن داود كان زراداً ، وعن موسى كان راعياً ، وعن إبراهيم كان زراعاً عظيم الضيافة ، وعن شعيب كان راعياً ، وعن لوط كان زراعاً ، وعن صالح كان تاجراً .

وعن سليمان كان ولي الملك ، ويصوم من الشهر ستة أيام في أوله ، وثلاثة في وسطه ، وثلاثة في آخره ، وكان له تسعمائة سرية ، وثلاثمائة مهرية ، وأحدثك عن ابن العذراء البتول عيسى . إنه كان لا يجنبى شيئاً لغد ، ويقول : الذي غداني سوف يعشيني والذي غشاني سوف يغديني ، يعبد الله ليلته كلها ، وهو بالنهار يسبح ويصوم الدهر ويقوم الليل كله^(١) . وفي عمل الأنبياء بأيديهم دعوة للناس للكسب بالعمل وبذل الجهد لجني المال الحلال ، وفيه عزوف عن الإرهاب ، وانشغال عنه .

والعمل عنوان للسخط على الإرهاب ، وترفع عن الضعف والكرهية ، ومن شأن العامل في كل زمان أنه يكسب إحترام ورضا الجميع . ومن خصائص الأنبياء الإخلاص في العمل والصبر ، وعدم التعدي والظلم .

التاسع عشر: إلياس : وورد ذكره في القرآن مرتين ، قال تعالى ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١)، ومع أن ذات رسم حرف الياس ، تأتي لليأس فلم يرد لفظ اليأس في القرآن.

وقيل (هو إلياس بن بستي بن فنخاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبي الله (عليه السلام) وهو (النصيح) لأن الله تعالى نسب في هذه الآية الياس إلى نوح وجعله من ذريته ونوح هو ابن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس ومحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته)^(٢). وعن وهب بن منبه قال : خلف بعد موسى في بني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله ، ثم خلف فيهم كالب بن يوقنا يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله.

ثم خلف فيهم حزقيل بن بوري وهو ابن العجوز ، ثم أن الله قبض حزقيل وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ، فبعث إليهم إلياس بن نسي بن فنخاص بن العيزار بن هرون بن عمران نبياً.

ولما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ، وكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له أجان وكان يسمع منه ويصدقه .

فكان إلياس يقيم له أمره ، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه ، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوك متفرقة بالشام كل ملك له ناحية منها يأكلها . فقال ذلك الملك لإلياس : ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلاً ، أرى فلان وفلاناً - يعدد ملوك بني إسرائيل - قد عبدوا الأوثان ، وهم يأكلون

(١) سورة الصافات ١٢٣.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٢٥٧/٥.

ويشربون ويتعمون ما ينقص من دنياهم ، فاسترجع إلياس وقام شعره ثم رفضه وخرج عنه ، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه وعبد الأوثان^(١).
وسياتي مزيد كلام عن الياس في الصفحة التالية .

العشرون : اليسع : وذكر في القرآن مرتين ، قال تعالى في إبراهيم وذريته ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٢).

وورد ذكر اليسع في الآيات أعلاه بين النبي إسماعيل ويونس عليهما السلام وكل واحد منهما نبي رسول مما يدل على علو مرتبة اليسع في درجات النبوة .

وقيل هو (اليسع بن إخطوب بن العجون)^(٣).
ونال اليسع مرتبة النبوة والحكم في بني إسرائيل بعد أن رافق الياس ، وتلقى منه العلوم والتقى له رداءه عندما رفعه الله إليه (قال ابن عباس : أصاب بني إسرائيل ثلاث سنين القحط ، فمر إلياس بعجوز ، فقال لها : هل عندك طعام ؟ فقالت : نعم ، شيء من دقيق وزيت قليل . قال : فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسّه حتى ملأ جرابها دقيقاً وملأ خوابيها زيتاً ،

(١) الدر المنثور ٢/١٢٣ .

(٢) سورة الأنعام ٨٤-٨٦ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٥/٢٥٧ .

فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عندها قالوا : من أين لك هذا؟
 قالت : مرّ بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته ،
 فعرفوه وقالوا : ذلك إيلياس ،
 فطلبوه فوجدوه فهرب منهم .
 ثم إنه آوى ليلة إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له : اليسع
 بن أخطوب وكان به ضرر ،
 فأوته وأخفت أمره ،
 فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به ،
 واتبع اليسع إيلياس فأمن به وصدقه ولزمه ،
 وكان يذهب به حيثما ذهب ،
 وكان إيلياس قد أسنّ وكبر ،
 وكان اليسع غلاماً شاباً .

ثم إن الله سبحانه أوحى إلى إيلياس : إنك قد أهلك كثيراً من الخلق
 ممن لم يعص سوى بني إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والهوام
 والشجر يحبس المطر من بني إسرائيل ، فيزعمون والله أعلم أن إيلياس قال
 : يا ربّ دعني أكن أنا الذي أدعو لهم به ، وآتيهم بالفرج مما هم فيه من
 البلاء الذي أصابهم لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة
 غيرك ، قيل له : نعم .

فجاء إيلياس إلى بني إسرائيل فقال لهم : إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً
 ، وهلكت البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر لخطاياكم ، وإنكم
 على باطل وغرور ، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم
 (تلك) فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون ، وإن هي لم تفعل علمتم
 أنكم على باطل فنزعتم ، ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء .
 قالوا : أنصفت .

فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم يفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء،

ثم قالوا لإلياس (عليه السلام) : يا إلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا. فدعا لهم إلياس ومعه اليسع بالفرج عنهم مما هم فيه ، وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق .

ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم. فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ، ولم ينزغوا عن كفرهم ، ولم يقلعوا عن ضلالتهم ، وأقاموا على حيث ما كانوا عليه ، فلما رأى إلياس ذلك دعا ربه عز وجل أن يريجه منهم ، فقبل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا ، فاخرج فيه إلى موضع كذا ، فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه.

فخرج إلياس ومعه اليسع بن أخطوب ، حتى إذا كان بالموضع الذي أمر ، أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه إلياس ، فانطلق به الفرس ، فناداه اليسع : يا إلياس ، ما تأمرني.

فقذف إليه بكسائه من الجوّ الأعلى ، وكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل ، فكان ذلك آخر العهد به،

ورفع الله سبحانه إلياس من بين أظهرهم،
وقطع عنه لذة المطعم والمشرب،

وكساه الريش،

فكان إنسياً ملكياً،

أرضياً سماوياً،

وسلّط الله تعالى على أجب الملك وقومه عدوّاً لهم،

فقصدهم من حيث لم يشعروا بهم حتى رهقهم،

فقتل أجب ملكهم وأزيب امرأته في بستان مزدكي،

فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما.

ونبأ الله سبحانه بفضلله يسع،
وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل وأوحى إليه وأيده بمثل ما أيد به عبده
إلياس،

فأمنت به بنو إسرائيل،
فكانوا يعظمونه ويستهون إلى أمره،
وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقههم يسع.^(١)
وورد ذكر يسع في التوراة باسم (اليشع).
وأنه أحيى ميتاً، إذ ورد في سفر الملوك الثاني (و كلم يشع المرأة التي
احيا ابنها قائلاً قومي و انطلقى انت و بيتك و تغربي حيثما تتغربي لان
الرب قد دعا بجوع فياتي ايضا على الارض سبع سنين.

٨: ٢ فقامت المرأة و فعلت حسب كلام رجل الله و انطلقت هي و
بيتها و تغربت في ارض الفلسطينيين سبع سنين.

٨: ٣ و في نهاية السنين السبع رجعت المرأة من ارض الفلسطينيين و
خرجت لتصرخ الى الملك لاجل بيتها و حقلها

٨: ٤ و كلم الملك جيحزي غلام رجل الله قائلاً قص علي جميع
العظام التي فعلها يشع

٨: ٥ و فيما هو يقص على الملك كيف انه احيا الميت اذا بالمرأة التي
احيا ابنها تصرخ الى الملك لاجل بيتها و لاجل حقلها فقال جيحزي يا

سيدي الملك هذه هي المرأة و هذا هو ابنها الذي احياه يشع
٨: ٦ فسال الملك المرأة فقصت عليه ذلك فاعطاها الملك خصياً قائلاً

ارجع كل ما لها و جميع غلات الحقل من حين تركت الارض الى الان

٨: ٧ و جاء اليشع الى دمشق و كان بنهدد ملك ارام مريضاً فاخبر و قيل له قد جاء رجل الله الى هنا
 ٨: ٨ فقال الملك لحزائيل خذ بيدك هدية و اذهب لاستقبال رجل الله
 و اسال الرب به قائلاً هل اشفى من مرضي هذا
 ٨: ٩ فذهب حزائيل لاستقباله و اخذ هدية بيده من كل خيرات دمشق
 حمل اربعين جملاً و جاء و وقف امامه و قال ان ابنك بنهدد ملك ارام قد
 ارسلني اليك قائلاً هل اشفى من مرضي هذا
 ٨: ١٠ فقال له اليشع اذهب و قل له شفاء تشفى و قد اراني الرب انه
 يموت موتاً

٨: ١١ فجعل نظره عليه و ثبته حتى خجل فبكى رجل الله
 ٨: ١٢ فقال حزائيل لماذا يبكي سيدي فقال لاني علمت ما ستفعله ببني
 اسرائيل من الشر فانك تطلق النار في حصونهم و تقتل شبانهم بالسيف و
 تحطم اطفالهم و تشق حواملهم
 ٨: ١٣ فقال حزائيل و من هو عبدك الكلب حتى يفعل هذا الامر
 العظيم فقال اليشع قد اراني الرب اياك ملكاً على ارام
 ٨: ١٤ فانطلق من عند اليشع و دخل الى سيده فقال له ماذا قال لك
 اليشع فقال لي انك تحيا
 ٨: ١٥ و في الغد اخذ اللبدة و غمسها بالماء و نشرها على وجهه و مات
 و ملك حزائيل عوضاً عنه^(١).

الحادي والعشرون : النبي زكريا ، و قد جاهد زكريا في دعوة الناس إلى
 الإيمان ، و عندما تقدم به العمر ولم يكن عنده ولد تضرع إلى الله عز وجل
 ليرزقه ولداً تلك الحاجة التي تؤرق كل إنسان خاصة من حرم منها ، لبيان
 النعمة العظيمة على الناس في رزقهم الأولاد ، و أن الذين يحرمون منها فرد

قليل نادر والله أعلم ، ومع هذا الندرة فباب الدعاء مفتوح للناس للرزق بالأولاد والعمل الصالح من أهم أسباب جلب هذه النعمة .
وجاء العلم الحديث لتتضاءل ذات الندرة لبيان أن الدعاء الخاص ينفع الأمة والناس جميعاً .

ترى هل لدعاء زكريا واستجابة الله عز وجل له ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾^(١) من موضوعية بالعلوم الخاصة بعلاج العقم ،
الجواب نعم ، لبيان قوانين من جهات :

الأولى : قانون منفعة دعاء الأنبياء لأنفسهم وأممهم .

الثانية : قانون بقاء دعاء الأنبياء في الأرض .

الثالثة : قانون توثيق القرآن لأدعية الأنبياء من مصاديق قوله تعالى

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

الثاني والعشرون : النبي يحيى بن زكريا ، وقد ورد ذكره في القرآن

خمس مرات ، ومن الإعجاز وإكرام القرآن للأب والابن وزيادة للأب .

ان زكريا ذكر في القرآن سبع مرات ، ويحيى خمس مرات ، وولد يحيى

ببركة دعاء زكريا .

وهل هو من بر الوالد بابنه ، الجواب نعم ، وقد شكر يحيى الله عز

وجل على نعمة ولادته بمعجزة وشكر أبيه باجتهاده بالدعاء لولادته

(١) سورة مريم ٧/٤ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

وراثه النبوة بفضل من الله عز وجل ، قال تعالى ﴿يَا حَيُّ خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ
وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ
جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١).

لقد أكرم الله عز وجل يحيى وأجرى الحكمة على لسانه من صغره إذ
(مرّ بصبيان يلعبون ، فقالوا له : تعال حتى نلعب . فقال لهم : ما للعب
خلقنا) (٢).

وفي رواية : ما للعب خلقت (٣) .

وقال ابن عباس : (من قرأ القرآن قبل أن يحتلم ، فهو ممن أوتي الحكمة
صبيًّا) (٤).

الثالث والعشرون : الرسول عيسى عليه السلام ، وهو من الرسل
الخمسة أولي العزم ، وقد ورد ذكره في القرآن خمسا وعشرين مرة .
ونزل القرآن ببيان ولادته من غير أب بمعجزة من عند الله ، وكلامه في
المهد لتأثير المعجزة ، وجهاده في سبيل الله ، وكان صبره في حياته الخاصة
وزهده معجزة أخرى لعيسى عليه السلام إلى جانب المعجزات الخارقة التي
رزقه الله .

وفي التنزيل حكاية عنه ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِئُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَتِيتُكُمْ بِمَا

(١) سورة مريم ١٢-١٥.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ٦٩/٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢٥١/٩.

(٤) تفسير الثعالبي ٤٤٣/٢.

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ آيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .

ولقد أكرم الله عز وجل مريم وهي أم عيسى وأثنى عليها ، قال تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢) .

الرابع والعشرون : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خاتم الأنبياء والرسل .

وقد ورد ذكره في القرآن أربع مرات ، قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٣) واخترنا الآية أعلاه للملائمتها لموضوع البحث بعد ذكر الأنبياء السابقين .

وجاءت سورة كاملة باسم محمد ، وذكر اسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآية الثانية منها ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٤) .

وذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٤ مرات ، وباسم أحمد في سورة الصف ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي

(١) سورة آل عمران ٤٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٩١ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٤) سورة محمد ١-٢ .

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾.

وصحيح أن عدد مرات ذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن قليل إلا أن كل آيات القرآن تتضمن الإشارة إلى رسالته سواء بالمنطوق أو المفهوم .

لقد أكرم الله عز وجل الناس ببعثة الأنبياء ، وفي بعثة كل نبي إكرام من وجوه :

الأول : إكرام شخص النبي ونيله مرتبة النبوة ، ويحتمل هذا الإكرام جهات :

الأولى : إرادة الإكرام في خصوص أيام النبي ، وبين أهل بيته وأصحابه .

الثانية : إكرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أهل زمانه .

الثالثة : الثناء على النبي بين أهل الدنيا ، ومن أظهر الشواهد عليه ذكرهم وصبرهم وجهادهم في القرآن .

الرابعة : إكرام النبي في الدنيا وحسن جزائه في الآخرة .

ولا تعارض بين هذه الجهات ، وكلها من فضل الله عز وجل على الأنبياء والناس .

الثاني : إكرام أنصار واتباع النبي لتصديقهم بنبوته ، وهذا التصديق حرب على مفاهيم الكفر والضلالة ، وحصن من الإرهاب .

الثالث : بيان الكتب السماوية المنزلة لقانون وهو الأنبياء صفوة البشر .

الرابع : تولي الأنبياء والرسل وظائف التبليغ والدعوة إلى الله مع المشقة والعناد في هذا التبليغ ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

الخامس : عصمة الأنبياء من الزلل والخطأ في التبليغ ومن المعصية والفاحشة وكبائر وصغائر الذنوب فهم دعاة إلى الله في قولهم وفعلهم .
والمنهاج الذي اتبعوه في الحياة والذي يتصف بالصلاح والإصلاح ، فلم يكن الأنبياء فقط صالحين ، إنما كانوا مصلحين وتعدد ذكرهم في القرآن لبيان هذا القانون ، وهو من أسباب تحملهم الأذى الشديد في الدعوة إلى الله ليكرمهم الله عز وجل ويخبر عن قصصهم في القرآن لتبعث كل قصة منها التقوى في نفوس المسلمين والمسلمات من الإرهاب وأهله وإدراك الناس جميعاً قوانين :

الأول : قانون التضاد بين القرآن والإرهاب ، وهو عنوان هذا الجزء من التفسير ، وقد صدر جزءان بخصوصه^(٢).
الثاني : قانون التنافي بين الإيمان والإرهاب .

وستبقى قصة كل نبي مدرسة في الأخلاق الحميدة ، ودعوة للسنن الرشيدة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) وهل تختص هذه الآية بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم أنها شاملة للأنبياء جميعاً .

الجواب هو الثاني ، وتحتمل هذا العظمة أخلاق النبوة وجوهاً :
الأول : التساوي في مراتب العظمة بالنسبة لجميع الأنبياء والرسل .

(١) سورة المائدة ٦٧.

(٢) أنظر الجزء ١٨٤ ، ١٨٥ من هذا السفر.

(٣) سورة ن ٤.

الثاني : العظمة من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متعددة قوة وضعفاً .

الثالث : الرسل أعلى مرتبة في عظمة الأخلاق من الأنبياء .

الرابع : أخلاق الرسل الخمسة أولى العزم أكثر رفعة من غيرهم .

الخامس : أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي الأسمى .
ولا تعارض بين هذه الوجوه بما فيها الوجه الأول ، وإن بدا ظاهراً
تباينه عن الوجوه الأخرى .

فان ضروب الإبتلاء متعددة ، وقد ابتلى الله عز وجل النبي محمداً
بوجوه من الصبر وأفلق فيها .

لذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (ما أؤذي نبي مثل ما
أؤذيت) ^(١) .

لقد أحب الله عز وجل الأنبياء وشكر لهم جهادهم في سبيله وذكرهم
في القرآن ، وفيه ذم للذين كفروا ممن حاربهم وإنذار من الكفر ومحاربة
الأنبياء وشرائعهم أيا كان السبب ، ويجب ألا يكون قيام شخص بالعنف
والإضرار بالناس سبباً للطعن بشريعة أو كتاب سماوي ، ومن إعجاز
القرآن والسنة تحريم الإرهاب ، والمنع منه ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ^(٢) .

وتقدير الآية في الخطاب للمسلمين والمسلمات : أدعوا إلى سبيل ربكم
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلوهم بالتي هي أحسن (ليبان جدال
المسلمين بالأحسن لكل أهل الملل والنحل .

ويدل بالأولوية القطعية على لزوم الإمتناع عن الإرهاب والتفجيرات
والقتل بين المسلمين وغيرهم .

(١) تفسير الرازي ٤٥٤/٢ .

(١) سورة النحل ١٢٥ .

لقد جاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم برسالة سلام إلى أهل الأرض ، ومن خصائص سلامة القرآن من التحريف بقاء هذه الرسالة ، ومضامينها القدسية إلى يوم القيامة .

وأيهما أكثر إكرام الله عز وجل الأنبياء في الدنيا أم في الآخرة ، يحتمل وجوهاً :

الأول : التساوي في مراتب الإكرام في الدنيا والآخرة .

الثاني : إكرام الله للأنبياء في الدنيا أكثر منه في الآخرة ، ففي كل يوم يتلو آلاف المسلمين قصص الأنبياء في الصلاة وخارجها لوجوب قراءة القرآن فيها ، وهو من وجوه إكرام الله عز وجل للأنبياء كل يوم وإلى أن تقوم الساعة للامزمة صلاة المسلمين لأيام الحياة الدنيا .

الثالث : إكرام الله عز وجل للأنبياء في الآخرة أكثر منه في الدنيا .

الرابع : التفصيل بحسب حال الأنبياء والرسل وجهادهم .

والصحيح هو الثالث أعلاه ، والفضل والإكرام من عند الله عز وجل للأنبياء أضعاف إكرامهم في الدنيا ، قال تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(١).

ومما يرزق الله عز وجل الأنبياء في الآخرة الشفاعة على وجوه :

الأول : سؤال الأنبياء الله عز وجل أن يأذن لهم بالشفاعة .

الثاني : تضرع الأمم يوم المحشر كي يأذن الله للأنبياء .

الثالث : توسل الصالحين يوم القيامة لله عز وجل أن يفتح باب الشفاعة .

الرابع : فضل الله عز وجل إبتداء بالإذن بالشفاعة .

الخامس : سؤال الملائكة لله عز وجل أن يشفع الأنبياء لقومهم وأممهم .

السادس : شفاعة الأنبياء أثناء الحساب ، وقبل العبور على الصراط .

السابع : شفاعة الأنبياء لمن رجحت كفة سيئاته على كفة حسناته ، قال تعالى ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَتَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾^(١).

الثامن : توسل الناس وأهل المحشر بالأنبياء ليشفعوا لهم ، ومن معاني قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٢) ورد (عن قتادة عن مأمون بن مالك عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم (عليه السلام) فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله عز وجل بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من هذا المكان فيقول لهم لست هناك.

ويذكر ذنبه الذي أصابه فيستحي ربه من ذلك ولكن أئتوا نوحاً فإنه أول الرسل بعثه الله إلى أهل الأرض،

فيأتون نوحاً فيقول لست هناك ويذكر خطيئته وسؤاله ربه هلاك قومه فيستحي ولكن أئتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتون إبراهيم (عليه السلام) . فيقول : لست هناك ولكن أئتوا موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى (عليه السلام) فيقول : لست هناك،

ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحي من ذلك فيقول أئتوا عيسى عبد الله ورسوله هو كلمة الله وروحه فيأتون عيسى (عليه السلام) فيقول لست هناك ولكن أئتوا محمداً عبداً غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونني فأقوم وأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيت ربي خررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن

(١) سورة الأعراف ٤٦.

(١) سورة الإسراء ٧٩.

يدعني ثم يقول : إرفعك رأسك ثم يقول : قل يسمع وسل تعط واشفع تشفع ،

فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ،

ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت أو خررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ،

ثم قال : إرفع يا محمد رأسك قل يسمع وسل تعطه وإشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة .

ثم أعود إليه الثالثة فإذا رأيت ربي وقعتا وخررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ،

ثم يقال إرفع يا محمد رأسك قل تسمع وسل تعطه وإشفع فشفع فأرفع رأسي فأحمده تحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه الرابعة ،

وأقول يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن .^(١)

التاسع : شفاعة الأنبياء للموحدين الذين قالوا لا إله إلا الله وأدخلهم سوء أعمالهم النار ، بعد أن يعيدهم أهل النار ، ويقولوا لهم أن ليس من فرق بيننا وبينهم (عن أبي سعيد الخدري أنه سئل : هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية شيئاً { ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين }^(٢) ؟ .

قال : نعم ، سمعته يقول : يُخرج الله أناساً من المؤمنين من النار بعدما يأخذ ثقتهم منهم لما أدخلهم الله النار مع المشركين ، قال لهم المشركون :

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٥٥/٨ .

(٢) سورة الحجر ٢ .

ألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا ، فما بالكم معنا في النار؟ .

فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم ، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله ، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا : يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم . فذلك قول الله { ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين }^(١).

قال : فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم ، فيقولون : يا ربنا ، أذهب عنا هذا الاسم ، يأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم.

وأخرج هناد بن السري والطبراني في الأوسط وأبو نعيم ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم أهل اللات والعزى : ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة ، فيبرؤون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه ، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين^(٢).

ولا يختص الإنقاذ من النار بشفاعة الملائكة والأنبياء والصالحين بل ما يأتي بفضل الله ابتداء أكثر وأعظم .

(قال أنس بن مالك : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة)^(٣).

(١) سورة الحجر ٢.

(٢) الدر المنثور ٨١/٦.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٥٧/٨ .

أماكن بعثة الأنبياء

لقد أنعم الله عز وجل على أهل الأرض بالنبوة ، إذ تفضل بعث الأنبياء والرسل من بين الناس ، وفي التنزيل ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

ومن خصائص الأنبياء الهجرة في الأرض ، وأكثر الأنبياء هاجروا وانتقلوا في الأمصار إما إغراضاً عن القوم الكافرين وطلباً للنجاة من كيدهم ، وأما للدعوة العامة ، وتجلي المعجزات للناس ، ومن أماكن بعثة الأنبياء :

الأول : مكة المكرمة ، ولبت فيها عدد من الأنبياء منهم : النبي آدم ، إبراهيم ، إسماعيل عليهما ، محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : عموم الجزيرة العربية ، كل من النبي هود ، صالح ، وشعيب عليهم السلام.

الثالث : بلاد الشام : كل من النبي لوط ، إسحاق ، يعقوب ، أيوب ، داود ، سليمان ، الياس ، اليسع ، زكريا ، يحيى ، عيسى عليه السلام.

الرابع : العراق : إدريس ، نوح ، إبراهيم ، يونس عليهم السلام.

الخامس : مصر : كل من النبي يوسف ، موسى ، هارون .

وأكثر الأنبياء هجرة بين الأمصار إبراهيم وموسى عليهما السلام ، وهما أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن ، إذ ورد ذكر موسى (١٣٦) مرة ، وذكر إبراهيم (٦٩) مرة ، ولا يعلم عدد أماكن بعثة وإقامة الأنبياء في كثرتها إلا الله عز وجل .

قانون صبر النبي على الإستهزاء تأديب وإصلاح

من خصال الأنبياء الصبر ، وهم أئمة الأمم في تحمل الأذى والشدائد وتوثق آيات القرآن صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة إلى الله عز وجل وليس من حصر للآيات التي تتضمن الإخبار عن صبره ، وهذا الصبر على أقسام :

الأول : صبر النبي في تلقي الوحي وتحمل وطأة ثقله ، قال تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١).

الثاني : الصبر في أداء الفرائض والعبادات ، خاصة وأن النبي جاء بها ابتداء فلم يرثها ، ولم ينحصر أداؤها به خاصة ، إنما هو مأمور بتبليغ أهل بيته ودعوة أمته بآدائها ، وتقريبهم إلى منازل الاداء بشرائطه كالوقت وكيفية العبادة .

الثالث : الصبر في التبليغ ، وهو أشق ضروب الصبر ، في ذاته وما يترشح عنه من صدود واستهزاء وأذى الذين كفروا ليكون قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

تأكيداً على وجوب قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتبليغ مع ما يلقاه وأصحابه من الشدائد .

(١) سورة المزمل ٥.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

ومن الشواهد على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :

- الأول : توالي دخول الأفراد في الإسلام .
- الثاني : سعادة وغبطة الذي يدخل الإسلام .
- الثالث : الذين يدخلون الإسلام لا يغادرونه .
- الرابع : دخول الرجال والنساء والشبان والكهول والشيوخ الإسلام .

الخامس : صبر الصحابة على الأذى طاعة لله ورسوله .

السادس : الإزدیاد الطردي في أعداد الذين يدخلون الإسلام من أفراد إلى جماعات إلى أفواج كما يتجلى في سورة النصر وهي آخر سور القرآن نزولاً ، قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ^(١) .

ترى لماذا كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يصبر على الإستهزاء ، فيه وجوه :

الأول : نزول القرآن بالدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتأکید نبوته .

الثاني : لحوق الخزي بالذين كفروا ليكون هذا الإستهزاء وبالا على الذين كفروا في الدنيا والآخرة .

الثالث : انقطاع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للتسبيح والذكر ، واقامة الصلاة في أوقاتها ، ومن الإعجاز في تشريع الصلاة خمس مرات في اليوم تلقي أذى المشركين بالصبر ، وعدم

الرد بالمثل ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ^(١) ، والبشارة بالفرج مدد وعون للتحلي بالصبر.

الرابع : صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند إستهزاء المشركين بيان للكيفية التي يتلقى فيها الإرهاب الفكري.

الخامس : الإستهزاء والإستخفاف سلاح لبعث الوهن في الطرف الآخر ، وصرف الناس عنه ، خاصة إذا كان المستهزاء ذا شأن وجاه ومال كما في قريش إذ كانوا أمة إجتمعت على الإستهزاء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآيات التنزيل ، فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٢).

وليس من حصر لصيغ ووجوه كفاية الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام وهو على وجوه :

الأول : هلاك بعض المستهزئين .

الثاني : إنشغال بعض الكفر بما ينزل بهم من البلاء.

الثالث : دخول طائفة من المستهزئين الإسلام ، وحسن إسلامهم.

الرابع : تولي المسلمين وأرباب العقول جدال المستهزئين والإحتجاج عليهم.

الخامس : إغراض الناس عن المستهزئين بفضل من الله.

وعن الضحاك عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة قال : إن محمداً كاهن ، يخبر بما يكون قبل أن يكون وقال أبو جهل : محمد

(١) سورة الحجر ٩٧.

(٢) سورة الحجر ٩٥.

ساحر؛ يفرق بين الأب والابن . وقال عقبة بن أبي معيط : محمد مجنون ، يهذي في جنونه . وقال أبي بن خلف : محمد كذاب . فأنزل الله { انا كفيناك المستهزين }^(١) فهلكوا قبل بدر .

وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه ، عن ابن عباس ، أن المستهزين ثمانية :

الأول : الوليد بن المغيرة .

الثاني : الأسود بن المطلب .

الثالث : الأسود بن عبد يغوث .

الرابع : العاص بن وائل .

الخامس : الحارث بن عدي بن سهم .

السادس : عبد العزى بن قصي ، وهو أبو زمعة ، وكلهم هلك قبل بدر بموت أو مرض .

السابع : الحارث بن قيس من العياطل^(٢) .

الثامن : أبو هبار بن الاسود .

لقد تمادى الذين كفروا بالإستهزاء وقادهم إلى حمل السلاح ضد النبي ومحاربتة في معركة بدر ، خلقوا الخسارة والخزي ، وهو من الفساد في الأرض الذي حذر منه الملائكة كما ورد في التنزيل ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٣) ، ومن سوء العاقبة قال تعالى

(١) سورة الحجر ٩٥ .

(٢) الدر المنثور ٦/١١٤ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

ومن مكارم الأخلاق التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمتناعه عن الإستهزاء بالآخرين ليدل بالأولية القطعية على عدم إيذاء الناس والإضرار بهم .

قانون علم الحديث

وهو العلم الذي يختص بالسنة النبوية وسيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويشمل :

الأول : السنة القولية .

الثاني : السنة الفعلية .

الثالث : السنة التقريرية .

وقد أضفنا أقساماً أخرى للسنة النبوية من باب البيان والتفصيل وهي :

الرابع : السنة التدوينية .

الخامس : السنة الدفاعية .

السادس : السنة الحكمية .

وسمي علم الحديث في مقابل علوم القرآن ، ليدخل في علم الحديث تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن^(٢).

وعلم الحديث هو المصدر الثاني للتشريع لأنه شعبة من الوحي .

(١) سورة النمل ١٤.

(٢) صدر لنا قبل سبع وعشرين سنة جزءان بعنوان (تفسير النبي (ص) للقرآن ، بتوثيق في دار الكتب والوثائق ببغداد رقم ٤٩٠١٠٤ في سنة ١٩٩٢ ، والرقم ٧٠٢٤١٤ في سنة ١٩٩٢ .

ويسمى (علم مصطلح الحديث) و(علم أصول الحديث) كما يسمى (علم المصطلح) على نحو الاختصار وليس بتمام هذا الاختصار لما فيه من العموم وعدم البيان.

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :
نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير
فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب
مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن
دعوتهم تحيط من ورائهم^(١) ، ومعنى نضر أي سؤل النضارة والنعمة
والغبطة.

ويقسم علم الحديث إلى قسمين :

الأول : علم الحديث رواية ، هو العلم الذي يعتني بطرق نقل أقوال
وأفعال وتقريرات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحريرها ، ومنه كتب
الحديث النبوية التي تذكر النصوص والأخبار عن النبي ، وضبط الحديث
، وتحرير ألفاظه .

الثاني : علم الدراية ويسمى علم مصطلح الحديث ، وأصول الحديث
وعلم الحديث ، ويتعلق هذا العلم بقواعد تعرف بها أحوال السند والمتن
من حيث القبول والرد ، وحال الراوي والمروي ، وقواعد للوصول إلى
قبول الحديث أو رده.

ويمكن القول أن النسبة بين علم الدراية والرواية هي العموم
والخصوص المطلق فالرواية أعم ، أو أن النسبة بينهما كالنسبة بين النحو
والإعراب.

فعلم الدراية تمحيص للحديث ، وكان الشافعي يقول (لولا اهل المنابر لخطبت الزنادقة على المنابر وقال ايضا اهل الحديث في كل زمان كالصحابه في زمانهم)^(١).

ويتعلق علم الرواية بخصوص نقل الحديث ورجال اسناده ، أما علم الدراية فيتعلق بالحديث والمتمن من جهة الصحة والدلالة ، وهل تدخل في الدراية موافقة الحديث لآيات القرآن ، الجواب نعم.

وعلم الحديث ثروة شرعية وأخلاقية في أيدي الأجيال المتعاقبة من الناس ، وقد بذل العلماء جهوداً مضنية في متن وسند الحديث ، وسافروا في البلدان لضبط حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعيين الصحيح والحسن منه ، والإخبار عن الضعيف ، وإسقاط وإزاحة الموضوع منه ، وتحروا عن تراجم السند في علم الجرح والتعديل .

ويرجع المفسر والفقيه والأصولي والكلامي إلى علم الحديث ويقتبس منه ، إن العناية الفائقة بعلم الحديث شاهد على سعي العلماء لمنع الظلم والإرهاب .

وفيه شاهد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالسماحة والرفافة ، وليس بالشدة والعنف ، (عن سعد بن أبي وقاص قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا له : إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا نأمنك وتأمنا . قال : ولم سألتهم هذا؟ قالوا : نطلب الأمن ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾^(٢).

(١) عبد الرحمن العراقي الشافعي ٧٢٥-٨٠٦ هجرية عراقي الأصل ، مصري المولد ، ولد على شاطئ النيل ، وتوفى والده وهو في الثالثة من عمره / المستخرج على المستدرك ١٣/١ .

(٢) سورة التوبة ١٢٨.

وأخرج ابن سعد عن أبي صالح الحنفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله رحيم يحب الرحيم ، يضع رحمته على كل رحيم . قالوا : يا رسول الله إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا وأزواجنا . قال : ليس كذلك ولكن كونوا كما قال الله { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم }^(١)^(٢).

ليبان إتصاف سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرفاة والرحمة مع الناس ، وما فيه الصلاح والإصلاح .

ومدرسة الحديث علم حاضر في كل من :

الأول : أحكام الشريعة ، فالسنة المصدر الثاني للتشريع .

الثاني : علوم التفسير والتأويل .

الثالث : الإجتماع والسنن الحميدة في الصلوات .

الرابع : الأخلاق ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) ،

الخامس : التأريخ .

السادس : علوم الغيب .

السابع : حال الحرب والدفاع .

الثامن : الجدل والإحتجاج .

التاسع : الإحسان والعفو .

العاشر : قصص الأنبياء والصالحين ، فما في السنة بيان وتفصيل لما ورد

في قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قُلُه لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٤).

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) الدر المنثور ٢٠٢/٥ .

(٣) سورة ن ٤ .

(٤) سورة يوسف ٣ .

الحادي عشر : التنزه عن الإرهاب والنهي عنه .

الثاني عشر : منازل الآخرة ، وسبل الفوز باللبث الدائم في النعيم .

قانون أداء الصلاة واقية من الإرهاب

من خصائص القرآن تجلي ملائحته لكل زمان ، وحضور مفاهيمه عند كل واقعة بما يجعل الآية القرآنية تتضمن الإخبار والتدارك والعلاج ، وتفيض الآية القرآنية بالدلالات والبراهين في كل زمان ، فيبين قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) منافع العبادة في كل زمان وكيف أنها واقية من الضرر الخاص والعام ، وحينما أخبر الله عز وجل عن جعل العبادة علة لخلق الناس فإنه سبحانه يهيئ أسباب ومقدمات العبادة ، ويزيح المانع الذي قد يحول دونها ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ، إذ يجعل الله عز وجل الناس يؤدون الفرائض العبادية بسعة ومندوحة لذا ترى أماكن العبادة في كل زمان يعتنى بها عناية فائقة ، وحالها وهيئتها أفضل مما حولها من البيوت والمحال ، كما يلجأ الناس إليها طلباً للأمن والأمان ، وهو من رشحات قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٣) .

وتتقوم العبادة في كل زمان وعند أهل الملل بالصلاة ، وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدين خمس لا يقبل الله منه شيئاً دون شيء : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والحياة بعد الموت ، هذه واحدة . وصلاة الخمس عمود الدين ، لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلاة .

(١) سورة الذاريات ٥٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٣) سورة النور ٣٦ .

والزكاة مطهرة من الذنوب ، لا يقبل الله الإيمان ولا الصلاة إلا بالزكاة ، فمن فعل هؤلاء .

ثم جاء رمضان فترك صيامه متعمدا لم يقبل الله منه الإيمان ، ولا الصلاة ولا الزكاة إلا بالصيام .

فمن فعل هؤلاء الأربع ، ثم تيسر له الحج فلم يحج أو يحج عنه بعض أهله أو يوصي بحجه لم يقبل الله منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة ولا الصيام إلا بالحج ، لأن الحج فريضة من فرائض الله ، ولن يقبل الله شيئا من الفرائض بعضها دون بعض^(١).

وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث أعلاه أن الصلاة عمود الدين ، لإرادة مطلق الملل السماوية إذ تركز في وجودها على الصلاة لأنها نوع تعاهد للملل والأديان ، وقال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢) ، لبيان أن الصلاة حرب على الإرهاب ، وزاجر عن الكراهية ، وتنزه عن الكدورة والبغضاء .

لقد أحب الله عز وجل الناس واختار لهم الخلافة في الأرض ، وهداهم إلى سبل تعاهدها بالصلاة التي تنشر مفاهيم المودة والرافة بين الناس ، وهي سبب نزول البركة .

ومن الإعجاز في أحكام الصلاة وجوب قراءة القرآن في كل ركعة من الصلاة ليكون المسلم في رياض نفحات القدس وبما يشغله عن إيذاء غيره ، إذ يتدبر في آيات القرآن ، وآيات الوعد والوعيد .

(١) ابن بطّة / الإبانة الكبرى ٢/٢٥٠.

(٢) سورة العنكبوت ٤٥.

وهل أداء الناس الصلاة من عمومات قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١)، الجواب نعم .

فمن إكرام الله عز وجل للناس أداؤهم الصلاة ، وفيه تفضيل لهم ، وباب للأجر والثواب وحسن الإقامة في الآخرة ، ومن الإعجاز أن العبد يؤدي الصلاة فينزل الخير والبركة عليه وعلى غيره من الناس ، فلا يصح أن يكون المصلي نفسه سبباً لإيذاء غيره الذي يتنفع بفضل الله عز وجل بواسطته .

ومن الإعجاز في الصلاة وظيفتها في الصرفة عن الإرهاب أمور :
الأول : وجوب الصلاة وجوباً عينياً على كل ومسلمة خمس مرات في اليوم الواحد .

الثاني : إنبساط وجوب الصلاة على ساعات الليل والنهار ، قال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْنَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذُكِّرُوا لِّلذَّاكِرِينَ﴾^(٢) .

الثالث : عدم صحة الصلاة قبل حلول وقتها ، فلا تصح صلاة الصبح قبل طلوع الفجر الصادق ، نعم هناك صلاة نافلة الليل ، وما فيها من الثواب العظيم ، وهي حاجب دون الهم بالسوء والإضرار بالغير ، قال تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٣) .

(١) سورة الإسراء ٧٠ .

(٢) سورة هود ١١٤ .

(٣) سورة الإسراء ٨٩ .

الرابع : وجوب قراءة القرآن في كل ركعة من الصلاة ، وتملي هذه القراءة على المسلم التدبر والتفكير في معاني ودلالات آيات القرآن ، ومن الإعجاز في المقام عدم الإكتفاء بقراءة آية واحدة أو آيتين فلا بد في كل ركعة من قراءة سورة الفاتحة وسورة أو ثلاث آيات من القرآن ليبقى القرآن غصاً طرياً معصوماً من الضياع والتحريف .

وهذه العصمة أمن وسلامة من الإرهاب أي أن قوله تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١) رحمة متجددة بالناس وحاجة لمنع الفتن والإقتال ، وهو تأديب للمسلمين والناس جميعاً بلزوم إجتناّب الإرهاب لأن القرآن يدعو إلى الألفة والتراحم ، ويبعث النفرة في النفوس من سفك الدماء ، ومن الإرهاب .

الخامس : المواظبة على حضور صلاة الجماعة والجمعة شاهد وأمانة ظاهرية على العدالة ، وفيه تأديب للنفس بالتقيد بالسنن الجهادية العامة التي تطهر النفس الشهوية والغضبية ، وتمنع من التعدي والظلم .

السادس : من الإعجاز في تقييد الصلاة بأوقات مخصوصة جعل المسلم يترقب أوان الصلاة وينتظر حلوله لأداء الصلاة وإذا ما حل يحاكي نفسه كيف يؤديها ويتدارك التزامها بينها وبين أعماله وحاجاته الأخرى بأسباب الترجيح بينها وبين الصلاة التي هي صاحبة الوقت الأصلي عند حلوله لقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) .

(١) سورة فصلت ٤٢.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

وبين هذا القانون والقانون التالي عموم وخصوص مطلق إذ يختص القانون التالي بالصلوات اليومية الخمسة ، أما هذا القانون فيشمل وجوهاً وقوانين :

الأول : قانون فرض الصلاة .

الثاني : قانون صلاة الأنبياء .

الثالث : قانون الصلاة في الكتب السماوية السابقة .

الرابع : قانون صلاة أتباع الأنبياء .

الخامس : قانون مصاحبة الصلاة لوجود الإنسان في الأرض .

السادس : قانون صلاة العبد أيام التكليف .

السابع : قانون وجود أمة مؤمنة في كل زمان تتعهد الصلاة ،

قال تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١).

وكل فرد من هذه القوانين مدرسة في إصلاح النفوس ، ودعوة للألفة بين الناس ، وتذكير بوجوب عبادة الله ونبذ الضعف والإرهاب .

و(عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : في قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٢) ، قال : من شهد أن لا إله إلا

الله وخلع الأنداد وشهد أنني رسول الله ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٣) ، قال : هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بمواقيتها^(٤).

(١) سورة النساء ١٠٣.

(٢) سورة الأعلى ١٤.

(٣) سورة الأعلى ١٥.

(٤) الدر المنثور ١٠/٢٤٢ .

قانون أداء الصلوات الخمس زاجر عن الإرهاب

لقد صاحب فرض وأداء الصلاة الإنسان من بدايات عمارته الأرض وهي الجامع المشترك بين الموحدين وأتباع الأنبياء ، وكل أمة تتعاهد صلاتها ، وتدرك أنها فرض واجب .

والصلاة هي الركن الثاني في الإسلام بعد النطق بالشهادتين والإجماع على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه كانوا يؤدون الصلاة وهم في مكة قبل الهجرة النبوية الشريفة ، وفي أوان فرض الصلاة وجوه :

الأول : الملازمة بين البعثة النبوية وفرض الصلاة .

الثاني : كانت الصلاة المفروضة ركعتين قبل طلوع الشمس ومثلها قبل غروبها .

الثالث : عند معجزة الإسراء والمعراج ، وفيه نص .

(وقال ابن إسحاق : ثم إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين فرضت عليه الصلاة يعني في الإسراء فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء فتوضأ جبريل ومحمد ينظر فوضأ وجهه واستنشق وتمضمض ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبين ونضح فرجه ثم قام يصلي ركعتين بأربع سجادات .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أقر الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحب من أمر الله تعالى فأخذ بيد خديجة ثم أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل ثم ركع ركعتين وأربع سجادات)^(١).

الرابع : كانت أول الصلاة ركعتين ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعاً فصارت سنة وأخرى للمسافر ركعتين ، لبيان ملازمتها للبعثة النبوية.

(١) تفسير القرطبي ١٠/١٨٠.

والمختار أن فرض صلاة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات وحي وأمر من عند الله سبحانه .

الخامس : الصلاة ركعتين ، وفي ليلة الإسراء نزل الأمر بتمام الصلوات الخمس ، وقد ورد النص بفرضها في حديث الإسراء ، وقال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

وفي حديث أنس بن مالك عن الإسراء (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ف فرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى.

فقال: ما فرض الله على أمتك؟

قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت ﴿فوضع شطرها.

فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها.

فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك.

فرجعت فوضع شطرها.

فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك.

فراجعته ﴿

فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لديّ. فرجعت إلى

موسى .

فقال: ارجع إلى ربك. قلت: قد استحييت من ربي. ثم انطلق بي حتى

انتهى إلى سدره المنتهى)^(٢).

(١) تفسير ابن كثير ١٨/٥.

(٢) سورة الإسراء ١.

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه في أذى شديد وهم في مكة قبل الهجرة ، ويلاقون الإستهزاء والإضطهاد والتعسف من قبل قريش ، ولكن هذه الحال لم تمنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين والمؤمنات من أداء الصلاة فقد كانت مرآة الإسلام ، وشعار الدعوة إلى الله ، وهي حرب على الإرهاب ، ليكون من أسرار تشريعها نشر مبادئ السلام والألفة والمودة بين الناس ، وفيها تعاهد لسنن النسيج الإجتماعي .

وقيل أن قريشاً كانت تعرف الصلاة ركعتين فلم تنكر صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها ، ولا دليل عليه إنما كانت قريش تنكر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاته هو وخديجة والإمام علي عليه السلام ، وكانوا يؤذونه قبل وأثناء وبعد الصلاة ، ومن وجوه سكوتهم عنه أنه كان يؤديها في أيام الأشهر الحرم بمرأى ومسمع من وفد الحاج ، فيكون أداء الصلاة دعوة للناس للإسلام .

وعن عفيف الكندي وهو أخو الأشعث بن قيس الكندي لأمه قال (كان العباس بن عبد المطلب لي صديقاً وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم فبينما أنا عند العباس بن عبد المطلب بمنى فاتاه رجل مجتمع فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قام يصلي فخرجت امرأة فتوضأت وقامت تصلي ثم خرج غلام قد راهق فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلي .

فقلت ويحك يا عباس ما هذا قال هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله بعثه رسولا وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه^(١) وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد قد تابعت على دينه قال قال عفيف بعد ما أسلم ورسخ الاسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعاً^(٢) .

(١) أي أن أهل البيت وعامة الناس يسلمون بأن الإمام علي عليه السلام قد تابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام وأداء الفرائض عن إدراك ، وهم يعدونه رجلاً ، وجاء ذكر متابعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث

وبخصوص عقبة بن أبي معيط عندما وقع في الأسر يوم بدر قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمن حوله من أصحابه من المهاجرين والأنصار (أتدرون ما صنع هذا بي ؟

جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي^(٢).

وهل كانت قراءة سورة الفاتحة واجباً من أول فرض الصلاة أم فرضت قراءتها فيما بعد خاصة وأنها ليست أول سورة أنزلت من القرآن ، الصحيح أن سورة الفاتحة مكية ، وهي من أوائل سور القرآن نزولاً ، أي أنها كانت نازلة قبل ليلة الإسراء .

لقد بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير قبله إلى المدينة ليعلم أهلها أحكام الإسلام ويتلو عليهم آيات القرآن ويصلي جماعة بالمسلمين ، وهو أول سفير في الإسلام ، وهل بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمفرده .

الجواب لا ، إنما بعثه مع النفر الاثني عشر الذين حضروا بيعة العقبة الأولى (قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين)^(٣).

وهل هاجر مصعب بن عمير بالصلوات الخمسة أم أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي هاجر بها إلى المدينة .

أعلاه قبل متابعة خديجة له .

(١) تاريخ الطبري ٥٧/٢.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤٧٣/٢.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١٨٠/٢.

المختار هو الأول ، فلم ترد أخبار عن الأنصار أنهم صلوا ركعتين إلى أن جاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا بالإضافة إلى أن مصعب بن عمير أقام صلاة الجمعة في المدينة ، وهي فرع الصلوات الخمسة وتماهما .
وورد ذكر الصلوات الخمس في القرآن تصريحاً وبياناً وتلميحاً ، قال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النِّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾^(١).

والمراد من إقامة الصلاة إتمام ركوعها وسجودها ، وأركانها ، وما فيها من الواجبات ، وقال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢) وتقدير قوله تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ﴾ أي أقم صلاة الظهر عند زوال الشمس عن كبد السماء .

ويتوجه الخطاب في الآية أعلاه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد أجيال المسلمين من الرجال والنساء ، ليكون أوان أداء الصلاة مناسبة للتزهد عن الأخلاق المذمومة وعن الظلم والتعدي وأظهر ضروره الإرهاب وسفك الدماء .

وليس من قانون يضبط سلوك الناس مثل أداء الصلاة خمس مرات ، والتوجه فيها إلى ذكر الله بأفعال مخصوصة تكرر كل يوم ، ومن الإعجاز فيها التضاد بين هذا التكرار والملل ، فلا يصل الملل أو الضجر إلى نفس المسلم بل يكون هذا التكرار شاهداً على الإعجاز في أداء المسلم للصلاة ، وبعث الشوق في نفسه لأدائها ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

(١) سورة هود ١١٤.

(٢) سورة الإسراء ٧٨.

طَرَفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا ﴿١﴾

وعن الإمام علي عليه السلام (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لما نزلت هذه الآية { ألا بذكر الله تطمئن القلوب } ^(٢) قال : ذاك من أحب الله ورسوله ، وأحب أهل بيته صادقاً غير كاذب ، وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً ، ألا بذكر الله يتحابون) ^(٣).

(قال جابر بن عبد الله : دعوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : أخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس).

وعلى هذا التأويل تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها،
فدلوك الشمس صلاة الظهر والعصر.
وغسق الليل صلاتا العشاء.

وتصديق هذا التفسير إن جبرئيل (عليه السلام) حين علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيفية الصلاة إنما بدأ بصلاة الظهر.
وروى محمد بن عمار عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : جاءني جبرئيل صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى صلاة الظهر حين زاغت الشمس ثم جاءني فصلّى العصر حين كان ظل كل شيء مثله،

ثم صلى بي المغرب حين غربت الشمس ثم صلى بي العشاء حين غاب الشفق ثم جاءني فصلّى بي الصبح حين طلع الفجر،

(١) سورة هود ١١٤.

(٢) سورة الرعد ٢٨.

(٣) الدر المنثور ٦/٦.

ثم جاءني في الغد فصلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله ثم صلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى بي المغرب حين غربت الشمس ثم صلى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل ثم صلى بي الصبح حين أسفر ثم قال : هذه صلاة النبيين من قبلك فالزمهم^(١). والشفق بقية أثر الشمس وضوء النهار واختلاط وتداخل سواد الليل معه و(ساعات الليل : الشفق

ثم الغسق
ثم العتمة
ثم السدفة
ثم الفحمة
ثم الزلة
ثم الزلقة
ثم البهرة
ثم السحر
ثم الفجر
ثم الصبح
ثم الصباح^(٢).

مما يدل على أن الصلوات الخمسة هي صلاة الأنبياء السابقين لبيان قانون وهو مصاحبة التقوى الزجر عن الإرهاب لوجود الإنسان في الأرض ، ويتصف هذا الزجر بأنه عبادة محضة لله عز وجل وتنزهه عن الظلم وسفك الدماء.

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٥١/٨.

(٢) فقه اللغة ٧١/١.

قال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾^(١).

وقد ذكر الله عز وجل الصلاة ، والأمر بها بقوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ﴾^(٢) ولم يثبت القول بأن الواجب من الصلاة كان صلاتين :

الأولى : الصلاة قبل طلوع الشمس .

الثانية : الصلاة قبل الغروب .

ثم فرضت الصلوات الخمسة ، فلا دليل على هذا القول ولا تحتمله الآية أعلاه خاصة وأنها نزلت في المدينة ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون يؤدون الصلوات الخمسة ثم أن المراد من قبل غروبها أي صلاة الظهر والعصر ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٣) ومن معاني الجمع بين الآيتين اختصاص الوقت بين زوال الشمس عند الظهر إلى ما قبل الغروب بصلاة الظهر والعصر . ويقعان في النصف الثاني والأخير من النهار ، وتختص صلاة الظهر بأوله ، وصلاة العصر بآخره .

وهذه السعة في وقت أداء الصلاة جماعة وتفريقاً أمان للمسلمين والناس جميعاً من الإرهاب ومفاهيمه ومقدماته ، وبرزخ دون الاجتماع والتوافق عليه ، لأنه ضد العبادة والذكر والتسبيح ، وهو باعث على القلق

(١) سورة هود ١١٤.

(٢) سورة هود ١١٤.

(٣) سورة الإسراء ٧٨.

والغضب والإقدام على الإضرار بالنفس والغير ، بينما قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُ
اللَّهُ تَطَهَّرُوا الْقُلُوبَ﴾^(١).

قانون أوان الفجر الصادق

من أجل معرفة الفجر الصادق لابد من تحديد هيئة الفجر الكاذب الذي يسبقه ورؤيته وكأنه مقدمة للفجر الصادق ، وقد يسبقه بنصف ساعة أو أكثر بحسب فصول السنة كما أنه لا يختفي حالما يبدأ الفجر الصادق بل تختفي إضاءته تدريجياً عندما يأخذ الفجر الصادق بالإشراق واللمعان. والفجر الكاذب ضوء أبيض اللون يكون على هيئة يشبه ذنب السرحان^(٢) ، ويكون عمودياً بأن يضيق ضوءه كلما ارتفع في السماء ، ولا يرى إلا في مناطق مفتوحة ومظلمة وبعيدة عن أضواء المدينة أو القرية ، وفي أوقات ليس فيها القمر وفي قوله تعالى ﴿كُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٣).

قيل أن الخيط الأبيض هو الفجر الكاذب وهو بياض يلوج في الأفق كذنب السرحان ، أما الخيط الأسود ، فهو سواد يأتي بعد بياض الفجر الكاذب فينسخه .

وهو وهم وخلاف المعنى الظاهر للآية وتأويلها ، انما المراد من الخيط الأبيض الفجر الصادق ، والفجر هو لمعان شائب ضوء اشعاع الشمس أفقياً بما ينسخ سواد الخيط الأسود ويعم البياض الأفق. و(عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفجر فجران : فأما الفجر الذي يكون كذنب السرحان فلا تحل الصلاة فيه

(١) سورة الرعد ٢٨.

(٢) السرحان : الذنب.

(٣) سورة البقرة ١٨٧.

ولا يحرم الطعام ، وأما الذي يذهب مستطيلاً في الأفق فإنه يحل الصلاة ، ويحرم الطعام^(١).

فلم يسمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفجر الكاذب إنما سماه كذب السرحان وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢). وبيان نكتة وهي أن الفجر الابتدائي العمودي هو نعمة من الله وهو واقع حقاً فلا يصدق عليه أنه كاذب ، ولكنه ليس علامة للصلاة ، وليس هو الفجر الحقيقي الذي يتعقبه طلوع الشمس ويظهر الفجر الكاذب عند الزاوية (١٨).

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه صلى الصبح بالناس ثم قال : الآن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود^(٣).

وذكر أن الآية نزلت في رجل من الأنصار اسمه (أبو قيس صرمة بن أنس بن أبي صرمة بن ملك بن عدي النجار ، وذلك إنه ظل نهاره يعمل في أرض له ، وهو صائم ، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر وقال : قدمي الطعام .

وأرادت المرأة أن تطعمه عشاءً سخناً ، وأخذت تعمل له سخين . وكان في الصوم الأول من صلى العشاء الآخرة أو نام ، حرم عليه الطعام والشراب والجماع .

فلما فرغت من طعامه إذا هي به قد نام ، وكان متداعياً وكلّ فايقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى أن يأكل .

(١) المستدرك على الصحيحين ١٩١/٢.

(٢) سورة ن ٤.

(٣) المحرر الوجيز ٢٠٦/١.

وأصبح صائماً مجهوداً ، فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه ، فلما أفاق ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله قال : يا أبا قيس مالك أمسيت طليقاً.

قال : ظللت أمس في النخيل ونهاري كله أجز بالحري حتى أمسيت ، فأتيت فأرادت إمرأتي أن تطعمني شيئاً سخناً فأبطأت علي ، فنمت فايقظوني وقد حرم علي الطعام والشراب .

فطويت وأمسيت وقد أجهدي الصوم ، فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى {وَكُلُوا} يعني في ليالي الصوم واشربوا فيها ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾^(١) ، أي بياض النهار وضوءه من سواد الليل وظلمته ،

قال الشاعر :

الخيط الأبيض وقت الصبح منصدع .. والخيط الأسود لون الليل مكموع
وإنما سمي بذلك تشبيهاً بالخيط؛ لأبتداء الضوء والظلمة لامتدادهما.
وقال أبو داود :

فلما اضاءت لنا غدوة ولاح من الصبح خيط أنارا)^(٢).

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن أو قال ينادي ليرجع قائمكم وينبه نائمكم وليس الفجر أن يقول هكذا وجمع يحى كفيه حتى يقول هكذا). ومد يحى إصبعيه السبابتين (أن يقول هكذا) مستطيلاً غير منتشر وهو الفجر الكاذب (حتى يقول هكذا) يصير مستطيلاً منتشراً في الأفق ممدوداً من الطرفين اليمين والشمال وهو الصبح الصادق^(٣).

(١) سورة البقرة ١٨٧.

(٢) الكشف والبيان ٣٥٠/١.

(٣) صحيح البخاري ٦٤٧/٦.

ويسمى الفجر العمودي الكاذب في علم الفلك الضوء البروجي (zodiacal light) ، والبروجي أي في دائرة البروج .
والظاهر أنه لم يرد لفظ (الفجر الكاذب) ولا لفظ الأذان الأول وأذان الإعلام عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه كان يسميه بياض الأفق المستطيل .

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿الْم تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ (١) .

فقال : إن للشمس أربع سجديات كل يوم وليلة: سجدة إذا صارت في طول السماء قبل أن يطلع الفجر، ذاك الفجر الكاذب، لان الشمس تخرج ساجدة وهي في طرف الارض، فإذا ارتفعت من سجودها طلع الفجر و دخل وقت الصلاة.

وأما السجدة الثانية فإنها إذا صارت في وسط القبة وارتفع النهار ركبت قبل الزوال، فإذا صارت بحذاء العرش ركبت وسجدت، فإذا ارتفعت من سجودها زالت عن وسط القبة فيدخل وقت صلاة الزوال. وأما السجدة الثالثة أنها إذا غابت من الافق خرت ساجدة، فإذا ارتفعت من سجودها زال الليل، كما أنها حين زالت وسط السماء دخل وقت الزوال زوال النهار (٢).

والمراد من سجود الشمس تذللها وانقيادها وتسليمها قهراً لأمر الله عز وجل في مسيرها وطلوعها ومغيبها.

(١) الحج ١٨.

(٢) البحار ١٦٤/٥٥.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا يَغْرُنْكُمْ أَذَانُ بَلَالٍ وَلَا هَذَا
الْفَجْرُ الْمُسْتَطِيلُ وَلَكِنَّ الْفَجْرَ الْمُسْتَطِيرُ وَأَوْمًا بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ يَزِيدُ بِيَدِهِ
الْيَمْنَى^(١).

والمراد من المستطيل أي الذي انتشر ضوءه وعن ابن شهاب عن سالم
بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : إن بلالاً
ينادي بليل ، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم ، قال ابن شهاب :
وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت
أصبحت^(٢).

وهل يحتمل أن ابن مكتوم يؤذن لأنه يحس بتغير نسيم الصباح أم كما
ذكره ابن شهاب بأن المسلمين يقولون له أصبحت ، أصبحت ، الجواب هو
الثاني ، ولم تكن آنذاك إنارة ومصابيح تمنع من معرفة أوان الفجر عند
شآبيب ضيائه ، ترى ماذا لو كانت السماء ملبدة بالغيوم ، لابد حينئذ من
الاجتهاد ، والإحتياط طريق النجاة .

أما الفجر الصادق فهو الضياء الأبيض الذي يظهر على نحو أفقي من
جهة طلوع الشمس ثم يأخذ باللمعان ليندفع الظلام ويأخذ بالإنقشاع
وتختفي إضاءة الفجر الكاذب على نحو تدريجي ، مع امكان التمييز بين
السماء والأرض والحد بينهما في الأفق الشرقي ثم يتحول اللون من
الأبيض إلى الأحمر .

والمشهور أن زاوية ١٨ درجة لصلاة الفجر ، أو ١٨.٥ درجة .
وأكبر زاوية هي عند فقهاء مصر إذ اعتمدت الزاوية ١٩.٥ درجة .
وأكثر الدول العربية والإسلامية تعتمد الزاوية (١٨) لتحديد صلاة
الفجر .

(١) مسند أحمد ١٦٨/٤١ .

(٢) السنن الكبرى ٣٨٠/١ .

وأكثر التقاويم الإسلامية بين الزاوية ١٨ الى ١٩.٥ درجة في تعيين الفجر الصادق .

وخلصت بعض نتائج وتحري الرصد الفلكي في هذه السنين الى أن وقت الفجر الصادق عندما تصبح الشمس عند زاوية ١٦.٥ درجة تحت الأفق الشرقي ، وهي ذات الزاوية لوقت صلاة العشاء .

ويعني القول بهذه الدرجة تأخير أذان الفجر وإمساك الصائم عن الأكل والشرب نحو ٦-٧ دقائق عن المشهور الذي يعتمد الزاوية (١٨) درجة والتي تم اختيارها بتجربة متراكمة من قبل العلماء وفي الجو الصافي وبعيداً عن أضواء المدن .

أي كلما نقصت درجة الزاوية طالت مدة الليل .

واثيرت اشكالات بأنه يؤذن لصلاة الفجر قبل استبانته ووضوح ضوئه . ويجاب على أكثر هذه الإشكالات بانهم ربما لم يرصدوا الفجر من مكان مظلم وصاف من الأغبرة ونحوها وربما رصدوه من داخل المدن وضياؤها ، وكان العربي الذي يعيش في البراري والصحارى يستطيع مشاهدة ضوء الفجر كل يوم بالعين المجردة لسلامة النظر وللخبرة وصفاء الجو .

بالإضافة إلى معجزة كونية محسوسة وهي تبدل الهواء وهبوب النسيم عند طلوع الفجر ، قال تعالى ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(١).

ومن إعجاز القرآن أنه ذكر الفجر الصادق وأوان الإمساك عن الأكل والشرب عند الفجر في سعة ومندوحة وفق النظر والرصد والتدبر إذ قال تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٢) ، فهذا التبين لا يحصل دفعة واحدة ولكنه على نحو التدرج ، وهل ينحصر فيه التبين بالرصد الفلكي وما فيه من الدقة .

(١) سورة التكويد ١٨.

(٢) سورة البقرة ١٨٧.

الجواب لا ، إذ وردت الآية بصيغة الخطاب العام للمسلمين ، والأولى استبانه بالعين المجردة.

نعم من كان في ضياء المدن لا يرى الفجر في أوانه فعليه أن يتبع تحديده من قبل الفقهاء وعلماء الفلك والذي يتجلى بأوان أذان الفجر من غير حاجة الى الإحتياط الشديد بأن يجعل بين الإمساك عن الأكل وبين الأذان عشر دقائق أو أكثر.

وتبعث أحكام الشريعة المسلمين إلى العناية بأوقات الصلاة والحرص على أدائها في أوانها ، من غير تأخير أو تسويف ، وفيه دعوة للمسلمين للعصمة من الإرهاب والتبرأ منه ، كما أن هذا الحرص باعث للناس جميعاً باجتنب إيذاء المسلمين في عباداتهم .

ولبيان العام نقول أن الذي يعتمد الزاوية (١٩) درجة يتقدم في أذانه أربع أو خمس دقائق على الذي يقول الزاوية (١٨) درجة .
فلو كان الأذان في الساعة الخامسة .

فان الذي يقول بالزاوية (١٩) درجة يؤذن في الساعة ٤.٥٦ أو ٤.٥٥ .
أما الذي يقول بأن الفجر في الزاوية (١٥) درجة مثلاً فانه يصلي في الساعة ٥.١٥ أو في الساعة ٥.٢٠ حسب فصول السنة ، وعليه يقل الوقت الذي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

لقد خفف الله عز وجل عن المسلمين في تعيين أوقات الصلاة في القرآن بأن جعلها متعلقة بآيات كونية يومية ظاهرة في كل أرجاء الأرض ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الْحَقُّ أَوْ كُفُّوا بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

وكما في قوله تعالى ﴿فَنَسْهَدُ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١)، لبيان استحباب الإستهلال وموضوعية جهد الجماعة والأفراد في رؤية الهلال ، وكذا بالنسبة لأوان طلوع الفجر وأوان إمساك الصائم عن المفطرات ، وأداء صلاة الصبح .

ولو دار الأمر بين تأخير الإمساك باعتقاد أن الفجر لم يطلع بعد وبين تقديم الصلاة في حال عدم التأكد من طلوع الفجر فيقدم الأول وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢)، ولما ورد من المندوحة من النصوص .

وعن القاسم بن محمد عن عائشة وعن نافع عن ابن عمر قال لا كان للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذنان بلال وابن أم مكتوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم قال القاسم لم يكن بين اذانهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا^(٣).

وجاءت أجهزة الرصد الفلكية الحديثة رحمة للناس ، وتلائم السكن في المدن وكثرة الإنارة فيها ، والتخفيف عنهم واعتماد الساعات فلا بد من وضع نتائج الرصد بالنسبة لأوان الفجر بين أيدي الفقيه مع تعلمه لقواعد استنباطها العلمية ومعنى الزاوية والدرجة والدقيقة ونحوها .

ثم يستحضر آيات القرآن والأحاديث النبوية ويخرج بالنتيجة هل تكون الصلاة عند الزاوية (١٨) درجة كما هو المتعارف والمشهور أم عند ١٦.٥ درجة فيؤخر أوان الأذان .

والمختار لا أصل للإحتياط بالإمساك قبل الأذان بسبع أو عشر دقائق، وقد يلحق بالتشديد على النفس، ويمتنع السحور بطلوع الفجر الصادق

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة البقرة ١٨٥.

(٣) البيهقي / السنن الكبرى ٣٨٢/٢.

وعليه الكتاب والسنة، فيجوز شرب الماء قبله ولو بدقيقة، قال تعالى ﴿كُلُوا
وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ يستحب
الإستهلال وفيه نصوص ، وكذا الدعاء عند رؤية الهلال ، ولا تثبت رؤية
الهلال إلا بشاهدين عدلين.

، وقد يلزم الإلتفات إلى الاختلاف من جهتين :
الأولى : تباعد الأمصار والبلدان ، واختلاف المطالع وتعدد المشارق
والمغارب .

الثانية : إختلاف فصول السنة .

وتبعث هذه العلوم على زيادة الإيمان وتأتي بالطمأنينة ، وتمنع من
التشديد على النفس والإنشغال بالغلو والتطرف والإرهاب.

قانون هلال شوال

قال تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١) .

الحمد لله الذي أكرم الإنسان وجعله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) وسخر له
ما في السموات والأرض ، ومنها الشمس والقمر ، وكان بعض الأقوام
يعبدون الشمس ومنهم من يعبد القمر .

وقد وثقه القرآن بخصوص النبي إبراهيم في حجته على قومه ﴿فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^(٣) رأى
إبراهيم عند العشاء كوكب الزهرة ، فلما غابت ثبت أنها ليست الرب لأن
الرب دائم لا يزول وهو يطلع على أعمال العباد .

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الأنعام ٧٦.

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ^(١) وبازغاً أي طالعاً (وقيل البزوغ : ابتداء الطلوع) ^(٢).

ولم يرد لفظ (بازغ) و(بازغة) في القرآن إلا في الآيتين أعلاه لبيان أن القرآن جاء ليقطع عبادة الناس للكواكب إلى يوم القيامة ، وهو من وجوه سلامته من التحريف والتبديل .

وليس المدار على امكانية الرؤية في أي منطقة من العالم بشرط أن تشترك معها في الليل .

إنما قيد القرآن والسنة النبوية تعيين أوان الهلال بالرؤية الشخصية ، قال تعالى ﴿ فَتَنَّا شُهَدَاءَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصْنُهُ ﴾ ^(٣) وفيه دعوة للإستهلال .

(وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقدموا الشهر بصيام يوم ولا يومين إلا أن يكون شيء يصومه أحدكم ، ولا تصوموا حتى تروه ، ثم صوموا حتى تروه ، فإن حال دونه غمام فأتموا العدة ثلاثين ، ثم افطروا) ^(٤).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (فإن حال دونه غمام) أي أن المدار ليس على ولادة الهلال ، أو إمكان رؤيته ، وارتفاعه ، وسعة القسم المنار منه إنما المدار على الرؤية نعم لو صارت المناظير الحديثة تخترق الغيوم فهل يصدق عليها رؤية أم يبق مما غم على الناس ، الجواب هو الأول .

(١) سورة الأنعام ٧٧-٧٨.

(٢) العباب الزاخر ١/٣٣٧.

(٣) سورة البقرة ١٨٥.

(٤) الدر المنثور ١/٣٨٨.

وأخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم الشهر فأكملوا العدة وفي لفظ : فعدوا ثلاثين .

وأخرج الدارقطني عن رافع بن خديج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احصوا عدة شعبان لرمضان ولا تقدموا الشهر بصوم ، فإذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فافطروا ، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً ثم افطروا ، فإن الشهر هكذا وهكذا وهكذا وهكذا ، وحبس إبهامه في الثالثة .

وأخرج الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال : إنا صحبنا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وانهم حدثونا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فإن أغمى عليكم فعدوا ثلاثين ، فإن شهد ذو عدل فصوموا وافطروا وانسكوا^(١) ، وهل يصدق قيد (ذو عدل) على لزوم الرؤية بالعين المجردة وليس المسلحة ، الجواب لا .

(عن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أقبل الليل من ههنا ، وأدبر النهار من ههنا ، وغربت الشمس ، فقد أفطر الصائم .

وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد . فيمن أفطر ثم طلعت الشمس ، قال : يقضي ، لأن الله يقول ﴿أتموا الصيام إلى الليل﴾^(٢).

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي أمامة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي ، فأتاني جبلاً وعراً فقالا لي : اصعد .

(١) الدر المنثور ١/ ٣٨٨ .

(٢) سورة البقرة ١٨٧ .

فقلت : إني لا أطيعه . فقالا : إنا سنسهله لك ، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة! فقلت : ما هذه الأصوات؟! قالوا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلقا بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيهم ، مشقة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دماً .

قلت : من هؤلاء؟! قال : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم ، ويحتمل هذا الإفطار وجهين :

الأول : الإفطار اليومي قبل أوانه الذي بينه الله عز وجل بقوله تعالى ﴿تَمَتُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(١) وجاءت السنة القولية بتأكيد بيانه .

الثاني : الإفطار قبل إتمام العدة ومن غير التثبت من رؤية الهلال ، قال تعالى ﴿وَلِكُمُومُ الْعِدَّةُ﴾^(٢).

وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني عن ليلي امرأة بشير بن الخصاصية قالت : أردت أن أصوم يومين مواصلة ، فمنعني بشير وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنه ، وقال : إنما يفعل ذلك النصاري ولكن صوموا كما أمركم الله ، وأتموا الصيام إلى الليل ، فإذا كان الليل فافطروا^(٣).

وقد يكون الإستهلال أمراً شيقاً إذ يرى الهلال بعد أداء صلاة المغرب . وقال الحنفية والمالكية والحنابلة بثبوت الهلال في الأمصار إذ ثبت في أحدها ، وقال الحنابلة مثلاً : بوحدة صوم المسلمين إذا رؤي في بلد ، ولا اعتبار لإختلاف المطالع ، وإذا كان الإستدلال بقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ

(١) سورة البقرة ١٨٧.

(٢) سورة البقرة ١٨٥.

(٣) الدر المنثور ٤٠١/١.

مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»^(١) وأن الخطاب عام لسائر الأمة وليس خاصاً لأحد دون آخر ، وقد لا يتم هذا الاستدلال .

نعم جاءت السنة النبوية بالبيان ، فاستدل بقول النبي (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته)^(٢) .

وتشترك البلاد الإسلامية في ليل واحد والمدة بين أقصاها لا تزيد على تسع آيات .

وذهب الشافعية إلى القول إذا ثبتت رؤية الهلال في مصر فانها تثبت في المصر القريب منها دون البعيد .

وشهدت الشئ : أطلعت عليه ، وعايته ، ويقال شهدت الأمر : أي حضرته .

ويتعدى بالباء يقال شهد بكذا أي أخبر عنه .

وفي معنى الآية «فَنَنْشُهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»^(٣) أي من كان حاضراً مقيماً غير مسافر عند رؤية الهلال فليصم الشهر ما كان حاضراً ومقيماً . وقد أهدى المقوقس القبطي ملك الإسكندرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرساً يقال له اللزاز ، وبغلته الدلال ، وحماراً اسمه عفير وغلاماً خصياً اسمه (مابور) شيخ كبير وهو (ابن عم مارية القبطية، وكان يأوي إليها فقال الناس: عالج يدخل على علجة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبعث علياً ليقتله، فقال: يا رسول الله أقتله أم أرى رأيي فيه.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : بل ترى رأيك فيه " فلما رأى الخصي علياً، ورأى السيف في يده، تكشف فإذا هو محبوب ممسوح فرجع

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) الدر المنثور ١/٣٨٨.

(٣) سورة البقرة ١٨٥.

علي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب^(١).

وكان من دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام في وداع شهر رمضان (اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يَرِغَبُ فِي الْجَزَاءِ، وَلَا يَنْدُمُ عَلَى الْعَطَاءِ، وَيَا مَنْ لَا يُكَافِي عَبْدُهُ عَلَى السَّوَاءِ، مَتَّكَ ابْتِدَاءً، وَعَفْوُكَ تَفْضُّلاً، وَعَقُوبَتُكَ عَدْلٌ، وَقَضَاؤُكَ خَيْرَةٌ، إِنْ أُعْطِيتَ لَمْ تَشِبْ عَطَاكَ بِمَنْ، وَإِنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنَعُكَ تَعْدِيًا تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ وَأَنْتَ أَلْهَمْتَهُ شُكْرَكَ، وَتُكَافِي مَنْ حَمَدَكَ وَأَنْتَ عَلَّمْتَهُ حَمْدَكَ، تَسْتُرُ عَلَى مَنْ لَوْ شِئْتَ فَضَحْتَهُ وَتَجُودُ عَلَى مَنْ لَوْ شِئْتَ مَنَعْتَهُ، وَكَلَاهُمَا أَهْلٌ مِنْكَ لِلْفَضِيحَةِ وَالْمَنْعِ، غَيْرَ أَنَّكَ بَنَيْتَ أَفْعَالَكَ عَلَى التَّفْضُلِ، وَأَجَرَيْتَ قُدْرَتَكَ عَلَى التَّجَاوُزِ، وَتَلَقَّيْتَ مِنْ عَصَاكَ بِالْحِلْمِ، وَأَمَهَلْتَ مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِهِ بِالظُّلْمِ، تَسْتَنْظِرُهُمْ بِأَنَاتِكَ إِلَى الْإِنَابَةِ وَتَتْرُكُ مُعَاجَلَتَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ لِكَيْلَا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هَالِكُهُمْ، وَلَا يَشْقَى بِبِعْمَتِكَ شَقِيهُهُمْ إِلَّا عَنْ طَوْلِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِ، وَبَعْدَ تَرَادُفِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ كَرَمًا مِنْ عَفْوِكَ يَا كَرِيمُ، وَعَائِدَةً مِنْ عَطْفِكَ يَا حَلِيمُ.

أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَابًا إِلَى عَفْوِكَ وَسَمِيَّتِهِ التَّوْبَةَ، وَجَعَلْتَ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ دَلِيلًا مِنْ وَحْيِكَ لِئَلَّا يَضِلُّوا عَنْهُ فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُكَ ﴿وَبُورَا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

(١) حياة الحيوان الكبرى ١٨٠/٢.

(٢) سورة التحريم ٨.

فَمَا عُدْرَ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ،
وَأَنْتَ الَّذِي زِدْتَ فِي السَّوْمِ عَلَى نَفْسِكَ لِعِبَادِكَ تُرِيدُ رِبْحَهُمْ فِي مُتَاجَرَتِهِمْ
لَكَ، وَفَوْزَهُمْ بِالْوَفَادَةِ عَلَيْكَ وَالزِّيَادَةِ مِنْكَ فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَيْتَ:
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾^(١)،
وَقُلْتَ ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ آبْتَسَ سَمِيعَ سَنَابِلٍ
فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يُشَاءُ﴾^(٢)، وَقُلْتَ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي
يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفْ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٣).

وَمَا أُنْزِلَتْ مِنْ نَظَائِرِهِنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَضَاعِيفِ الْحَسَنَاتِ، وَأَنْتَ
الَّذِي دَلَلْتَهُمْ بِقَوْلِكَ مِنْ غَيْبِكَ وَتَرْغِيْبِكَ الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ عَلَى مَا لَوْ سَتَرْتَهُ
عَنْهُمْ لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصَارُهُمْ وَلَمْ تَعِهْ أَسْمَاعُهُمْ وَلَمْ تَلْحَقْهُ أَوْهَامُهُمْ فَقُلْتَ:
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾^(٤)، وَقُلْتَ ﴿لَنْ شُكِرْتُمْ
لَا زِيدَ تَكُمُ وَلَنْ مَكْرُتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٥)، وَقُلْتَ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ﴾^(٦)، فَسَمِيتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً، وَتَرَكَهُ اسْتِكْبَارًا، وَتَوَعَّدْتَ عَلَى
تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ، فَذَكَرْتُكَ بِمَنْكَ وَشَكَرْتُكَ بِفَضْلِكَ، وَدَعَوْتُكَ

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

(٢) سورة البقرة ٢٦١.

(٣) سورة البقرة ٢٤٥.

(٤) سورة البقرة ١٥٢.

(٥) سورة إبراهيم ٧.

(٦) سورة غافر ٦٠.

بَأْمَرِكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ طَلَبًا لِمَزِيدِكَ، وَفِيهَا كَانَتْ نَجَاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ، وَفَوْزُهُمْ بِرِضَاكَ، وَلَوْ دَلَّ مَخْلُوقٌ مَخْلُوقًا مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مِثْلِ الَّذِي دَلَّلْتَ عَلَيْهِ عِبَادَكَ مِنْكَ كَانَ مَوْصُوفًا بِالْإِحْسَانِ وَمَنْعُوتًا بِالْإِمْتِنَانِ وَمَحْمُودًا بِكُلِّ لِسَانٍ، فَلَكَ الْحَمْدُ مَا وَجَدَ فِي حَمْدِكَ مَذْهَبٌ، وَمَا بَقِيَ لِلْحَمْدِ لَفْظٌ تُحْمَدُ بِهِ وَمَعْنَى يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ يَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى عِبَادِهِ بِالْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَغَمَرَهُمُ بِالْمَنِّ وَالطُّولِ، مَا أَفْشَى فِينَا نِعْمَتَكَ وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مَنَّتَكَ، وَأَخَصَّنَا بِبِرِّكَ، هَدَيْتَنَا لَدِينِكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَ، وَمَلَّتِكَ الَّتِي ارْتَضَيْتَ، وَسَبَّلَكَ الَّذِي سَهَّلْتَ، وَبَصَّرْتَنَا الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ وَالْوُصُولَ إِلَى كَرَامَتِكَ.

اللَّهُمَّ وَأَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفَايَا تِلْكَ الْوُضَائِفِ وَخَصَائِصِ تِلْكَ الْقُرُوضِ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَتَخَيَّرْتَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَزْمَنَةِ وَالْدُّهُورِ، وَأَثَرْتَهُ عَلَى كُلِّ أَوْقَاتِ السَّنَةِ بِمَا أَنْزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالنُّورِ، وَضَاعَفْتَ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَفَرَضْتَ فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ، وَرَغَبْتَ فِيهِ مِنَ الْقِيَامِ، وَأَجَلَّلْتَ فِيهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، ثُمَّ أَثَرْتَنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ وَاصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ دُونَ أَهْلِ الْمَلَلِ، فَصُمْنَا بِأَمْرِكَ نَهَارَهُ، وَقُمْنَا بِعَوْنِكَ لَيْلَهُ مُتَعَرِّضِينَ بِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ لِمَا عَرَضَتْ لَنَا مِنْ رَحْمَتِكَ، وَتَسَبَّبْنَا إِلَيْهِ مِنْ مَثُوبَتِكَ، وَأَنْتَ الْمَلِيءُ بِمَا رَغِبَ فِيهِ إِلَيْكَ، الْجَوَادُ بِمَا سَأَلْتَ مِنْ فَضْلِكَ، الْقَرِيبُ إِلَى مَنْ حَاوَلَ قُرْبَكَ، وَقَدْ أَقَامَ فِينَا هَذَا الشَّهْرُ مَقَامَ حَمْدٍ وَصَحْبِنَا صَحْبَةَ مَبْرُورٍ، وَأَرْبَحْنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقْنَا عِنْدَ تِمَامِ وَقْتِهِ وَانْقِطَاعِ مَدَّتِهِ وَوَفَاءِ عِدَدِهِ، فَنَحْنُ مُودَعُوهُ وَدَاعٌ مِنْ عَزِّ فِرَاقِهِ عَلَيْنَا وَغَمًّا وَأَوْحَشْنَا انْصِرَافَهُ عَنَّا وَلَزِمْنَا لَهُ الدِّمَامَ الْمَحْفُوظَ، وَالْحَرَمَةَ الْمَرْغِيَّةَ، وَالْحَقُّ الْمَقْضِي.

فَنَحْنُ قَائِلُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، وَيَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ

وَالسَّاعَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرِيبٍ فِيهِ الْإِمَالُ وَنُشِرَتْ فِيهِ الْأَعْمَالُ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينِ جَلِّ قَدْرُهُ مَوْجُودًا، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُودًا، وَمَرْجُوُّ
أَلَمِ فِرَاقِهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ أَلِيفِ أَنْسٍ مُقْبِلًا فَسَرًّا، وَأَوْحَشٍ مُنْقَضِيًا
فَمَضًى. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرِ رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَقَلَّتْ فِيهِ الذُّنُوبُ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرِ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ وَصَاحِبِ سَهْلٍ سَبُلِ
الْإِحْسَانِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا أَكْثَرَ عِتْقَاءَ اللَّهِ فِيكَ وَمَا أَسْعَدَ مِنْ رَعَى
حُرْمَتِكَ بِكَ! السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمَحَاكَ لِلذُّنُوبِ، وَأَسْتَرَكَ لِأَنْوَاعِ
الْعُيُوبِ! السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَأَهْيَيْكَ فِي صُدُورِ
الْمُؤْمِنِينَ! السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تُنَافِسُهُ الْإَيَّامُ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ. السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِ
الْمُصَاحِبَةِ وَلَا ذَمِيمِ الْمَلَابَسَةِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدَتْ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلَتْ عَنَّا دَنَسَ
الْخَطِيئَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِعٍ بَرَمًا وَلَا مَتْرُوكٍ صِيَامَهُ سَأَمًا. السَّلَامُ
عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ وَمَحْزُونٍ عَلَيْهِ قَبْلَ فَوْتِهِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوءٍ صُرِفَ بِكَ عَنَّا وَكَمْ مِنْ خَيْرٍ أُفِيضَ بِكَ
عَلَيْنَا. السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. السَّلَامُ
عَلَيْكَ مَا كَانَ أَحْرَصَنَا بِالْأَمْسِ عَلَيْكَ وَأَشَدَّ شَوْقَنَا غَدًا إِلَيْكَ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى فَضْلِكَ الَّذِي حُرِمْنَا، وَعَلَى مَاضٍ مِنْ بَرَكَاتِكَ
سُلِبْنَا. اَللّهُمَّ إِنَّا أَهْلُ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي شَرَفْتَنَا بِهِ وَوَقَفْتَنَا بِمَنْكَ لَهُ حِينَ
جَهَلِ الْأَشْقِيَاءَ وَقْتَهُ وَحَرَمُوا لَشَقَائِهِمْ فَضْلَهُ، أَنْتَ وَلِيٌّ مَا أَثَرْتَنَا بِهِ مِنْ
مَعْرِفَتِهِ، وَهَدَيْتَنَا مِنْ سُنَّتِهِ، وَقَدْ تَوَلَّيْنَا بِتَوْفِيقِكَ صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ عَلَى تَقْصِيرٍ،
وَأَدِينَا فِيهِ^(١).

و(عن قتادة أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال رشد وخير هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاثاً الحمد لله ذهب هلال كذا وكذا وجاء هلال كذا وكذا)^(١).

والقمر هو الكوكب المعروف الذي يدور حول الأرض ، وهو جرم سماوي ومظلم في ذاته يكتسب نوره من الشمس في نصفه المواجه لها ، فهو بذاته ليس مضيئاً ، ويبلغ قطره نحو ربع مقاس قطر الأرض ، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إياكم والتفكر في الله ، ولكن إذا اردتم أن تنظروا إلى عظمة الله فانظروا إلى عظيم خلقه) .

ومن منافع القمر أنه جعل الحياة على الأرض ملائمة للبشر ، أو قل أكثر ملائمة ، ومن منفعه المد والجزر في مياه البحار والمحيطات ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

والمد والجزر توالي وتعاقب إرتفاع وإنخفاض أمواج البحر في المياه الضحلة من الشاطئ آية كونية متجددة كل يوم .

إذ يحدث بسبب التجاذب بين الشمس والقمر والأرض فعندما يصير القمر بديراً تنجذب المياه في البحار والمحيطات نحو الساحل وتحدث ظاهرة المد في الأماكن الموجهة للقمر ، وإذا ابتعدت الأرض في دورانها عن جاذبية القمر حدثت ظاهرة الجزر ، ويقع المد والجزر مرتين في اليوم بلحاظ

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٩٤/٦ .

(٢) سورة فصلت ٥٣ .

اليوم القمري وهو ٢٤ ساعة وخمسون دقيقة إذ يستمر المد الأول ست ساعات و١٢ دقيقة ، ثم يتبعه الجزر لنفس المدة ثم يقع المد ثم الجزر .
في دورتين في اليوم الواحد ، لدوران الأرض حول نفسها مرتين ، وأثر القمر في ظاهرة المد والجزر أكثر من الشمس مع أنها الأكبر لأن القمر قريب من الأرض ، ويزداد المد والجزر إذا كان الشمس والقمر والأرض على خط مستقيم لقوة تأثير الشمس فيه .
كما يكون المد والجزر أكثر وأوسع ، عندما يكون القمر بديراً أو في المحاق .

ويقوم الصيادون بالنزول بقواربهم عند الجزر وإنحسار المد ، وعند ارتفاع المد تسهل عليهم العودة والدخول إلى الميناء القيام بالصيد ، ويجلب المد والجزر الأسماك إلى الساحل ، وفيه تنظيف لها من الشوائب والأوساخ والمد والجزر وسيلة مباركة للري ، إذ يصل الماء بالمد إلى القنوات والمزروعات .

وسخر الإنسان في القديم المد والجزر لطحن الحبوب ، وهو الآن مصدر لتوليد الطاقة النظيفة لما في المد من قوة في الدفع المائي ، نعم يتفاوت المد والجزر في المناطق ، فمثلاً يرتفع الماء في خليج فوندي في كندا إلى ما يزيد على ١٥ م ، ولا يتجاوز أربعين سنتيمتراً في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وفي مدينة البصرة وشط العرب تصل إلى (٨٠) سم .

ويختار البحارة أوان إرتفاع المد للإبحار ودخول الموانئ .

وينقسم الحكم بلحاظ الحجة والقوة والتقديم والتأخير إلى قسمين :
الأول : الحكم الواقعي ، وهو المجمعول للأشياء والأحكام على نحو الثبوت والإنطباق .

الثاني : وهو الحكم الظاهري الذي يتوصل إليه بلحاظ الأدلة الظنية كالأمارات ، وأخبار الآحاد والرجوع إلى الأصول العملية وهي :
الأول : الإستصحاب .

الثاني : البراءة .

الثالث : الإحتياط .

الرابعة : التخيير .

، ويسمى الدليل حينئذ الدليل الفقاهتي .

وإذا تحقق الحكم الواقعي لا تصل النوبة إلى الحكم الظاهري الذي هو طريق لدرك الواقع ، ومن الإعجاز في الشريعة الإسلامية أنه قد يجتمع الحكمان في أمر واحد كما في رؤية الهلال .

فاذا رأى الهلال فلا تصل النوبة إلى اعتماد الشهور والبينة الشرعية وحكم الحاكم الذي لابد أن يستند إلى البينة الشرعية ، والبينة الشرعية حجة في الأحكام إلا ما خرج بالدليل كالشهادة على الزنا التي لا تصح إلا بأربعة شهود عدول يرد في الليل في المكحلة لبيان فضل الله في السر على الناس بالإضافة إلى مسألة : وهي أن أحجم أو تخلف أو تعذر الشاهد الرابع تجلد الثلاثة كل واحد حد القذف ثمانين جلدة مع إحتمال صدقهم . وكذا بالنسبة للدعوة على الميت ، ففيها مع البينة الشرعية يمين الدائن لإحتمال أن المدين قد وفاه دينه في حياته قبل موته ، ويسميه الفقهاء اليمين الإستظهارية .

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : أن علياً كان يقول لا أجزى في الهلال إلا شهادة رجلين عدلين .

وفي مسألة وأحكام الهلال واستحباب الإستهلال والتدبر في هذه الآيات زاجر عن الإرهاب ، وحجة في لزوم إجتنابه إذ يطل الهلال والقمر على الأرض كنعمة عظيمة على جميع الناس ، وهو يجري في نظام ثابت على مر السنين والأحقاب ، قال تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(١).

قانون هجرة النبي وأصحابه إعراض عن القتال

لقد ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة وهي بلد آبائه ، وفيها البيت الحرام ، وفيها بعث ونزل عليه جبرئيل وأسلم طائفة من أهلها فصار يجمعهم مع النبي صبغة وأخوة الإيمان ، ومن الصعب أن يهاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويترك وراءه مكة وإخوانه هؤلاء تحت ولاية وسطوة الذين كفروا ، ومكة وموسم الحج أفضل مكان لبدايات الدعوة والتبليغ .

ولما اشتد إيذاء قريش له وللمسلمين والمسلمات أمر طائفة من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ولم يغادرها معهم لأنه الإمام والقائد ، وبه يدفع الله البلاء عن أهل مكة عامة والمسلمين خاصة .

لقد أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إستدامة التبليغ في مكة وأيام موسم الحج من كل عام فلم يطق المشركون الأمر ، وكانوا يخشون جانب أبي طالب الذي تنابذ معهم وقال:

(ألا قل لعمرى والوليد ومطعم ... ألا ليت حظي من حياتكم بكر

من الخور صخاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر

أرى أخويننا من أئبنا وأئبنا ... إذا سئلا قالوا: إلى غيرنا الأمر

أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً...هما نبذانا مثل ما تنبذ الخمر^(١).

و(مات أبو طالب في السنة العاشرة من المبعث وكان له يوم مات بضع

وثمانون سنة.

وذكر ابن سعد عن الواقدي أنه مات في نصف شوال منها وقد وقعت لنا رواية أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الخطيب في كتاب رواية الآباء عن الأبناء من طريق أحمد بن الحسن المعروف بدبيس: حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم العلوي حدثني عم

أبي الحسين بن محمد عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي قال : سمعت أبا طالب يقول : حدثني محمد بن أخي وكان والله صدوقاً قال : قلت له : بم بعثت يا محمد ، قال : بصلة الأرحام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة^(١).

وعن (أبي رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي محمد بن عبد الله يقول: "إن ربه بعثه بصلة الأرحام وأن يعبد الله وحده لا يعبد معه غيره ، ومحمد الصدوق الأمين)^(٢).

أي أن أبا طالب ممن روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (قال ابن الجوزي : مات قبل هجرته بثلاث سنين)^(٣).

فلم يهاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة بعد موت شيخ الأبطح أبي طالب وخديجة التي ماتت بعده بأيام ، إنما بقي يدعو إلى الله في مكة ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ مَعَ رَبِّي سَيْدِي﴾^(٤).

نعم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذات السنة وهي السنة العاشرة إلى الطائف ومعه الإمام علي عليه السلام ، وفي رواية زيد بن حارثة ، طلباً للنصرة والأمن من كفار قريش ، وبقي في الطائف عشرة أيام وقيل شهراً ، وطاف على ساداتها وأشرافها يدعوهم إلى التوحيد ، ويتلو عليهم آيات القرآن، ولكنهم علموا أن قريشاً يعادون النبي ولا يرضون لأحد نصرته ، فاجتنبوا غضب وسخط قريش وهم أهل البيت الحرام ، ولهم أموال وبساتين في الطائف ، ويقومون بتسليف أهلها بالربا .

(١) الإصابة ٣/٣٥٧.

(٢) الإصابة ١/٣٥٧.

(٣) سمط النجوم ١/١٦٨.

(٤) سورة الشعراء ٦٢.

وقد يستلف أهل مكة من ثقيف بالربا ، وفي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

(أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال : نزلت هذه الآية في بني عمرو بن عمير بن عوف الثقفي ، ومسعود بن عمرو بن عبد يا ليل بن عمرو ، وربيعة بن عمرو ، وحبيب بن عمير ، وكلهم أخوة وهم الطالبون ، والمطلوبون بنو المغيرة من بني مخزوم ، وكانوا يداينون بني المغيرة في الجاهلية بالربا .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح ثقيفاً فطلبوا رباهم إلى بني المغيرة ، وكان مالا عظيماً.

فقال بنو المغيرة : والله لا نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله ورسوله عن المسلمين ، فعرفوا شأنهم معاذ بن جبل ، ويقال عتاب بن أسيد ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصبه أميراً على مكة مع أنه شاب من مسلمي الفتح .

فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن بني عمرو وعمير يطلبون رباهم عند بني المغيرة ، فأنزل الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ }^(٢) .

فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى معاذ بن جبل : أن اعرض عليهم هذه الآية ، فإن فعلوا فلهم رؤوس أموالهم ، وإن أبوا فأذنهم بحرب من الله ورسوله^(٣).

(١) سورة البقرة ٢٧٨.

(٢) سورة البقرة ٢٧٨.

(٣) الدر المنثور ٢/٢٤٣.

وقال ابن عباس (نزلت في نفر من ثقيف منهم مسعود وربيعة ، وحبيب وعبد يا ليل ، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي ، وفي بني المغيرة من قریش) ^(١) .

مما يدل على حرص وجهاد ثقيف على حسن الصلة مع رجالات قریش وان كانت على الباطل والظلم مع أن الملك والسلطان لا يدوم مع الظلم ، إذ يبدأ يتآكل بكثرة المصائب وبتسليط الآفات والأعداء على الذين يظلمون .

وعن هشام بن الكلبي قال (فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى سرنديب من بلاد الهند، وهي أرض الجواهر، قائداً من قواده في جند كثيف، فقاتل ملكها، فقتله واستولى عليها، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة وجواهر كثيرة .

ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى، فجاءت إليها من بلاد الترك في ملك كسرى أنوشروان، فشق عليه ذلك وأحضر موبدان موبد ^(٢) .

وقال له: قد بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا وقد تعاظمنا ذلك، فأخبرنا برأيك فيها. فقال: سمعت فقهاءنا يقولون: متى لم يغلب العدل الجور في البلاد بل جار أهلها غزاهم أعداؤهم وأتاهم ما يكرهون.

فلم يلبث كسرى أن أتاه أن فتیاناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده، فأمر وزرائه وعماله أن لا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ولا يعملوا في شيء منها إلا به، ففعلوا ما أمرهم، فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب ^(٣) .

وكان كسرى قد غزا غطيفاً نوس في بضعة وسبعين ألفاً وكان طريقه على الجزيرة واستولى على عدة مدن منها إنطاكية فسبى

(١) الدر المنثور ٢/٢٤٣.

(٢) الموبدان موبد أي الفقيه الأكبر عند المجوس ، وهو كقاضى القضاة ، وقد يكتفى بلفظ الموبد .

(٣) الكامل في التاريخ ١/١٥٠.

أهلها (ونقلهم إلى أرض السواد، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جانب مدينة طيسفون أي قريباً من مدينة بغداد على بناء مدينة إنطاكية وأسكنهم إياها، وهي التي تسمى الرومية، وكور لها خمسة طساسيج: طسوج^(١) النهروان الأعلى، وطسوج النهروان الأوسط، وطسوج النهروان الأسفل، وطسوج بادرايا، وطسوج باكسايا، وأجرى على السبي الذين نقلهم إليها من إنطاكية الأرزاق، وولى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الأهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين^(٢)).

وعن حمزة قال (إن الاستان والكورة واحد ثم قال شهرستان وطبرستان وخوزستان مأخوذ من الاستان فخفف بحذف الألف. ومثال ذلك أن رقعة فارس خمسة أساتين أحدها إستان داربجرد .

ثم ينقسم الاستان إلى الرساتيق .

وينقسم الرستاق إلى الطساسيج .

وينقسم كل طسوج إلى عدة من القرى مثال ذلك اصطخر استان من أساتين فارس ويزد رستاق من رساتيق اسطر ونائين وقرى معها طسوج من طساسيج رستاق يزد .

ونياستانه قرية من قرى طسوج نائين، وزعم مؤيد الرأي أن معنى الاستان المأوى ومنه يقال وهما إستان كرفت إذا أصاب موضعاً يأوي إليه.

وأما الرستاق، فهو فيما ذكره حمزة بن الحسن مشتق من روده فستا وروذه اسم للسطر والصف والسماط .

وفستا اسم للحال والمعنى أنه على التسطير والنظام. قلت الذي عرفناه وشاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق كل

(١) يتكون الطسوج من عدة قرى ، وهو أقل من الكورة.

(٢) الكامل في التاريخ ١٤٩/١.

موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد وهو أخص من الكورة واللاستان.

وأما الطسوج بوزن سبوح وقدوس فهو أخص وأقل من الكورة واللاستان كأنه جزء من أجزاء الكورة كما أن الطسوج جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الدينار لأن الكورة قد تشتمل على عدة طساسيج وهي لفظة فارسية أصلها تسو فعربت بقلب التاء طاء وزيادة الجيم في آخرها وزيد في تعريبها بجمعها على طساسيج وكثر ما تستعمل هذه اللفظة في سواد العراق وقد قسموا سواد العراق على ستين طسوجاً أضيف كل طسوج إلى اسم^(١).

ويسمى العام العاشر للبعثة النبوية عام الحزن لموت أبي طالب وخديجة فيه وكان خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف (في ليال بقين من شوال)^(٢) من ذات السنة التي مات فيها أبو طالب وخديجة لذا سمي عام الحزن .

لقد مشى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بعض أشرف ثقيف ومنهم أخوة ثلاثة أولاد عمرو بن عمير ، وهم :

الأول : عبد ياليل .

الثاني : سعود .

الثالث : حبيب .

ليكون ذهابه إليهم دعوة لهم للإسلام ، ومقدمة وزاجراً لهم من الهجوم عليه وعلى المسلمين في معركة حنين ، ولكنهم لم يتعظوا فلاقت ثقيف وهوازن الهزيمة وأشد الخسارة المقرونة بالذل إلى يوم القيامة لولا أن تداركوا أنفسهم بدخول الإسلام ، قال

(١) معجم البلدان ١٥/١.

(٢) ابن الجوزي / المنتظم ٢٦٥/١.

تعالى في خطاب للصحابة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوتُكُمْ فَلَمْ تُقْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

لقد كانت هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف إعراضاً عن أذى كفار قريش ، وبرزخاً دون المظاهرة واللجاج والخصومة معهم وأجاب عبد ياليل وأخوته النبي بجفاء واستهزاء . فقال أحدهم إنه يقوم بتمزيق ثياب الكعبة إن كان الله أرسله . وقال آخر ما وجد الله غيرك يرسله إلى الناس . وقال ثالث : لا أكلمك أبداً ، فاذا كنت رسولاً من الله فأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك .

وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي أن أكلمك . ثياب الكعبة أي كسوة الكعبة ، وكانت قريش تكسوها تعظيماً لها (وأخرج البيهقي عن ابن شهاب قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحلم أجمرت امرأة الكعبة ، فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترقت فهدموها ، حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي القبائل تلي رفعه ، فقالوا : تعالوا نحكم أول من يطلع علينا .

فطلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو غلام عليه وشاح ثمر ، فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب ، ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فكان هو يضعه ، ثم طفق لا يزداد على الألسن إلا رضي حتى

دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي ، فطفقوا لا ينحرون جزوراً
إلا التمسوه فيدعوا لهم فيها) (١) .

وذكر أن العباس بن عبد المطلب أضلّ وهو صغير فنذرت أمه
نتيلة بنت جناب إن وجدت تقوم بكسوة الكعبة بالديباج ، وقال (و
كانت من بيت مملكة فوفت بنذرهما) (٢) .

(فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عندهم وقد
يُس من خير ثقيف،

وقال لهم : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموه .

وكره رسول الله أن يبلغ قومه عنه فيديرهم عليه ذلك) (٣) .

ولكنهم أغروا سفهاءهم وصبيانهم يصيحون به ، ويسبونونه
ويرمونونه بالحجارة ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ
قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (٤) في المقام وجوه :

الأول : عدم تحمل قریش تلاوة النبي القرآن سواء في البيت
الحرام أو بحضرتهم أو بين عامة الناس ووفد الحاج .

الثاني : أثر نزول القرآن في جذب الناس إلى الإسلام .

الثالث : تلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في كل
فرض من الصلوات اليومية الخمس أمر ثقيل .

الرابع : توالي نزول القرآن سبب في ثقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم على المشركين ، وكذا بالنسبة لصلاته في البيت الحرام .

(١) الدر المنثور ١/٢٤٦ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٣٨ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ١٢/١٦٧ .

(٤) سورة المزمل ٥ .

إذ ان وصف القرآن بالثقل من الأضداد والنظائر ، فهو ثقل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن ثقله ما فيه من معاني الرحمة والآيات والمعجزات والبشارة والإنذار.

وقد ثقل القرآن على الذين كفروا لما فيه من التخويف والوعيد ، وحتى آيات البشارة والجنة ثقيلة على الكافرين ، إذ تبعث في نفوسهم الحزن والأسى لتخلفهم عن مقامات النعيم بسوء إختيارهم ، والتأسف والندم الشديد على ما فات ومضى ، قال تعالى ﴿وَأَنذَرُكُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

ومن الإعجاز في تفسير السنة النبوية لآيات القرآن بيانها بأن الحسرة يوم القيامة عامة تشمل حتى أهل الجنان ، ولكن مع التباين فأهل الجنة يتحسرون على أمر محدود وهو عدم زيادة ومضاعفة فعل الحسنات لما لها من الثواب العظيم ، و(عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكر الله تعالى فيها .

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عائشة : أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما من ساعة تمر بأبن آدم لم يذكر الله فيها بخير إلا تحسر عليها يوم القيامة)^(٢).

وبينما أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم طائفة من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة وهي بلد بعيد عن مكة ، فانه بقي بعدهم ثم هاجر إلى الطائف وهي أقرب مدينة إلى مكة إذ أن

(١) سورة مريم ٣٩.

(٢) الدر المنثور ١/٢٩٩.

المسافة بينهما نحو ثمانين كيلو متر ، وفي هذا الزمان بينهما طريقان ، طول أحدهما (٦٨) كم .

وكانت الصلات التجارية بين أهلها وقريش متعددة ، مما يدل على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يغادر مكة إلا مكرهاً ، واختار أقرب المدن إليها ، وعندما آذاه أهل الطائف وأنهكه التعب والعناء ، وكثرت الجراحات في ساقيه وبدنه جلس تحت ظل شجرة ، ولجأ إلى الله تعالى ، ورفع يديه بالدعاء .

وقال (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك علي غضب ، فلا أبالي .

ولكن عافيتك هي أوسع ، وأعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك، ويحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، لا حول ، ولا قوة إلا بك) ^(١).

وانصرف عنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبات بنخلة
(و)عن القرظي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين .

وهذا صحيح، ولكن قوله: "إن الجن كان استماعهم تلك الليلة". فيه نظر؛ لأن الجن كان استماعهم الأول في ابتداء الإيحاء، كما دل عليه حديث ابن عباس المذكور، وخروجه، عليه السلام، إلى الطائف كان بعد موت عمه

أبي طالب ، وذلك قبل الهجرة بسنة أو ستين ، كما قرره ابن إسحاق وغيره^(١).

ولا تعارض بين الأمرين لرجحان تعدد استماع الجن لقراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن ، ولييان حضورهم في ساعة الشدة والضراء للمواساة ، وتلقي الدروس في صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أذى الكفار ليخبروا عن مصداق هذا الأذى ، كما ورد في التنزيل ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(٢).

ولا مانع من تعدد استماع الجن للقرآن ، قال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَالْحَقِّ طَرِيقَ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣).

وقد استمعوا الى آيات أخرى ، أو استمع لها نفر آخرون من الجن غير الذين استمعوا لها في بدايات الوحي .

ومن أهل البيت والصحابة من صاحبوا نزول الآيات من بداياتها إلى حين مغادرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى فقد تكون طائفة من الجن الصالحين صاحبت وتابعت نزول آيات القرآن ليقوموا بابلاغ قومهم.

(١) تفسير ابن كثير ٢٩٠/٧.

(٢) سورة الجن ١٩.

(٣) سورة الأحقاف ٢٩-٣١.

قانون النصر في بدر استئصال للإرهاب

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرٍّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١)، لقد كانت سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة ودليلاً وضياءً ينير للناس مسالك الهدى ، وتقتبس السنة صيغة الحجة والبرهان من آيات القرآن ومطلق الوحي ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾^(٢)، وفاعل ينطق هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الحبيب المحبوب ، والنبي الأزهر المتبوع واختلف في شديد القوى على قولين :

الأول : إنه الله عز وجل .

الثاني : جبرئيل وهو المشهور وأنه ذو مرة أي قوة وخلق رفيع . والمختار هو الأول ، وأن الذي علم النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو الله عز وجل ، إذ يفسر القرآن بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٣).

وذكر بعض العلماء أن المراد من الإنسان في الآية أعلاه هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن البيان تبليغ الأحكام ، وإقامة الحجة والدليل على وجوب عبادة الله ، إن ذكر الآية للبيان شاهد على لزوم عدم اللجوء إلى الإرهاب والقتل لأن سيف البيان البرهان هو الذي يجذب الناس إلى مقامات الإيمان .

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) سورة النجم ٣-٦.

(٣) سورة الرحمن ١-٤.

وقسمت السنة النبوية إلى أقسام :

الأول : السنة القولية .

الثاني : السنة الفعلية .

الثالث : السنة التقريرية .

ويمكن إضافة أقسام أخرى إلى أقسام السنة منها :

الأول : السنة التدوينية .

الثاني : السنة الدفاعية ، وبيان معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حال السلم والدفاع والحضر والسفر ، منها معجزاته في معركة بدر ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١) ، من وجوه :

الأول : مقدمات المعركة ، من جهات :

الأولى : الآيات القرآنية النازلة في مقدمات المعركة مثلاً ﴿وَنُودُوا أَنْ غَيَّرُوا الشُّكُوكَ تَكُونُ لَكُمْ﴾^(٢) ، ومنها قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(٣) .

وهل الدعاء عشية يوم بدر من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الجواب نعم ، ومن المعجزات يوم بدر نزول المطر إذ استولى الذين كفروا على الماء في بدر ، وعطش المسلمون واحتاجوا للإغتسال فانزل الله المطر فتلبد الرمل الذي عليه المسلمون وصارت

(١) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٢) سورة الأنفال ٧ .

(٣) سورة الأنفال ٩ .

الأقدام تثبت عليه ، بينما صار الكفار عاجزين عن المشي لأنهم نزلوا بموضع التراب والوحل ، وكان أغلب المسلمين رجالا ليس معهم خيل ، قال تعالى ﴿إِذْ يَغْشَىٰ كُمُ الْتُعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾^(١).

الثانية : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقدمات المعركة .

الثالثة : السنة النبوية في مقدمات المعركة ، وبينها وبين معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعلاه عموم وخصوص مطلق ، فالسنة في ميدان المعركة أعم .

الرابعة : دلالة مقدمات المعركة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحارب الإرهاب ويمنع منه ويحرم العنف ، واتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم العريش معركة لقيادته ودعائه .

الثاني : وقائع المعركة ، وفيه جهات :

الأولى : الآيات القرآنية التي نزلت بخصوص وقائع المعركة ، ومنها قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَفَتَا تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾^(٢) .

والمراد من الفئة الأولى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والفئة الثانية هم المشركون من قريش يوم بمعركة بدر^(٣).

(١) سورة الأنفال ١١.

(٢) سورة آل عمران ١٣.

(٣) أنظر الدر المنثور ٢/٢٩١.

الثانية : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أثناء وقائع معركة بدر .

الثالثة : السنة النبوية القولية والفعلية أثناء معركة بدر .

الرابعة : دلالة وقائع معركة بدر على محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإرهاب .

الثالث : نتائج معركة بدر ، وفيه جهات : الآيات التي نزلت بعد معركة بدر ، ويتعلق موضوعها بنتائج المعركة ، منها قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

ومنها قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلِلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢)، وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس : سورة التوبة ، قال : هي الفاضحة ما زالت تنزل : ومنهم ، ومنهم ، حتى ظنوا أنها لم تبق أحدا منهم إلا ذكر فيها.

قلت سورة الأنفال ، قال : تلك سورة بدر.

قلت : سورة الحشر؟ قال : قل سورة بني النضير^(٣).

وتضمنت الآية أعلاه الثناء على البدرين على نحو العموم ، ودم جيش المشركين ، وجاءت آية في الثناء على أهل البيت الذين تقدموا لأول مبارزة مع المشركين ، كما في قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) سورة آل عمران ١٦١.

(٣) تفسير البغوي ٧/٤.

يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ»^(١)، ولم ينحصر قتال الإمام علي عليه عليه السلام وحمزة بتلك المبارزة فقد كانا في المقدمة أثناء التحام الصفين .

وكان أبو ذر الغفاري (يقسم قسماً أن هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (نزلت في الثلاثة والثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر وهم : حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث ، وعلي بن أبي طالب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة)^(٢) .

والظاهر هناك خطأ من النساخ في الخبر أعلاه بخصوص ترتيب الآيات ، فقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٣) ، ورد في القرآن مرتين احدهما في سورة البقرة والأخرى في الآية الرابعة عشرة من سورة الحج ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٤) ، بينما قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٥) ، هي الآية التاسعة عشرة من ذات سورة الحج .

(١) سورة الحج ١٩.

(٢) الدر المنثور ٧/١٢٨.

(٣) سورة الحج ١٤.

(٤) سورة الحج ١٤.

(٥) سورة الحج ١٩.

وقال الإمام علي السلام (أنا أول من يجثو في الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة)^(١).

قانون زكاة الفطر دعوة للمسلم المجتمعي العام

قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٢)،

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية وجهان :

الأول : إرادة شهادة التوحيد ، وفيه تزكية من الشرك ، وأخرج عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : في قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٣)، قال : من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنني رسول الله { وذكر اسم ربه فصلى } قال : هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بمواقعتها^(٤).

الثاني : تعلق موضوع الآية بزكاة الفطر ، وعن عمرو بن عوف الهزني وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلي صلاة العيد ، ويتلو هذه الآية { قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى } وفي لفظ قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زكاة الفطر قال { قد أفلح من تزكى }^(٥) فقال : هي زكاة الفطر.

(١) الدر المنثور ٧/١٢٩.

(٢) سورة الأعلى ١٤-١٥.

(٣) سورة الأعلى ١٤-١٥.

(٤) الدر المنثور ١٠/٢٤٢.

(٥) سورة الأعلى ١٤.

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول { قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى }^(١) ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو إلى المصلى يوم الفطر^(٢).

والمراد من الآية العنوان الشامل لزكاة الفطرة وتطهير النفس ، وزكاة وتطهير الأموال ، قال تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣).

لقد جاء الأمر من الله عز وجل بالصلاة والزكاة إلى كل المسلمين ، قال تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾^(٤) ، ولا تجب زكاة المال والأنعام والغلات إلا على الأغنياء والذين يتحقق عندهم النصاب ، وبينما تجب الصلاة على كل مسلم ومسلمة فإن الزكاة لا تجب إلا على الذين يتحقق عندهم النصاب ، وهم القلة ، ولا يزيدون على عشر مجموع المسلمين والمسلمات رجالاً ونساءً ، وكباراً وصغاراً ، في أغلب الأزمنة والبلدان ، فجاءت زكاة الفطرة معجزة من عند الله عز وجل ليشمل الخطاب التكليفي فيها كل المسلمين كباراً وصغاراً ، ويدفع الأب عن أبنائه ، والزوج عن زوجته ولو كان عند الزوجة راتب ومورد للكسب فهل تجب عليها زكاتها ، الجواب المدار على الإعالة ، فإذا كان الزوج هو المعيل وهو الأصل فتجب عليه زكاة عياله.

ومن الإعجاز في زكاة الفطرة أمور :

(١) سورة الأعلى ١٤-١٥.

(٢) الدر المنثور ١٠/٢٤٣.

(٣) سورة التوبة ١٠٣.

(٤) سورة البقرة ٤٣.

الأول : وجوب زكاة الفطرة على كل مسلم كبيراً كان أو صغيراً.

الثاني : قلة مقدار زكاة الفطرة ، فهي مدّ من الطعام ، أي كيلو إلا ربع.

الثالث : تعيين أوان ووقت مبارك وسعيد لزكاة الفطرة وهو يوم العيد ، وقبل الخروج إلى صلاة العيد.

الرابع : إدخال زكاة الفطرة السرور والغبطة على نفوس الفقراء.

الخامس : البشارة بالفلاح لمن يدفع زكاة الفطرة مع قلة مقدارها .

السادس : صيرورة زكاة الفطرة مصداقاً لإمثال المسلمين لأمر الله عز وجل بوجوب الزكاة.

السابع : تأتي زكاة الفطرة بعد شهر صيام وامتناع في نهله عن الأكل والشرب وسائر المفطرات ، ولا يعود إلا بعد سنة ، أو قل أحد عشر شهراً وفيه باعث للشوق في النفوس لإخراج زكاة الفطرة مع قلتها ، إذ فرض الله الصيام تمام شهر بين هلالين .

قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُدْهِمُ اللَّهُ بِكُمْ إِلْسًا وَلَا يَرْيَدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

فان زكاة الفطرة تكون مرة ودفعة واحدة في السنة ، فهي معجزة في الشريعة الإسلامية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ

خَيْرَ أُنْثَى أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»^(١)، وفيه سعي لتزكية النفوس ، ودعوة للتراحم والتآلف ، وهي حرب على العنف والإرهاب .

وقد ورد الإستثناء في زكاة الفطرة للفقير المحتاج ، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال : من حلت له الفطرة لم تحل عليه^(٢) . وتسمى هذه الزكاة بأسماء :

الأول : زكاة الفطرة .

الثاني : زكاة الفطر ، لأن الإفطار سبب لها والزكاة تطهير للأموال ، أما زكاة الفطر فهي تطهير للنفوس .

الثالث : زكاة الأبدان فهي مفروضة على ذات الأشخاص وليس على الأموال .
الرابع : زكاة الخلقة .

الخامس : زكاة الدين ، وفيها تمام الصوم .

ومن النصوص فيها ما ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال : ادوا زكاة فطرتكم فانها سنة نبيكم وفريضة واجبة من ربكم . وهي واجبة باجماع علماء المسلمين .

ويجوز اخراجها نقداً خاصة في هذه الأزمنة لما في دفع عين الصاع من الحرج ، وبه قال الحنفية ، وقول عن الشافعية ، ورواية عن مذهب أحمد ، ونسب عدم جواز اخراجها نقداً إلى المالكية والحنابلة وجمهور الشافعية .

وذهب الشافعي الى كفاية قوت يوم للفرد وعياله وما يؤدي به زكاة الفطرة لإخراجها ، ولا يشترط قوت سنة .

ووردت نصوص كثيرة في فضلها وأهميتها ، وعليها السنة الفعلية وهي واجبة باجماع علماء المسلمين ومن شرائط وجوبها :

(١) سورة آل عمران ١١٠ .

(٢) البحار ١٠٩/٩٣ .

الأول : التكليف ، فلا تجب على الصبي والمجنون ، نعم
زكاتها واجبة على وليهما لأنها صدقة متعلقة بكل فرد.

الثاني : الحرية ، فلا تجب على المملوك وزكاته تجب على
وليه.

الثالث : الغنى ، وهو ان يملك قوت سنة له ولعياله زائداً على
ما يقابل الدين ومستثياته فعلاً او قوة، فلا تجب على الفقير، نعم
يستحب له اخراجها بل هو الاقوى .

مسائل في زكاة الفطر^(١)

(مسألة ٩٤) لا يشترط في الوجوب كونه مالاً مقدار الزكاة زائداً على
مؤونة السنة، فتجب وان لم تكن عنده زيادة على الاقوى لا سيما مع
عظيم ما ورد في فضلها بلحاظ قلة مقدارها.

(مسألة ٩٥) لا يشترط في وجوبها الإسلام .

(مسألة ٩٦) يلزم فيها قصد القرية كما في زكاة المال فهي من العبادات .

(مسألة ٩٧) يستحب للفقير اذا لم يكن عنده الا صاع يتصدق به على بعض
عياله، والأولى ان يتصدق به على الاجنبي بعد ان ينتهي التسلسل بينهم.

(مسألة ٩٨) المدار في وجوب زكاة الفطرة ادراك غروب ليلة العيد
جامعاً للشرائط، فلو صار فقيراً قبل الغروب ولو بلحظة او مقارناً
للغروب لم تجب عليه.

(مسألة ٩٩) يجب على المكلف اخراج زكاة الفطرة بعد تحقق شرائطها
عن نفسه وعن كل من يعول عند دخول ليلة عيد الفطر، من غير فرق بين
واجب النفقة عليه وغيره، والصغير والكبير والحر والمملوك، والمسلم
والكافر والأرحام وغيرهم، وكذا تجب عن الضيف وان كان نازلاً عليه
في آخر يوم من شهر رمضان ولم يأكل عنده شيئاً اذا صدق كونه عيلاً

(١) أنظر رسالتنا العملية الحجة ٢.

على صاحب البيت .

(مسألة ١٠٠) أما الذي يأتي ضيفاً لتناول طعام الإفطار فلا لعدم صدق العيال عليه ولو لتلك الليلة.

(مسألة ١٠١) كل من وجبت فطرته على غيره سقطت عن نفسه وإن كان غنياً وكانت واجبة عليه لو انفرد.

(مسألة ١٠٢) لو لم يُخرج الزوج عن زوجته أو الأب عن ابنته أو الولد عن أمه أخرجوا زكاة الفطرة عن أنفسهم على الأقوى، فلو لم يدفع الأب عن ابنه زكاة الفطرة، فعلى الابن أن يدفعها عن نفسه مع القدرة.

(مسألة ١٠٣) تحرم فطرة غير الهاشمي على الهاشمي كما في زكاة المال، وتحل فطرة الهاشمي على الصنفين ، والمدار على المعيل لا العيال فلو كان العيال هاشمياً دون المعيل لم يجز دفع فطرته إلى الهاشمي، أما لو كان المعيل هاشمياً ولكن عياله غير هاشميين فيجوز دفعه زكاة الفطرة للهاشمي حينئذ.

(مسألة ١٠٤) لا فرق في العيال بين أن يكون حاضراً عنده وفي منزله أو غائباً عنه وفي بلد آخر.

(مسألة ١٠٥) إذا ولد المولود قبل الغروب ليلة عيد الفطر وجب إخراج زكاة الفطرة عنه، ويستحب إخراجها إذا تولد بعده إلى ما قبل الزوال.

(مسألة ١٠٦) المطلقة الرجعية فطرتها على زوجها دون البائن، إلا إذا كانت البائن حاملاً ينفق عليها.

(مسألة ١٠٧) غياب المعيل عن عياله لا يمنع من وجوب إخراج فطرتهم أو الوصية بها.

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٤- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٥- سيادة القاضي رئيس هيئة الإشراف القضائي.
- ٦- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ٧- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.
- ٨- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية
- ٩- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.
- ١٠- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.
- ١١- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٢- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.
- ١٣- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ المملكة الأردنية الهاشمية.
- ١٤- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجمهورية الجزائرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩ / ٥
١٤٠٨ / ٤ / ٢٠

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي
والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.
نتضرع إلى الله العلي القدير أن يهتمكم العلم النافع وان يجعله
في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

مختصاً به

(الدكتور) محمد سيد طنطاوي

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس □

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،
فإنه ليسعدني أن أقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير
والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني
والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
شاكرين لكم، ولكم تحياتي

د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIATORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GÉNÉRAL

OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

احمد القوي
مستشار الأمين العام



بسم الله الرحمن الرحيم

كوٲمارى عىراق

داد كاى بالآى ئىتتىجادى

العدد : ٤١ / مكتب / ٢٠١٩

التارىخ: ٢٨ / ٣ / ٢٠١٩



جمهورية العراق

المحكمة الاتحادية العليا

مكتب رئيس المحكمة

سماحة الشىخ صالح الطائى المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

تحية طيبة...

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٩/٢٩٥) المؤرخ ٢٠١٩/٢/١٨ .
تسلمنا ببالف الإعتزاز إهدائكم نسخة من كتابكم الموسوم ((معالم
الإيمان فى تفسير القرآن، الجزء ١٧٧)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.
مع فائق التقدير

القاضى

مدحت المحمود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٨ / ٣ / ٢٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم



جمهورية العراق

مجلس القضاء الأعلى

رئاسة هيئة الإشراف القضائي

مكتب رئيس الإشراف

العدد ٨/مكتب/٢٠١٩/ ١٧٩٣

التاريخ ٢٠١٩/٥/١٢

الى /سماحة الشيخ (صالح الطائي) المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير
والأخلاق

م/شكر وتقدير

تلقينا ببالغ الإعتراز كتابكم الموسوم ((معالم الإيمان في تفسير القرآن ، الجزء الثمانون بعد المائة)).
وكانت الهدية بواسطة السيد ((عبد الله الشيخ صالح الطائي)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية .
مع فائق التقدير

القاضي
جاسم محمد عبود

رئيس هيئة الإشراف القضائي

٢٠١٩/٥/١٢

Arab League
Union of The Arab
Historians
General Secretary



جامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

العدد: ت/١٥٣
التاريخ: ٢٠ رمضان ١٤٣٩
الموافق: ٢٠١٨/٦/٥
هجري
ميلادية

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.
عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت مع بالغ الشكر وعظيم التقدير والإمتنان هديتكم القيمة والمتمثلة في
الأجزاء (١٦٠-١٦١-١٦٤) من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ان ولوجكم في
هذا الميدان العلمي من التأليف في تفسير القرآن العظيم يعيد الى الأذهان ذكريات
أولئك المفسرين العظماء الكرماء الذين خلدتهم التأريخ بإنجازاتهم العلمية
الوفيرة والنادرة ، وان هذا المؤلف الكبير هو من المؤلفات النادرة حقاً في هذا
الزمن الشحيح في علماء التفسير بحيث اعاد الأمل الى نفوس العلماء وطلاب
العلم ، بان ميدان التأليف في هذا الفن العلمي انما هو رافد عظيم من روافد
الفكر الاسلامي الخالد والذي نفتخر ونعتز به ، وأسأل الله تعالى ان يسبغ عليكم
بوافر الصحة ونعمة العافية من اجل اكمال هذا المشروع العلمي الخالد كي نباهي
به الأجيال وكي نؤكد لكافة المسلمين ان هذا الاسلام يظل منبع للعلم والعلماء
من اجل ديمومة هذا العلم الخالد .

اكرر شكري وتقديري على كرمكم الأصيل باهدائكم هذه الاجزاء لنا ،
وأسأله تعالى ان يستمر عطائكم وتأليفكم بإنجاز هذا المشروع التأريخي الخالد .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ع

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب
العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي
والتراث العلمي للدراسات العليا



بسم الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

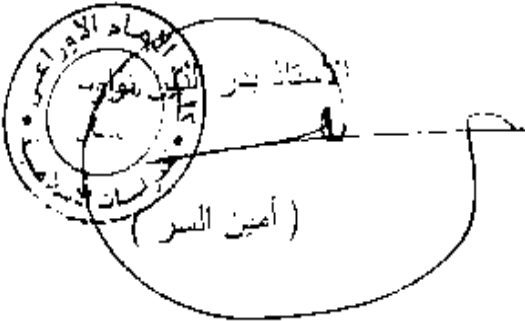
بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا
وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية العالمية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي

الموقع

مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن

وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

ص.ب - ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١
وتأريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.

يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم
المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى مكتبة
الجامعة للإطلاع عليها، سائلاً المولى جلت قدرته للجميع التوفيق
والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

النمرة: ... ج ك/م م/١٧/ح/٣
التاريخ: 2016/8/16 م

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣ م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعلنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبد الله عجب الدور

مدير الجامعة



الرقم ١١٤٦٠ / ١٧ / ٦٥
التاريخ ١٠ / ٢ / ١٤٣٧ هـ
الملاحظات
الموضوع



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وزارة التعليم العالي
إمارة المنطقة الشرقية
مكتب المدير
(٠٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تميّاتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٢ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠
هـ ١٤٣٧ / ١ / ١٠

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م



العدد: ٦٨٩٠ / ٥٤ / ٧

التاريخ: ٢٠١١ / ٦ / ٨

إلى / مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

باعتراز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله
العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله
العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣،
١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد،
سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا
والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

أ. د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٢٠١٦ / ٦ / ٨

Jadara University

Office of the President



جامعة جدرا

مكتب الرئيس

Ref.

Date

الرقم ١١٢٠٨١٤٠ / ٤٦٩

التاريخ ٢٠١٢/٥/٢٦

الموافق ١٥/٢٠١٢

سبادة الأئمة الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قسنطينة في: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

رقم 498... / رج / 2014

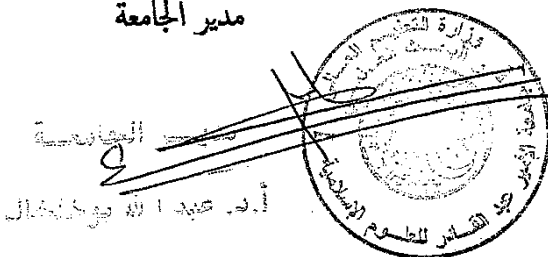
إلى السيد المحترم / مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في
تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير

مدير الجامعة



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١١٦	كتيبة بدر الموعد
٢٨	قانون غايات كتائب النبي (ص) وسرايا الصحابة	١٢٢	قانون المقارنة بين قافلة أبي سفيان وخسارة قریش في معركة بدر
٣٤	سرية عبد الله بن أنيس إلى شخص واحد	١٣٢	قانون وعد الله في القرآن حصن من الإرهاب
٦٣	الصرقة في الأحكام	١٤٢	قانون صبر النبي على أهل مكة معجزة وحجة في نبذ الإرهاب
٦٥	قانون التناقض بين الخلافة في الأرض وبين الإرهاب	١٤٥	التفكر بالآيات الكونية حرز من الإرهاب
٧١	قانون آية القصاص واقية من الإرهاب	١٥٧	قانون وصايا لقمان لابنه
٧٩	قانون تجدد واستحداث معجزات النبي محمد	١٨٩	قانون أسماء الأنبياء في القرآن دعوة للصالح
٨٥	قاعدة لا ضرر ولا ضرار واقية من الإرهاب	٢٣٩	أماكن بعثة الأنبياء
١٠٢	قانون غايات النصر في معركة بدر	٢٤٠	قانون صبر النبي على الإستهزاء تأديب وإصلاح
١٠٤	ماذا لو أراد النبي عدم الخروج من مكة في عمرة القضاء	٢٤٤	قانون علم الحديث
١٠٦	قانون الإملاء للمشاركين في معركة أحد استئصال للإرهاب	٢٤٨	قانون أداء الصلاة واقية من الإرهاب

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٥٣	قانون أداء الصلوات الخمس زاجر عن الإرهاب	٢٩٧	قانون زكاة الفطر دعوة للسلم المجتمعي العام
٢٦١	قانون أوان الفجر الصادق	٣٠٣	مسائل في زكاة الفطر
٢٦٩	قانون هلال شوال		ردود كريمة
٢٨١	قانون هجرة النبي وأصحابه إعراض عن القتال	٣١٨	الفهرس
٢٩٢	قانون النصر في بدر استئصال للإرهاب		

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٦٨٩ لسنة ٢٠١٩